العمليات التفجيرية وأثرها على انتفاضة الأقصى

Suicide Bombings and their Impact on AL-Aqsa Intifada

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

سميرة فخري الحموز

تاريخ المناقشة 13/5/2009

لجنة المناقشة

الدكتور سميح شبيب/رئيساً

الدكتور حسين الريماوي/عضواً **الدكتور نديم مسيس/عضواً**

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدّراسات العربية المعاصرة

كلية الدّراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين.

العمليات التفجيرية وأثرها على انتفاضة الأقصى

suicide Bombings and their impact on AL-Aqsa Intifada

إعداد الطالبة

سميرة فخري الحموز

تاريخ المناقشة 13/5/2009

لجنة المناقشة

الدكتور سميح شبيب/رئيساً

_____

الدكتور حسين الريماوي/عضواً _____

الدكتور نديم مسيس/عضواً _____

كلية الآداب

الدراسات العليا

برنامج الدراسات العربية المعاصرة

العمليات التفجيرية وأثرها على انتفاضة الأقصى

Suicide Bombings and their Impact on AL-Aqsa Intifada

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

سميرة فخري الحموز

إشراف

الدكتور: سميح شبيب

2009

الإهـــداء

إلى من وقفه إلى جانبي وكان عوناً وسنداً لي وشجعني على مواصلة مســـيرة العلـــم والمعرفـــة، إلـــى روح زوجـــي الشهـــيد "بشـير نافـع" الذي كان له الفضل كل الفضـــل فـــي إتمـــامي لهـــذه الدراسة.

إلى عشّاق الأرض الذين لم يجدوا أغلى من حياتهم ليقدموها رخيصةً في سبيـــل الوطـــن، إلى من هو أسمى وأحق منّا

جميعاً بالخلود، إلى كـل "الشـــــهداء والاستشـــهاديين".

الشكـر والتقديـر.

أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى زوجي الشهيد "بشـير نافـع" الذي أمدني بالقوة والعزيمة والإرادة وإلى والدي العزيز ووالدتي الحبيبة وإخوتي وأبنائي الأعزاء.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذتي الكرام، الذين لم يبخلوا عليّ بالنصح والتوجيه والإرشاد، وأخص بالذّكر الدكتور سميح شبيب والدكتور حسين الريماوي والدكتور نديم عسيس.

كذلك كل التقدير والاحترام للدكتور أحمد فارس الذي منحني الكثير من جهده ووقته وأشكر له توجيهاته المثمرة.

قائمة المحتويات.

الإهداء .	**أ**
الشكر والتقدير.	**ب**
قائمة المحتويات.	**ج**
الملخص.	**و**
Abstract.	**ط**
المقدمة.	**ل**
الفصل التمهيدي (الإطار النظري للدراسة).	**1**
1. الجدل الفقهي حول العمليات بين مؤيد ومعارض.	**2**
2. الإرهاب والمقاومة الوطنية المشروعة.	**5**
- مفهوم الإرهاب	**5**
- المقاومة الشعبية المسلّحة	**9**
- الخلط بين المقاومة والإرهاب	**12**
- الخطوط الفاصلة بين الإرهاب والمقاومة	**13**
- المقاومة بعد أحداث 11/ أيلول 2001	**15**
3. نماذج تاريخية في العمليات التفجيرية	**17**

الفصل الأول: الخلفية التاريخية للعمليات التفجيرية الفلسطينية **25**

تمهيد **26**

1. المقاومة الفلسطينية ومراحل تطور العمليات التفجيرية **28**
   - المرحلة الأولى (مرحلة السبعينيات) **28**
   - المرحلة الثانية (انتفاضة الثمانينيات) **33**
   - المرحلة الثالثة (مرحلة أوسلو) **36**
   - المرحلة الرابعة (مرحلة انتفاضة الأقصى) **38**
2. دور فصائل المقاومة الفلسطينية في ظل انتفاضة الأقصى **41**
3. دوافع العمليات التفجيرية **48**
4. مزايا العمليات التفجيرية وبواعث لجوء بعض حركات المقاومة **59**

لتنفيذها

الفصل الثاني: المقاومة الفلسطينية ما بين الأداة والهدف **76**

1. إشكالية المقاومة الفلسطينية المسلحة في ظل انتفاضة الأقصى **77**
2. جدلية المقاومة المسلّحة والعمليات التفجيرية بعد أحداث 11 **85**

سبتمبر.

3. العمليات التفجيرية وإشكالية استهداف المدنيين. **90**

الفصل الثالث: تداعيات العمليات التفجيرية الفلسطينية. **105**

تمهيد **106**

1. التداعيات على المستوى المحلي: **107**
   - المستوى الإسرائيلي. **107**
   - المستوى الفلسطيني. **114**
2. التداعيات على المستوى الإقليمي. **129**
3. التداعيات على المستوى الدولي. **131**
4. آراء النّخب السياسية الفلسطينية حول تداعيات العمليات **134**

التفجيرية.

الفصل الرابع: قراءة تحليلية لواقع العمليات التفجيرية **144**

1. تحليل جداول العمليات التفجيرية منذ العام 1993-2008. **145**
2. أسباب تراجع العمليات التفجيرية. **163**
3. أثر العمليات التفجيرية على المسار السياسي التفاوضي. **172**

الخاتمة. **183**

المصادر والمراجع. **193**

الملاحق. **208**

الملخص

لم يكن التوجه الفلسطيني نحو العمليات التفجيرية وليد استراتيجيه سياسية ونضالية مدروسة ومتفق عليها من كافة القوى والفصائل الفلسطينية، بدا ذلك واضحاً من خلال وجود إستراتيجيتين للمقاومة المسلحة، ارتكزت الأولى على العمليات التفجيرية في المدن والبلدات الإسرائيلية، والتي انتهجتها حركتي حماس والجهاد الإسلامي. أما الثانية فقد تركزت في الضفة الغربية وقطاع غزة ضد جنود الاحتلال ومستوطنيه، اقتصرت في بدايتها على إطلاق النار والاشتباكات قبل أن تتجه نحو العمليات التفجيرية في بداية العام 2002، جسّدت هـذه الإسـتراتيجية الجبهـتين الشـعبية والديمقراطية وحركة فتح.

جاءت العمليات التفجيرية رداً على جرائم الاحتلال، الذي اتخذ منها ذريعة لتنفيذ العديد من مخططاته وبرامجه السياسية كان أهمها: تقويض عملية السلام وإضعاف السلطة عبر تدمير بنيتها التحتية وإعادة احتلال المناطق الخاضعة لسيطرتها. وقد قام بشنّ حملة من الاعتقالات والاغتيالات الواسعة طالت العديد من كوادر ونشطاء المقاومة، إضافة لبناء جدار الفصل العنصري الذي كان سبباً في مصادرة آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية، وفي تحطيم الحلم الفلسطيني المتمثل في إقامة دولته المستقلة على حدود الرابع من حزيران لعام 1967.

وكانت أحداث الحادي عشر من أيلول/2001 وما أعقبها من حرب على الإرهاب، قد أوجدت جدلاً واسعاً على الساحة الفلسطينية حول الجدوى السياسية من الاستمرار في نهج العمليات التفجيرية في ظل أوضاع دولية غير عادلة وغير متوازنة، لم تكن في صالح المقاومة والقضية الفلسطينية، حيث الانحياز الأمريكي الكامل للاحتلال الإسرائيلي، والدور المفقود للأمم المتحدة والمعطَل لمنظمات حقوق الإنسان وغير الفاعل للإتحاد الأوروبي. رافق ذلك غياب الاهتمام العربي والإسلامي بمعاناة الفلسطينيين، في ظل بروز قضايا أخرى طغت على أحداث الانتفاضة وتصدّرت اهتمام المجتمع الدولي، كالحرب على الإرهاب وما رافقها من احتلال لأفغانستان والعراق.

نجحت إسرائيل في الاستفادة من المتغيرات الدولية، وفي استثمار جملة من العوامل طغت على الساحة الفلسطينية، لتقوم بحملات إعلامية مركزة ضد العمليات التفجيرية، استطاعت خلالها إلصاق تهمة الإرهاب بالمقاومة وإدراج العديد من فصائلها على قائمة المنظمات الإرهابية، في محاولة لتشويه صورة وأخلاقية النضال الفلسطيني والحطّ من مشروعيته، وتصوير ما يحدث

على أنه صراع بين قوتين متكافئتين عسكرياً، جاء ذلك في سياق محاولة لتضليل الـــرأي العـــام الدولي وتبرير ما يقوم به الاحتلال من جرائمٍ وعنف موجه ضد الفلسطينيين.

من هنا حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على العمليات التفجيريـــة مـــن حيـــث خلفيتهـــا التاريخية، مراحل تطورها، دوافعها والعوامل التي تفاعلت في المجتمع الفلســـطيني وأدت إلـــى تكوّنها وبروزها، حتى أصبحت عنواناً لوجود أو عدم وجود مقاومة في ظل انتفاضة الأقصى.

كما وتطرّقت الدّراسة إلى ما أحدثته تلك العمليات من جدلٍ على الساحة الفلسطينية، كوْنهـــا كانت سبباً في عسكرة الانتفاضة وفقدان المقاومة للدعم والتأييد الدوليِيْن، فـــي ظـــل اســـتهدافها للمدنيين الإسرائيليين وتجاهلها للمتغيرات على الساحة الدولية بعد أحداث 11 أيلول/ 2001، وما عكسته من تداعيات على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية، خاصةً وأنها كانت سبباً في إلصاق تهمة الإرهاب بالمقاومة، وفي تنفيذ الاحتلال للعديد من مخططاته وبرامجه السياسية.

وخلُصت الدراسة إلى أن العمليات التفجيرية كان لها أثراً سلبياً على انتفاضة الأقصى، كونها أصبحت عنواناً لوجود أو عدم وجود مقاومة، بعد أن طغت على كافة أشكال ووسائل المقاومة الأخرى بما فيها المقاومة الشعبية، وكونها تجاهلت كافة المتغيرات على الساحتين الدولية والمحلية في أعقاب 11 سبتمبر، فكانت سبباً في فقدان المقاومة تعاطف وتأييد المجتمع الدولي، وبدلاً من أن تعمل على تأجيج التناقضات في المجتمع الإسرائيلي، عملت على توحيده خلف قيادة يمينية متطرفة، الأمر الذي استغلته حكومة الاحتلال في تبرير عدوانها وجرائمها ضد الفلسطينيين.

من ناحية أخرى فقد أدت تلك العمليات إلى تعميق حالة الانقسام السياسي والجغرافي الفلسطيني، مما انعكس سلباً على أداء المقاومة وقدرتها، وألحق خسائر فادحة بالفلسطينيين كان

أسوأها التراجع في مكانة القضية الفلسطينية التي باتت تصوّر على أنها قضية إنسانية لا قضية تحرر وطني.

Summary

The Palestinian view of suicide bomber was not a strategical, political and a studied fighting or greed on it by any power or Palestinian parties. This is well clear through two contrary strategies of the armed resistant's. the first concentrated on suicide bomber in the cities and in the Israelis countries extended to most of the Israeli civilians which Hamas and AL-Jihad adapted it . the second concentrated in the Western Bank and Gaza strip against Israel and the settlements . It started with a fire-gun and fighting before going through Suicide Bomber in 2002. this strategy embodies the two

Frontiers parties (AL SHABIA , Democratic) , and other armed wings which submitted to Fateh .

The occupation found in "AL INTIFADAH" and in the Suicide Bomber an excuse to justify its crimes and to achieve various of his plans and Political Programmers. one of these was the "Peace Process" and to weaken the Palestinian authority through destroying the In fare-structure, re-occupying all the regions under their control , amesting and murdering widely some of the leaders of resistance , and building the discriminating wall which was a cause for the lost of thousands of wide agricultural areas , as well for the destruction of the Palestinian dream of building an independent Palestinian an state on the 4th of gun war 1967 .
September 11th 2001 events and what events followed like wars against terror all turned out a wide argument among Palestinians about the political stream of going on suicide Bomber under international situation which is unfair and unbalanced or for the Palestinian cause. Because of the American support to the Israeli occupation , and the lost rule of the united nations which broke down the human rights and not efficient to the European union. Which accompanied by the absent of the Arab and Islamic attention to the Palestinian pain and suffer under the uprising of other causes which took over on the "Intifadah" events and which attracts the importance of the international society like the war on "terror" like Afghanistan and Iraq wars .

Israel succeeded in getting benefits from the international situation and changes and from investing some of factories which penetrate the Palestinian land . the most important one is the co-speech and the continual political attractions between the authority and the weakness of the Palestinian working – administration . The resistant under the absentce-

efficient control or a political reference is able to control the resistance implements and work that suits all its aims so as to carry out an advertised campaign concentrated against suicide Bomber which was able through it accused the resistant's as terrorists , and they were able to defend the Palestinian morals and their resistance against occupation . They were able to figure out all what is going on as a struggle between two powers equal in army , and the suicide bomber is only aimed the eternity and the security of Israel . this is only a leading way for the public international opinion and to justify all what they are committing of crimes and terror against the Palestinians as an excuse for defending themselves .

This studying aims the "Suicide Bomber" from its historical background and its development stage, its aims, and the factories which. reacts in the Palestinian society that leads to its information and development until it became as a title for its eternity or there is no existence for the resistance under AL-INTIFADAH of AL-AKSA and what these operations resulted in having an argument on the Palestinian land for it was the cause of changing the INTIFADAH to an armed resistance . The lost support for the resistance internationally through aiming the Israeli civilians and the ignorance of the international area after September 11th 2001 , and what the unreal things reflect on all local and regional levels specially . They were only reasons for accusing the resistance as terrorists, and they were as an accuse for various plans and political programs.

The studying summarized that the Suicide Bomber had a negative side effects on AL AKSA INTIFADAH as were of army in formation . That was the matter which the ISRAEL government exploited it to justify there attacks and aims against the Palestinians . Instead of the suicide Bomber be an implement to resist the occupation , it used as an aid for a political

diffusion , fighting between the parties , geographical separation , all reflect negatively on the resistance achievements and abilities . it also caused many casualties and loses Palestinians among the worst was the going back of the Palestinian cause that remained as a human cause not as free national cause .

المقدمة.

يلحظ المتتبع لتاريخ نضال الشعب الفلسطيني تطوره واختلافه عبر المراحل المختلفـــة، ولا يطال ذلك الفكر فقط وإنما الاستراتيجيات والآليات، وعلى اعتبار أن المقاومة الفلســطينية حــقٌ شرعيٌ وتاريخيٌ مستمدٌ من عدم شرعية الاحتلال وتواجده على الأراضـــي الفلســطينية بـــالقوة العسكرية، جاءت انتفاضة الأقصى كحلقة في سلسلة كفاح الشعب الفلســطيني، وعبرهـــا كـــانت البداية الجديّة لتبلور العمليات التفجيرية كمرحلة جديدة للمقاومة الفلسطينية.

لقد أوجدت العمليات التفجيرية تحولاً نوعيا في أداء المقاومة الفلسطينية، لكنّ عدم وجود إطار فكري موحد للمقاومة نتيجة استمرار التجاذبات السياسية بين السلطة والمعارضة، أحدث جدلا واسعا وعميقا في الشارع الفلسطيني بين مؤيد لهذه العمليات ومعارضٍ لها، فقد رأى مؤيدو العمليات بأنها ورقة الضغط الرابحة الوحيدة القادرة على إحداث نوع من توازن القوى، والأقدر على تحقيق الأهداف والطموح الفلسطيني في التخلص من الاحتلال، خاصةً وأن سنوات أوسلو لم

تجلب للشعب الفلسطيني من وجهة نظرهم سوى المزيد من الويلات والتنازلات، أما المعارضون فيرون بأنها أثرت سلبا على البرنامج الوطني الفلسطيني المتمثل بإقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967، وأن استهدافها للمدنين الاسرائيلين أضر بشرعيتها وأخلاقيتها مما أفقدها التعاطف والتأييد الدوليْن.

لقد حاولت إسرائيل في أعقاب أحداث 11 سبتمبر إلصاق تهمة الإرهاب بالمقاومة الفلسطينية، مستغلة بذلك الأوضاع الدولية غير العادلة والحرب على الإرهاب في شن حملة عسكرية سياسية وإعلامية على المقاومة الفلسطينية، تمكنت خلالها من إدراج عدد من فصائلها على قائمة المنظمات الإرهابية، ومن تقويض البنية التحتية للسلطة الوطنية عبر تدمير مؤسساتها وأجهزتها الأمنية.

- **إشكالية الدراسة:**

تحاول هذه الدراسة الوقوف على تأثير العمليات الفلسطينية على المشروع الوطني الفلسطيني، المتمثل بإقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967، وذلك من خلال البحث فيما يلي:

1) انعكاسات العمليات التفجيرية ضد الإسرائيليين على شرعية المقاومة الفلسطينية إقليميا ودوليا، خاصة في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
2) اتخاذ الحكومة الاسرائيلية العمليات التفجيرية ذريعة لترسيم الحدود من جانب واحد في محاولة لاستباق مفاوضات الوضع الدائم.

الفرضية:

1. أدى استخدام العمليات ضد الإسرائيليين إلى فقدان المقاومة الفلسطينية تفوقها الأخلاقي، الأمر الذي انعكس سلبا على مدى التأييد والدعم الدولي للقضية الفلسطينية.
2. أثرت العمليات التفجيرية بصورة سلبية على إمكانية تحقيق البرنامج الوطني الفلسطيني، المتمثل بإقامة دولة فلسطينية على حدود 1967، حيث استخدمتها إسرائيل كذريعة لترسيم الحدود من جانب واحد بحجة الدفاع عن مدنييها.
3. أدى غياب الإجماع الفلسطيني على برنامج وطني موحد حول الكفاح المسلح بشكل عام والعمليات التفجيرية بشكلٍ خاص، إلى استخدامها لتحقيق برامج فصائلية على حساب المشروع الوطني الفلسطيني.

أسئلة الدارسة:

1. كيف أثرت العمليات التفجيرية على فقدان المقاومة الفلسطينية تفوقها الأخلاقي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟؟؟.
2. كيف أثرت العمليات التفجيرية على إمكانية تحقيق المشروع الوطني الفلسطيني؟؟؟.
3. كيف استخدمت الفصائل الفلسطينية العمليات التفجيرية لخدمة برامجها السياسية ومصالحها الحزبية؟؟؟.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة العمليات التفجيرية، أسبابها وأهدافها ودوافعها وآثارها على المجتمعين الفلسطيني والإسرائيلي، وعلى المشروع الوطني الفلسطيني،

من خلال رصد العوامل المتفاعلة في الواقع الفلسطيني المعاصر، والتي أدت إلى تكوين هذه الظاهرة. كذلك التّعرف على مدى تأثير الأحداث والمتغيرات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر على موقف المجتمع الدولي من المقاومة الفلسطينية عموماً، والعمليات التفجيرية خصوصاً، وأثر ذلك الموقف على القضية الفلسطينية.

أهمية الدراسة:

تعدُّ هذه الدراسة إسهاما أكاديميا نظراً لندرة الدراسات التي تناولت ظاهرة العمليات التفجيرية، كأسلوب نضالي جديد غلب على المقاومة الفلسطينية وظهر جليا في انتفاضة الأقصى 2000.

وتأتي أهميتها في التعرف على اثر وجود السلطة الوطنية الفلسطينية، كمتغير ترك بصماته على الحياة السياسية والمقاومة الفلسطينية، وإبراز كيفية تعاطي القيادات الفلسطينية مع العمليات التفجيرية، في ظل عدم حسم السلطة الوطنية لخيار المقاومة، نظرا لتمسكها باتفاقيات أوسلو للسلام.

كذلك تسليط الضوء على أحداث 11 سبتمبر كمتغير على الساحة الدولية، أثّر بشكل مباشر على الموقف الدولي من حركات التحرر الوطني عموماً والمقاومة الفلسطينية خصوصاً، في ظل ما يسمى بالحرب على الإرهاب، وإبراز كيفية استغلال إسرائيل لحالة الفوضى والإرباك التي يعيشها المجتمع الدولي، في إدخال مسميات جديدة على ثقافة المجتمع الدولي من خلال وصف المقاومة الفلسطينية والعمليات التفجيرية بالإرهابية، وتسويق حربها على الفلسطينيين بأنها تأتي في إطار الحرب على الإرهاب، مما افقد المقاومة والقضية الفلسطينية التعاطف والتأييد الدّوليْن.

- دوافع اختيار الموضوع:

يعود اختيار الباحثة لموضوع الدراسة نظراً لأهمية إخضاع وسائل وأشكال المقاومة لعمليات تقييم مستمرة؛ لقياس مدى نجاحها وفشلها في تحقيق الأهداف الوطنية.

وتأتي أهمية اختيار العمليات التفجيرية بشكل خاص، نظراً لما أحدثته تلك العمليات من جدلٍ واسعٍ على السّاحة الفلسطينية والساحتين الإقليمية والدولية، خاصةً وأنها جاءت في ظل أحداث دولية وإقليمية عكست نفسها على القضية الفلسطينية وتحديداً بعد أحداث 11 سبتمبر.

-منهجية الدراسة:

اعتمدت الباحثة المنهج التاريخي- التحليلي لتفسير ظاهرة العمليات التفجيرية، والوقوف على الأسباب والدوافع وراء ظهورها. وتمّ تناول هذه الظاهرة بالتفسير والتحليل من خلال أثارها على الواقع الفلسطيني والمقاومة، عبر الرجوع إلى المصادر والمراجع المتوفرة بالمكتبات، بالإضافة إلى الشبكة الإلكترونية كمصدر متقدّم للحصول على المعلومات، كذلك اعتمدت الباحثة المقابلات مع بعض الشخصيات الفلسطينية السياسية والميدانية؛ لاستطلاع آرائهم حول جدوى العمليات في ظل اتفاقية السلام الموقعة مع الجانب الإسرائيلي.

صعوبات الدراسة:

تكمن صعوبة الدراسة في قلة المراجع العربية التي تناولت ظاهرة العمليات التفجيرية على الرغم من أهميتها، فمعظم الدراسات الصادرة إما إسرائيلية باللغة العبرية أو أجنبية باللغة الإنجليزية، وهي غير متوفرة في المكتبات العربية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت الباحثة صعوبةً في عقد أو إجراء مقابلات مع أعضاء من حركتي حماس والجهاد الإسلامي،

حيث رفض العديد منهم إجراء مقابلات نظراً لصعوبة المرحلة وحساسية الوضع السياسي، لذا استعاضت عن المقابلات الشخصية بشبكة الإنترنت لاستطلاع آراء عددٍ منهم فيما يتعلق بالعمليات.

تعريف بمصطلحات الدراسة:

الجهاد:

عرف الجهاد في سبيل الله منذ فجر الإسلام دفاعاً عن دين الله وعن حرمات الأمة ومقدراتها، ورفعاً للظلم والعدوان الذي يقع على الإسلام والمسلمين، وقد وردت العديد من الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد في سبيل الله كقوله تعالى: "***كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتالُ وَهُوَ كرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون***".[1] وقوله تعالى في ردِّ الاعتداء والعدوان عن المسلمين: "***فَمَنْ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ ما اعْتَدَى عَلَيْكُمْ واتّقُوا اللهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ معَ المُتَّقِين***".[2]

وقد عرّف ابن تيمية الجهاد بأنه الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ودفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان.[3] أما (محمد نعيم ياسين) فعرّف الجهاد بأنّه كلمة جامعة شاملة يدخل فيها جميع أنواع السعي وبذل الجهد والكفاح واستخدام شتى الوسائل المشروعة، لإحداث ذلك التغيير الذي تبتغي إحداثه دعوة الله تعالى المنزّلة على بني البشر.[4]

---

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة، 216.

[2] القرآن الكريم، سورة البقرة، 194.

[3] الكوفحي،أحمد.(2006). بين الجهاد والإرهاب. ط 1.عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ص 21.

[4] المصدر السابق، ص 22.

قال تعالى:"***انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ الله ذالكم خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون".***[5]

الشهادة: هي الموت في سبيل الله، وليس في سبيل أي غرض دنيوي من جاهٍ أو سمعةٍ أو نحو ذلك، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم، حين سُئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم:"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".[6]

وحول تسمية الشهيد بهذا الاسم، قال النضر بن شميل في سبب التسمية: بأن الشهداء أحياء فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة، وقال الأنباري لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة، وقيل لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة، ولأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة.[7]

الاستشهاد: هو طلب الشهادة في سبيل الله، وحدوث فعل الشهادة، ونيل الغاية المرجوة بنيل رضى الله من خلال الحرص على إعزاز دينه.[8]

وعرّف الشهيد مطهري الاستشهاد بأنه الموت الذي يتجه نحوه القتيل تحقيقاً لهدف مقدس إنساني، أو في سبيل الله على حد التعبير القرآني، مع ما يحتمله أو يظنه أو يعلمه من أخطار في طريقه.[9] ويتميز الاستشهاد عن أفعال أخرى تقع في دائرة الجهاد بأن الاستشهادي يكون قد وضع نصب عينيه الشهادة في سبيل الله وعزم على أن يقاتل العدو إلى أن يُقتل إما بواسطة حزام

---

[5] القرآن الكريم، سورة التوبة، 41

[6] مصطفى،عبدالتواب.(2003)."فقه الاستشهاد". صامد الاقتصادي، عدد 132: ص 102.

[7] التكروري، نواف هايل .(2002). العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي. ط 2. دمشق: دار الفكر، ص 115.

[8] المصدر السابق، ص 115.

[9] عليق، ناصر حسن.(2004). فلسفة الاستشهاد. بيروت: دار المواسم، ص 25.

ناسف، أو بتفجير سيارة مليئة بالمتفجرات.[10] ومصطلح الاستشهاد ليس قديماً بالمفهوم المتعارف عليه حديثاً، فهناك العديد من المقاومين الذين قاموا بعمليات وصفت بالبطولية، وكان نجاحها يتوقف على التضحية بالنفس لنصرة قضية عادلة أو للدفاع عن الوطن، ولم يطلق عليهم "استشهاديون". فعلى سبيل المثال، أُطلق على المقاومين الذين يقومون بتفجير أنفسهم بالاحتلال في كلٍّ من لبنان وفلسطين بالاستشهاديين، في حين أُطلق على اليابانيين الذين كانوا يقومون بتفجير طائراتهم وهم على متنها بالأسطول الأمريكي في ميناء (بيرل هاربر) بالكاميكاز، أما الفيتناميون والتاميليُّون وغيرهم ممن لا يدينون الإسلام واعتمدوا العمليات التفجيرية في نضالهم فقد أُطلق عليهم "الانتحاريون".

الاستشهادي: هو المؤمن الذي استجمع أمره على خيار واحد هو بيع نفسه لربه، أي بذلها وتقديمها في سبيله حرصاً على نيل رضاه، وطمعاً بما أُعدّ له من ثواب.[11] قال تعالى: "***إنّ الله اشتَرى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَموالَهُم بأنَّ لَهُم الجنَّة، يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللهِ فَيَقْتُلونَ وَيُقْتَلون***".[12]

وعلى الرغم من أن الاستشهادي ينهل من نفس النبع العقائدي الذي ينهل منه الشهيد، إلا أنه تأسس على تجربة تاريخية خاصة أبرزت بشكل نوعي، كيف تستطيع الشهادة تحقيق الانتصار في ظل موازين قوى غير متكافئة.[13]

---

[10] الدجاني، أحمدصدقي.(2001). "ظاهرة الاستشهاد في الواقع الفلسطيني المعاصر". شؤون عربية، عدد 107: ص 32.

[11] مصطفى، مصدر سبق ذكره، ص 104.

[12] القرآن الكريم، سورة التوبة، 111.

[13] عليق، مصدر سبق ذكره، ص 20.

وقد فرّق علماء الدين بين الشهيد والاستشهادي، ففي حين يكون كل استشهادي شهيداً، فإن العكس ليس صحيحاً فليس كل شهيد استشهادياً. وقد أتى القرآن الكريم على ذكر العديد من الآيات التي تحدثت عن الجهاد وفضله، وعن الشهادة والشهداء في قوله تعالى:" ***والّذين آمنوا بالله ورُسُلِه أُولئكَ هُمُ الصِّديقُونَ والشُّهَداءُ عِنْدَ ربِّهم لهم أجرُهُم ونُورُهُم***".[14] كذلك أشار الرسول (ص) إلى مرتبة الشهداء يوم القيامة بقوله:(ثلاثة يشفعون عند الله يوم القيامة فيشفعهم الأنبياء والعلماء والشهداء)،[15] إلا أن الآيات القرآنية لم تأت على ذكر الاستشهاد أو الاستشهادي وتحديداً في معناه الشائع الآن، في ظل ما تقوم به حركات التحرر الوطني من استخدام للمتفجرات كوسيلة للجهاد والتي يكون فيها موت منفذ العملية التفجيرية مؤكّداً، لذا عمد الفكر الإسلامي إلى صياغة لفظ استشهادي قياساً على آيات وجدت بالقرآن الكريم تحمل المعنى نفسه، منها قوله تعالى:" ***وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ الله***".[16]

الإنتحار: يعرّف بأنه قتل الإنسان لنفسه بإزهاق روحه بأي وسيلة من الوسائل الموصلة للموت، بسبب نزول مصيبة لم يطق احتمالها أو صبراً عليها.[17] ورداً على سؤال تردد على مسامع الكثيرين حول ما إذا كانت العمليات التفجيرية الاستشهادية تدخل في إطار الإنتحار المحرّم، أم أن لها خصوصيتها بحيث تُستثنى،فقد جاءت فتاوى رجال الدين متفاوتة، فمنهم من يحرّمها ولا يميزها عن قتل النفس خصوصاً لدى الأصوليين، ومنهم من يُدخلها في خانة الجهاد ولكن بشرط

---

[14] القرآن الكريم، سورة الحديد، 19.

[15] عليق، مصدر سبق ذكره، ص 17.

[16] القرآن الكريم، سورة البقرة، 207

[17] القضاة، محمد طعمة. (2001).المغامرة بالنفس في القتال وحكمها في الإسلام(العمليات الاستشهادية). ط 2. عمّان:دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص 9.

أن تقتصر أهدافها على قوات العدو وهو موقف الأزهر، ومنهم من يعتبرها أساساً في الجهاد والمثل الأعلى في الاستشهاد وخصوصاً لدى الشيعة.[18]

أما من وجهة نظر المحللين النفسيين، فالانتحار لا يصدر إلا عن مرضى نفسيين وبصورة خاصة مرضى الاكتئاب، الذي يؤدي إلى حالة من اليأس والآلام النفسية تجعل الاستمرار بالحياة أمراً غير محتمل.[19] ويرى دوركهايم أن الانتحار ظاهرة تاريخية، تتأثر بالأحوال والظروف الاجتماعية والتاريخية، حيث نجد أن لكل مجتمع من المجتمعات ولكل فترة من فترات التاريخ درجة من درجات الميل للانتحار، تزيد أو تنقص، تماماً كما تزيد وتنقص درجة الحرارة عند الكائن الحي.[20]

العمليات التفجيرية (الاستشهادية):

تعرّف العمليات التفجيرية (الاستشهادية) بتلك الأعمال الجهادية التي يقدم عليها فاعلها طلباً للشهادة ورغبة فيها، وتعتبر هذه العمليات نوعاً من المغامرة بالنفس التي عرفت منذ فجر الإسلام، حيث عُرِفَ المغامر بالمجاهد الذي يقتحم المهالك ويقاتل ببسالة لا يخشى معها الموت، ويقتحم الأعداء مع كثرة عددهم وعدّتهم باذلاً نفسه لتحطيم عدوه وإلحاق الهزيمة به، مع معرفته المسبقة بأنه سَيُقتل.[21] والفعل الاستشهادي أسلوب يلجأ إليه أفراد مميزون للدفاع عن جماعة أو هوية أو قيمة ما في ظل اختلاف موازين القوى، وعليه فلابد للاستشهادي أن يصل إلى درجة الذوبان في العقيدة؛ ليصبح قوة حقيقية فاعلة ومؤثرة محصنة بتعبئة عقائدية مركزة والتزام

---

[18] حب الله،عدنان. (2003).الحدث السياسي– قراءة نفسية تحليلية. ط 1. بيروت:دار العلم، ص 171.

[19] المصدر السابق نفسه، ص 170.

[20] اسماعيل، قبّاري محمد. (1976). إيميل دوركهايم، مؤسس علم الاجتماع المعاصر نظرياً وتطبيقياً. الاسكندرية: دار المعارف، ص 101-102 .

[21] التكروري، مصدر سبق ذكره، ص 35.

صارم.[22] وقياساً على ما تقوم به حركات التحرر الوطني من عمليات تفجيرية ضد الاحتلال، فهي متشابهة من حيث الهدف المتمثل بإلحاق الضرر بالعدو ببذل النفس والتضحية بها في سبيل الله.

وعرّف البغدادي العمليات الاستشهادية بأنها "عملية دفاعية مقدسة لرفع الظلم والقضاء على الظالمين، وغاية إنسانية نبيلة لإرجاع الحقوق المسلوبة والكرامة المسحوقة، وغاية مبدئية صادقة من أجل نصرة القيم والمبادىء الإسلامية وإعلاء كلمة الحق".[23]

أما العمليات التفجيرية الفلسطينية التي نحن بصددها والتي كثر الجدل حولها، فهي وسيلة نضالية لحركات التحرر الوطني وصوره جديدة لمقاومة العدو ومواجهته، فرضها واقع الاختلاف في موازين القوى، استخدمتها المقاومة الفلسطينية واللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي، وتتمثل هذه العمليات بأن يملأ الشخص حقيبته أو سيارته بالمواد المتفجرة، أو يقوم بلف جسده بحزام ناسف، ثم يتوجه إلى أماكن يتواجد فيها الاحتلال كالمعسكرات، البنايات، الحواجز العسكرية ووسائل النقل، ويقوم بتفجير نفسه بما يحمل من متفجرات ملحقاً أضراراً مادية وبشرية ومعنوية في صفوف الاحتلال.

ويلاحظ في مثل هذه العمليات أن مصرع المقاتل إنما يكون بفعل يديه وبسلاحه عن طريق القصد لا عن طريق الخطأ، وإن كان الهدف الأصلي من هذه العمليات هو القضاء على العدو أو إلحاق الأذى به.[24]

---

[22] ا عليق، مصدر سبق ذكره، ص 37.

[23] البغدادي، مي قاسم.(1993). الشهادة تأصيل لا استئصال. ط 1. بيروت: الدار الإسلامية، ص 128-192.

[24] هيكل، محمد خير.(1996). الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. رسالة دكتوراة عن الجهاد في صدر الإسلام والفقه الإسلامي والعصر الحديث. جامعة النجاح، نابلس، ص 1401

الفصل التمهيدي (الإطار النظري للدراسة).

1. الجدل الفقهي حول العمليات التفجيرية: (بين مؤيد ومعارض).
2. الإرهاب والمقاومة الوطنية المشروعة.
   - مفهوم الإرهاب.
   - المقاومة الشعبية المسلّحة.
   - الخلط بين المقاومة والإرهاب.
   - الخطوط الفاصلة بين الإرهاب والمقاومة.
   - المقاومة بعد أحداث 11/ أيلول 2001.
3. نماذج تاريخية في العمليات التفجيرية.

الجدل الفقهي حول العمليات التفجيرية: (بين مؤيد ومعارض)

لم يرد ذكر العمليات الاستشهادية بالقرآن الكريم والسنة النبوية عبر نص أو آية قرآنية تؤكد أو تنفي مشروعية تلك العمليات، ومع ذلك فقد أدلى المجتهدون من علماء الدين بآرائهم التي

تراوحت بين مؤيد وداعم لهذا النهج من العمليات، وبين معارض يرى بأنها ضرباً من ضـــروب الانتحار وقتلاً للنفس التي حرم الله إلا بالحق. وقد رجع علماء الدين في تأييدهم ومعارضتهم إلى مصادر التشريع نفسها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأخذ كل فريق مـــا يتلاءم وتـــأويله للنص ويدعم موقفه من الفعل الاستشهادي مفرقاً بينه وبين الانتحار.

فقد أكّد السّيد محمد حسين فضل الله أن العمليات التفجيرية أو الاستشهادية، لا تجوز إلا إنْ استطاعت أنْ تهزَّ العدوّ وتحقق واقعاً ضاغطاً فوق العادة، لأن نفس المؤمن كريمة عند الله، فلا يجوز أن يفجر نفسه إلا إذا كانت النتائج تساوي نفسَ المؤمن وتزيد، فليست العمليات الاستشهادية صرعة لكنها تكليف شرعي له حدود.[25]

أما الدّاعية الإسلامي يوسف القرضاوي فقد أيد العمليات التفجيرية ورأى بأنها أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، وأنها من الإرهاب المشروع الذي حثّ عليه القرآن الكريم لقوله تعالى: "***وأعدّوا لهُمْ ما استَطَعْتُم مِنْ قُوة وَمِنْ رِباط الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدوَّ الله وَعَدوَّكُمْ***"،[26] والعمليات التفجيرية من القوة التي ترهب الأعداء، ورأى بأن تسمية هذه العمليات بالانتحارية تسمية مضللة وخاطئة، فهي عمليات فدائية بطولية استشهادية وهي أبعد ما تكون عن نفسية المنتحر الذي يقتل نفسه بائساً، في حين أن الاستشهادي يقوم بتفجير نفسه خدمة وتضحية من أجل دينه ووطنه وأمته.[27] وأكدَّت رابطة علماء المسلمين أن العمليات التفجيرية أعظم أنواع الجهاد، لما فيها من نكاية وإضعاف لمعنويات العدو وكسر لشوكته، حيث استطاعت قذف الرعب في قلوب الأعداء،

---

[25] عليق، مصدر سبق ذكره، ص 122.

[26] القرآن الكريم، سورة الأنفال، ص 60.

[27] القرضاوي، يوسف. "فتوى العمليات الإستشهادية". www.farwanapal.8m.com/fatwa3.htm

وهز أركان دولتهم، وتكبيدهم خسائر مادية وبشرية كبيرة، وأنها ليست عملاً انتحارياً؛ لأن تفجير المسلم نفسه بالأعداء المقاتلين هو دفاع عن النفس ونوع من الشهادة في سبيل الله.[28]

وقد أفتى فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي من السعودية في العمليات التفجيرية، بأنها عمل مشروع ومن أنجح الوسائل الجهادية وأكثرها فاعلية، لما توقعه من إصابات في صفوف العدوّ بين قتيل وجريح، ولما تبثه من رعب وقلق وهلع، ولما فيها من تجرئة للمسلمين وتقوية لقلوبهم وكسر لقلوب الأعداء.[29]

وحول قياس المستشهد بالمنتحر، ذكر الشعيبي بأنه قياسٌ مع الفارق، فالمنتحر الذي يقتل نفسه جزعاً وعدم صبر، أو سخطاً على القدر واعتراضاً على المقدور واستعجالاً للموت في غير ما يرضي الله، لا يتشابه مع المجاهد الذي يقوم بالعمليات التفجيرية نصرة لدين الله ونكاية بالعدو وجهاداً في سبيل الله.

وأشار الشيخ عجيل جاسم النشمي عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت، إلى شروط يجب توافرها فيمن يقوم بالعمليات التفجيرية كي تكون استشهادية في سبيل الله هي: أن يكون قتل النفس الطريق الوحيد للإضرار بالعدو، فإن رأى أنها لا تحقق الأهداف والغايات المرجوّة منها أو كان هناك وسائل قتالية أنجح وأقدر على تحقيق الغاية فعليه عدم الإقدام على تنفيذها، إضافة إلى ضرورة أن يكون تقدير أثر قتل النفس بتلك العمليات إلى جماعة لا إلى فرد، فهي أقدر على

---

[28] المصدر السابق.

[29] الشعيبي، حمود بن عقلاء. "فتوى العمليات الاستشهادية" http:www.alsakifah.org/vb/printthread.php .

دراسة وتقدير المنافع والمصالح التي يجب أن تطغى على المفاسد، فلا يجوز الإقدام على هذا العمل فردياً ودون دراسة متأنية.[30]

وفي الوقت الذي نجد فيه من يؤيد هذا النوع من العمليات، فهناك قله ممن عارضوها، كفضيلة الشيخ عبد العزيز آل شيخ مفتي السعودية، الذي صرّح قائلاً: "لا أعلم وجهاً شرعياً لهذه العمليات ولا أعتبرها من الجهاد في سبيل الله، وأخشى أن تكون من قتل النفس"، وقد سانده في الرأي كل من الشيخ ناصر الدين الألباني وصالح بن عثيمين والشيخ حسن أيوب، حيث اعتبروا العمليات التفجيرية من ضروب الانتحار، لأن فاعلها يقدم على قتل نفسه أولاً دون أن يتأكد بأنه سيحدث ضرراً بالعدو.[31]

وقد أشار علماء الدين أن المسلمين احتاجوا لهذا النوع من العمليات على وجه الخصوص، لضيق الخيارات أمامهم، واليأس من استرجاع الحقوق الوطنية ودحر العدوان بالطرق السلمية، خاصة في ظل الاختلال في موازين القوى وتفوق الاحتلال في كافة المجالات.

وأجمع علماء الدين على شروط لتصبح تلك العمليات مشروعة ومن يقوم بها شهيداً منها: أن يكون هدفها تحرُّرياً وموجهاً للعدو وليس ضد أبناء الوطن، وأن تكون النية خالصة لله تعالى، وأن لا يجد منفذ العملية التفجيرية والقائمون عليها طرقاً أخرى أكثر فاعلية وأقدر على إحداث نفس الضرر في الاحتلال غير تلك العمليات، وأن تكون نتيجة العملية وانعكاساتها على الاحتلال تتناسب مع الهدف الذي من أجله تمّ تنفيذها، كذلك مع حجم التضحية المقدم عليها منفذ العملية، فأي عمل لم تدرس ظروفه ونتائجه المحتملة وإن كان نبيل الغاية، فإن مردوده السلبي قد يضيع

---

[30] انظر نواف هايل التكروري، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، للتعرف على المزيد من علماء الأمة الذين أفتوا بجواز وشرعية العمليات الاستشهادية، ص 92-130

[31] لمزيد من التفاصيل حول فتاوى العمليات الاستشهادية انظر الموقع على الإنترنت www.farwanapal.8m.com .

الهدف وقيمة العمل. من هنا فإن العمليات التفجيرية بغض النظر عن بعدها البطولي الذي يعبر عنه بالإقبال على الموت باختيار الشخص وإرادته، تكمن أهميتها بآثارها على مجرى الصراع مع العدو وبحجم النتائج المترتبة عليها، وفي انعكاساتها الإيجابية على روح الشعب ومعنوياته الجهادية، وآثارها السلبية على معنويات العدو ومخططاته.[32]

لذا فالمنطق يحتم أخذ الظروف والمتغيرات السياسية بعين الاعتبار، ودراسة ما إذا كانت في صالح المقاومة أو العكس، فنتائج العمليات يجب أن تكون البوصلة التي توجه المقاومة وتحدد خياراتها وأدواتها النضالية، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن فتاوى رجال الدين بالتأييد أو المعارضة للعمليات التفجيرية لم تكن عائقاً أمام المقدمين على تنفيذ تلك العمليات خاصة في الوضع الفلسطيني، حيث أن حجم القهر والمعاناة جراء الاحتلال كان أكثر تأثيراً وإيقاعاً من فتاوى رجال الدين سواء المعارضين أو المؤيدين.

الإرهاب والمقاومة الوطنية المشروعة

مفهوم الإرهاب:

يأتي مفهوم الإرهاب في اللغة العربية من الفعل (رهب) أي خاف، والرهبة هي الخوف والفزع، وهو راهب من الله، أي خائف من عقابه، وترهبه أيْ توعده.[33] وقد أقر المجمع اللغوي للغة العربية كلمة الإرهاب ككلمة حديثة في اللغة العربية، أصلها (رهب) بمعنى خاف، وإرهاب بمعنى خوف.[34] أمّا الإرهابي، فهو وصف أطلق على الذي يسلك سبيل العنف والإرهاب لتحقيق

---

[32] عليق، مصدر سبق ذكره، ص 21

[33] راضي، مازن ليلو وكريم مزعل."الإرهاب والمقاومة في القانون الدولي" . نسخة الكترونية(استرجعت بتاريخ 15/9/2008). www.aladwaa.n1/modules.php

[34] الترتوري، محمد عوض وأغادير عرفات جويحان.(2006). علم الإرهاب. الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب. ط 1. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ص 21.

هدف سياسي كما جاء في المعجم الوسيط.[35] وقد أورد (جيمز آدم) تعريفاً مبسطاً للإرهابي، بأنه فرد أو عضو في جماعة ترغب في تحقيق أهداف سياسية باستعمال أساليب عنفية، ويكون ذلك على حساب ضحايا مدنيين أبرياء وبدعم من أقلية من الشعب يدّعون بأنهم يمثلونهم،[36] وهذا مختلف تماماً عن العنف الذي يسلكه الوطني ضد الاحتلال أو من يمثلهم.

أمّا العمل الإرهابي الذي عادة ما يكون ضحاياه من المدنيين، فهو بمثابة جريمة حرب وفقاً لمبادىء محكمة (نورنبرغ)، التي تعرّف التجاوزات في العمل الإرهابي واستهداف المدنيين بأنه: "خرق لقوانين الحرب وتقاليدها التي تشمل وبصورة غير حصرية الاغتيالات، وسوء المعاملة والإبعاد، وغيرها من الممارسات بحق المدنيين في المناطق المحتلة، من اغتيال أو إساءة معاملة سجناء الحرب، أو تصفية رهائن، أو سلب للأملاك العامة أو الخاصة، أو التدمير المتعمد للمدن والقرى، أو أعمال الاجتياح التي لا تبررها الضرورات العسكرية".[37]

لقد أدى عدم الاتفاق الدولي على تعريف محدد وواضح وجامع للإرهاب، إلى تداخل المفاهيم واختلاطها، حيث اختلفت التعريفات باختلاف المواقف والمصالح والاتجاهات والمعايير التي ارتكزت عليها كل دولة لتمييز العمليات الإرهابية، فقد عُرف بأنه استخدام غير مشروع للعنف أو التهديد باستخدامه ببواعث غير مشروعة، يهدف أساساً إلى بث الرّعب بين الناس ويعرض حياة الأبرياء للخطر، سواء أقامت به دولة أو مجموعة أو فرد وذلك لتحقيق مصالح غير مشروعة،

---

[35] المصدر السابق، ص 50

[36] المصدر السابق، ص 50

[37] كشك، تغريد سمير. (2001).إشكالية المقاومة الفلسطينية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، ص 23.

وهو بذلك يختلف كلياً عن حالات اللجوء إلى القوّة المسلحة في إطـــار المقاومـــة المشـــروعة.[38] وعرَّفته وزارة الدفاع الأمريكية: "بأنه الاستخدام غير المشروع للقوة أو العنف أو التهديد بهما من قبل منظمة ثورية ضد الأفراد والممتلكات، بقصد إكراه أو تخويف الحكومـــات أو المجتمعـــات، تحقيقاً لأهداف سياسية أو أيديولوجية".[39]

وانتهت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب عام 1989، إلى تعريف الإرهاب بأنه: "كل فعـــل من أفعال العنف أو التهديد أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع لتنفيذ مشروع إجرامـــي فـــردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريـــض حيـــاتهم وأمنهـــم للخطر"،[40] وقد أكدت هذه الاتفاقية أن الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان، وفقاً لمبادئ القانون الدولي الذي فرق بين المقاومة المسلحة في تقرير المصير وبين الإرهاب، لا يعتبر جريمة إرهابية.

أما مؤتمر وزراء خارجية دول العالم الإسلامي الذي عقد في الدوحـــة فـــي تشـــرين أول 2001، فقد عرف الإرهاب بأنه: "رسالة عنف عشوائية من مجهول بغير هدف مشروع أو قضية عادلة، وهو بهذا مخالف للشرائع السماوية والأعراف الدولية"،[41] كما وأكد المؤتمر على ضرورة عدم الخلط بين الكفاح المسلح الذي يخدم قضايا عادلة كما يحدث فـــي فلســـطين ولبنـــان وبيـــن الإرهاب.

---

[38] وثيقة الإرهاب والمقاومة رؤية عربية – اسلامية. الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، تمّوز 2003 نسخة الكترونية(استرجعت بتاريخ 16/2/2008). http://.mesc.com.jo/mesc-11-01.htm

[39] سويدان، أحمد حسين .(2005). الإرهاب الدولي في ظل المتغيرات الدولية. ط 1. بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية. ص 35.

[40] المصدر السابق، ص 39.

[41] المصدر السابق، ص 40.

وفي حال الرجوع إلى مجموع القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة وجمعيتها العامة ومنظماتها ولجانها المتخصصة بشأن مفهوم الإرهاب، نجد أنها عرفته بتلك الأعمال التي تعرّض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو تودي بها أو تهدد الحريات الأساسية أو تنتهك كرامة الإنسان، وتشير بوضوح إلى الإرهاب الرسمي الذي تمارسه الدول، وحددت حالات معينة يولد فيها أو من جرّائها الإرهاب، كالاستعمار والعنصرية وانتهاك حقوق الإنسان والحريات الإنسانية.[42]

على الرغم من عدم الاتفاق الدولي على إيجاد صيغة أو تعريف موحد للإرهاب، الذي اختلف تبعاً لاختلاف الاتجاهات والتوجهات السياسية والأيديولوجية والمصالح الخاصة للدول، إلا أن معظم التعريفات تقاطعت في عناصر أهمها:

الاستخدام غير المشروع للعنف أو التهديد به الذي غالباً ما يكون ضحاياه من المدنيين، يقوم به أفراد أو جماعات بصورة مستقلة أو مدعومين من طرف دولة ما لخلق حالة من الخوف والرّعب والضغط النفسي على الجهة المستهدفة، للحصول على مطالب وأهداف سياسية أو أيديولوجية أو غير ذلك، وعادة ما يتجاوز العمل الإرهابي حدود الهدف المباشر له والذي قد لا يكون له أدنى صلة بقضية الإرهابيين.[43]

إلا أن التعريفات وإن اتفقت على العناصر الأساسية الجامعة لمفهوم الإرهاب، اختلفت على مصدر العنف والجهة التي يطالها، فالتعريفات الصادرة عن الدول الكبرى كالولايات المتحدة، حاولت استثناء أعمال العنف والإرهاب المباشر وغير المباشر الذي تمارسه الدول والحكومات

---

[42] الكيلاني،هيثم.(1997). الإرهاب يؤسس دولة، نموذج إسرائيل.ط 1. القاهرة: دار الشروق، ص 17.

[43] الترتوري، مصدر سبق ذكره، ص 48-49.

المستعمرة ضد الدول والشعوب المستضعفة، وخصّته بالأفراد والجماعات الثورية متجاهلةً الأسباب التي قد تدفع بهؤلاء إلى سلوك طريق الإرهاب أو العنف.

وهناك من توسع في مفهوم الإرهاب ليشمل كل عمل له طابع العنف، سواء أكان صادراً عن أفراد أو جماعات أو دول أو حكومات، فيما فرّقت بعض التعريفات بين العنف الإرهابي المشروع الذي تمارسه حركات التّحرر الوطني ضد الدول الاستعمارية القمعية والعنصرية، والإرهاب غير المشروع الذي يوجه ضد المدنيين الأبرياء، دون تحديد من هم المدنيون الأبرياء وما هو المعيار القانوني الواجب اعتماده في تحديدهم، وهل يعتبر المحتل والمستعمر والمستوطنون الذين تم جلبهم من كافة بقاع الأرض ليقوموا بالاستيلاء على أراضي الشعوب الضعيفة بالقوة، ويحلوا محل سكانها الأصليين بعد طردهم منها أبرياء يجب تجنب استهدافهم كما هو الحال بفلسطين مثلاً.

إن هذه الانتقائية والعشوائية في وصف الأفراد والجماعات والدول بالإرهاب، وفقاً للأهواء والمصالح السياسية لكل طرف، وعدم إيجاد صيغة واضحة ومحددة لمفهوم الإرهاب، أدى إلى اختلاط الإرهاب بصور العنف السياسي الأخرى كالجرائم السياسية والحروب بأنواعها، سواء أكانت حروباً تقليدية أو حروب تحرير أو عصابات، مع صور الإجرام المنظم والعابر للحدود ومع العصيان والانقلابات.[44]

المقاومة الشعبية المسلحة

تتشكل المقاومة الشعبية المسلحة في حال تعرض أمة أو شعب لعدوان خارجي أو احتلال توسعي استيطاني يؤدي إلى استفزاز المشاعر الوطنية، وتتمثل بتلك "العمليات القتالية التي تقوم بها عناصر وطنية من غير أفراد القوات المسلحة النظامية، دفاعاً عن المصالح الوطنية أو القومية

---

[44] الترتوري، مصدر سبق ذكره، ص 28.

ضد قوى أجنبية، سواء أكانت تلك العناصر تعمل في إطار تنظيم يخضع لإشراف وتوجيه سلطة قانونية، أو كانت تعمل بناء على مبادرتها الخاصة، إمّا بمباشرةِ هذا النشاط في حدود الإقليم الوطني أو من قواعد خارج هذا الإقليم".[45]

وقد شكّلت التجارب الثورية على مدى العصور حضارة مقاومة ومثالاً يحتذى للشعوب التي لا زالت تحت الاحتلال والعدوان، والتي لم تدّخر جهداً في استخلاص العبر والدروس من ثوار سطروا بدمائهم أمجاداً وبطولات، وكانوا وقوداً أضاءت الطريق لحركات التحرر الوطني والاجتماعي. وقد أثبتت معظم التجارب التي خاضتها حركات التحرر الوطني ضد الاحتلال أنْ لا تحرير دون مقاومة، هذا ما قالته حركات التحرر الغربية ضد الاحتلال النازي، وما أثبتته التجارب الثورية في فيتنام وكوبا والجزائر ولبنان، وما تحاول إثباته حركات المقاومة التي لا زالت تتعرض للعدوان والاحتلال في لبنان وفلسطين والعراق وأفغانستان.

أشار فانون من خلال دراسته بعنوان (معذبو الأرض) أن العنف: هو السبيل الوحيد للقضاء على الاستعمار، وأن العالم الاستعماري الذي قام على العنف لا يمكن الخلاص منه إلاّ بالعنف. وقد عبّر عن إيمانه بأنّ "العنف هو السبيل الوحيد الذي يجب أن يسلكه المُستَعْمَرون؛ للتحرر من السادة المضطهدين والمُستَغِلّين الذين يتشدّقون بالكلام عن الحرية وعن الإنسان وهم يذبحونهما حيثما وُجدوا".[46]

وعلى الرغم من أن استعمال القوة المسلحة في العلاقات الدّولية يعتبر أمراً منافياً للقواعد والمبادئ الدولية، ولميثاق الأمم المتحدة كقاعدة عامة، إلا أن هذا التحريم استثني منه استعمال

---

[45] الترتوري، مصدر سبق ذكره، ص 67

[46] فانون، فرانتز. (1979). معذبو الأرض. ترجمة سامي دروبي وجمال الأتاسي. بيروت: دار الطليعة، ص 8.

القوة من أجل تصفية الاستعمار،[47] الذي يأتي بحسب القانون الدولي كمرحلة من مراحل الحرب تلي مرحلة الغزو مباشرة، وتسبق مرحلة استئناف القتال للمرة الثانية ضد قوات الاحتلال المعتدية، فهو بالتالي جريمة عدوان وعمل غير مشروع[48] وغير مبرر يترتب عليه ثبوت الحق المشروع للشعوب الخاضعة للاستعمار في مقاومة الاحتلال داخل أراضيها.

لمْ نشهد عبر التاريخ البشري أَنْ تعرض شعب لحملة عدوانية دون أن يسجل نماذج خالدة في المقاومة الشعبية المسلحة ضد المعتدي والمحتل، والتي عادةً ما تظهر في كنف الحروب الدفاعية لمواجهة الحروب العدوانية، حيث ينهض الشعب بعد هزيمة جيشه النظامي لمقاتلة القوات الغازية، وعليه فالمقاومة الشعبية هي نتيجة منطقية لقيام حالة غزو عسكري عدواني لإقليم من الأقاليم.[49]

أشار الدكتور "عز الدين فودة" إلى أن سلطات الاحتلال تقوم على أساس الأمر الواقع والوضع الفعلي، لا على ممارسات اختصاصات السيادة القانونية، لذا فهي عادة ما تلجأ إلى التنكيل بالمدنيين لإرغامهم على الطاعة وإفشاء الأسرار، مما يدفع هؤلاء إلى المقاومة وحمل السلاح وتنظيم أنفسهم في حركات مقاومة وطنية، كسبيل لا محيد عنه شرّعه القانون الدولي من أجل الدفاع عن النفس وحماية الممتلكات ووحدة الدولة المحتلة.[50]

الخلط بين المقاومة والإرهاب

---

[47] التقرير الاستراتيجي.(2003). مفهوم الإرهاب وحق الشعب الفلسطيني في المقاومة. ط 1.الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، ص 79.

[48] عماد،عبد الغني .(2002)." المقاومة والإرهاب في الإطار الدولي لحق تقرير المصير". المستقبل العربي،عدد 275: ص 32.

[49] الترتوري، مصدر سبق ذكره، ص 67.

[50] التقرير الاستراتيجي،مصدر سبق ذكره، ص 81-82.

بات مألوفاً من تجارب الشعوب ونضالها من أجل الحرية، أن تتردد مقولة لها منطقيتها وشرعيتها، بأن المقاومة بالإرهاب ضد الإرهاب ليس إرهاباً، ذلك أن مظاهر الإرهاب التي تشوب حركات التحرر الوطني، إنما تتصل بظاهرة أعمق هي ظاهرة الظلم والاستبداد والقهر والقمع التي تعاني منها الشعوب تحت الاحتلال.[51]

إن منطلق التمييز بين المقاومة والإرهاب، هو تحديد المقصود بالعنف المشروع الذي أقرته واعترفت به الشرعية الدولية عبر قراراتها القاضية بحق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال باستخدام كافة أشكال النضال للحصول على حقها في تقرير المصير، مقابل العنف غير المشروع الذي تمارسه جماعات لا تمثل إلا نفسها أو فئة قليلة في المجتمع ضد المدنيين الأبرياء، إضافة إلى ما تمارسه سلطات الاحتلال ضد الشعوب الواقعة تحت سيطرتها.

وقد ميزت الأمم المتحدة بين مفهومها وموقفها من قضية الإرهاب، وبين حق الشعوب في مقاومة الاحتلال، مؤكدة على الطبيعة القانونية لنضال الشعوب وحقها في تقرير المصير. وقد جاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (3034) لعام 1972 بمثابة انتصار للشعوب المستعمَرة، عندما عبرت عن أسفها لانتشار ظاهرة الإرهاب، وفي الوقت ذاته أعادت تأكيدها على الحق في تقرير المصير وشرعية نضال الشعوب الخاضعة للاستعمار والتسلط الأجنبي، وأدانت أعمال القتل والإرهاب الذي تمارسه الأنظمة الاستعمارية والعنصرية ضد حق الشعوب في تقرير المصير والاستقلال وحقوق الإنسان والحريات الأساسية.[52]

---

[51] حسونه،خليل.(2002). "بين أحقية عنف المقاومة وعدم شرعية إرهاب الدولة الإسرائيلية، الحالة الوطنية الفلسطينية". رؤية، عدد 17: ص 146.

[52] المصدر السابق نفسه، ص 146.

وفي قرارها لعام 1987 ضد الإرهاب، صوت 153 مع القرار و 2 ضده، وكان هذان الصوتان لأمريكا وإسرائيل ضد قرار إدانة الإرهاب، لاحتواء القرار على الفقرة التالية: "لا شيء في هذا القرار يمكن أن يفسَّر ضد حق تقرير المصير والحرية والاستقلال كما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة، أو ضد الشعب المحروم بالقوة من تلك الحقوق خاصة الشعوب الواقعة تحت النظم الاستعمارية والعنصرية والاحتلال الأجنبي".[53]

الخطوط الفاصلة بين الإرهاب والمقاومة.

في ظل الأوضاع الدولية غير العادلة، والدور المفقود للأمم المتحدة، والمعطَّل للمؤسسات الدولية الراعية لحقوق الإنسان، والمتراخي للدول العربية، حاولت كلٌّ من الولايات المتحدة وإسرائيل رسم صورة للمقاومة يتم بموجبها الربط بينها وبين الإرهاب وتحديداً بعد هجمات 11 سبتمبر، ذلك عبر تضخيم كل ما تقوم به حركات التّحرر من عمليات عنف مسلّحة لتبرير ما يقوم به الاحتلال من إرهاب منظم ومدروس ضد الشعوب، ومع هذا يبقى ثمة خطوط وفواصل يمكن خلالها تمييز عنف الكفاح المسلح لحركات التحرر عن العمل الإرهابي.

فالكفاح المسَّلح لحركات التحرر هو عنف جماهيري موجه ضد قوى استعمارية أو عنصرية فرضت وجودها بالقوة العسكرية، لذا فضربات المقاومة عادة ما تكون موجهة ضد عناصر الاحتلال ومؤسساته وقواعده العسكرية وكل من يخضع لسيادته وينفذ مخططاته وأهدافه التوسعية، وكل ما من شأنه الإضرار بالمصلحة الوطنية والوقوف عائقاً في سبيل الحرية والاستقلال، وبالتالي فالمقاومة لا توجه ضرباتها ضد مصالح دولتها الوطنية بما فيها من مؤسسات ورموز

---

[53] علّوش، إبراهيم ." ماذا تعني الحرب على الإرهاب". نشرت الدراسة على حلقتين في الملحق الأسبوعي العرب اليوم الأردنية في 29/8 و 5/9/2005 .نسخة الكترونية(استرجعت بتاريخ 12/8/2005)
www.freearabvoice.org/arabi/maqalat/mathata3neeal7arb.

وطنية ومدنيين، لذا فهي تحظى بتأييد ودعم أبناء الشعب بمختلف أطيافه واتجاهاته لتوافق المصالح ووحدة الهدف وعدالة القضية، فأخلاقية نضالها يجعلها محل دعم وتأييد وتعاطف واحترام المجتمع الدولي.

وهذا ما تفتقر إليه العمليات الإرهابية التي لا يمكن إسباغ طابع المشروعية على أعمالها اللاإنسانية واللاأخلاقية، التي تنطلق من أهداف مستساغة لدى القائمين عليها دون أي ارتباط بالوطنية أو الصالح العام أو الأهداف القومية المتعارف عليها في المجتمع،[54] والتي لا تستهدف تحطيم آلة العدو العسكرية والسياسية قدر حرصها على إثارة الرعب في الأوساط الشعبية والإضرار بالأمن القومي والاستقرار في البلاد. لذا فإن أبرز ما يميز المقاومة عن الإرهاب، المصلحة الوطنية وعدالة القضية ووحدة الهدف كمحور تدور حوله وتعمل في إطاره.

وقد أوضح الرئيس الراحل "ياسر عرفات" في كلمته أمام الأمم المتحدة عام 1974 الفرق بين الكفاح المسلّح للشعب الفلسطيني والإرهاب، واضعاً حدوداً ومقاييس للتمييز بينهما بقوله: "إن الذين يسموننا إرهابيين يريدون أن يحولوا دون اكتشاف الرأي العالمي لقضيتنا، ودون رؤيته للعدالة في وجوهنا، وهم يسعون إلى إخفاء ما تتسم به أعمالهم من إرهاب وطغيان، وموقفنا في الدفاع عن النفس".[55] مضيفاً:"إن الفرق بين الثوري والإرهابي يكمن في السبب الذي يقاتل كل منهما لأجله، إذ أنّ كل من يناصر قضية عادلة ويقاتل في سبيل الحرية وتحرير أرضه من الغزات والمستعمرين، لا يمكن بأي حال أن يسمى إرهابياً".[56]

المقاومة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001

---

[54] الترتوري، مصدر سبق ذكره، ص 69.

[55] أبراش، إبراهيم. "الإرهاب إشكاليته في تعريفه لا في محاربته ارهاب الأقوياء ودفاع الضعفاء ". 12/8/2007 (نسخة الكترونية) www.sis.gov.ps/arabic/roya/17/page2

[56] المصدر السابق.

حاولت وسائل الإعلام والدعاية الأمريكية الإسرائيلية الممتدة في كافة أنحاء العالم في أعقاب أحداث 11 سبتمبر، الخلط بين الإرهاب والمقاومة وفق خطة مدروسة ومبرمجة هدفها تضليل الرأي العام العالمي، وخلق حالة من عدم التمييز بين ما هو مشروع وغير مشروع، للحطِّ من قيمة وشرعية نضال الشعوب ضد الاحتلال، وإبعاد نظر المجتمع الدولي عن الإرهاب المنظم الذي تمارسه قوى الاستعمار ضد الشعوب المقهورة.

وقد اعتمد تصنيف الدول الكبرى وتحديداً الولايات المتحدة للإرهاب والإرهابيين قبل وبعد هجمات 11 سبتمبر 2001، على هوية الفاعل وعلى مدى العلاقة والمصلحة التي ترتبط بها الجماعات والدول بالولايات المتحدة وحلفائها وبالأخص إسرائيل، دون الأخذ بالأسباب والدوافع كأحد المعايير التي يتم من خلالها التمييز بين المقاومة المشروعة لحركات التحرر والإرهاب غير المشروع، إذ يكفي أن يقوم ذلك الشعب أو ذاك الرئيس أو تلك الحكومة بالاعتراض على سياسة الولايات المتحدة أو إحدى حليفاتها، ليتم إدراجه على قائمة الإرهاب، حيث أصبح ثوب الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر فضفاضاً بحيث يتّسع لكل من يخالف القانون الأمريكي لا القانون والشرعية الدولية، ولكل من يقف في وجه الأطماع والسياسة الخارجية الأمريكية.

وقد استطاع الإعلام الأمريكي الصهيوني التحكم في الصورة التي يكونها المجتمع الدولي عن الإرهاب والإرهابيين، بحيث يلونها باللون الذي يخدم مصالحه وأهدافه وسياسته الإخضاعية للعالم. فعلى سبيل المثال لا الحصر (مانديلا) الزعيم الوطني الإفريقي، الذي استُقْبِلَ استقبال الأبطال في معظم دول العالم، هو في عرف الملف الدولي للإرهاب الذي أعدته وزارة الدفاع الأمريكية إرهابي،[57] كذلك عصابات (الكونترا) في نيكاراغوا، الذين هم في عرف معظم الشعوب

[57] فاضل،خليل.(1991). سيكولوجية الإرهاب السياسي. ط 1. القاهرة: إصدارات خليل فاضل، ص 182.

والدول متمردون وإرهابيون، ترى فيهم الولايات المتحدة ثواراً وتقوم بمساندتهم ودعمهم ضد حكومتهم الشرعية، على الرغم من إدانة محكمة العدل الدولية لتدخل الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية لجمهورية نيكاراغوا، عن طريق دعمها وتسليحها وتمويلها وتدريبها لتلك العصابات.[58] كما واستدعت المصالح الأمريكية الإسرائيلية إدراج العديد من حركات التحرر الوطنية على قائمة الإرهاب، متجاهلة ومتحدية في الوقت ذاته قرارات الشرعية الدولية التي أعطت الحق للشعوب الواقعة تحت الاحتلال بممارسة كافة أشكال النضال للوصول إلى حقها في تقرير المصير، فاعتُبِرَ حزب الله تنظيماً إرهابياً لتصديه للاحتلال الإسرائيلي على أراضيه، كذلك أُدرجت حركات المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركتي حماس والجهاد الإسلامي، على قائمة التنظيمات الإرهابية لمقاومتها الاحتلال الإسرائيلي، وتم اعتبار المقاومة العراقية والأفغانية ضد الاحتلال والوجود الأمريكي–البريطاني على أراضيها حركات إرهابية تحارب ضد نشر الديمقراطية والسلام، وأيُّ سلام ستجلبه قوات الاحتلال عبر طائراتها وصواريخها ودباباتها وجرائمها ضد المدنيين؟ وهل يتطلب نشر الديمقراطية والأمن في بلد ما أن تُزهق أرواح مئات الألوف من المدنيين، وأن تُدمّر البنية التحتية لبلد ما، وإرجاعه إلى العصور الوسطى، لإعادة تشكيله من جديد بما يتفق مع الأهداف والأطماع الاستعمارية؟.

لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في أعقاب أحداث 11 سبتمبر إلى إقامة ملف دولي يربط العديد من الدول بالإرهاب، لا سيّما في العالم العربي، لشن حرب على حركات المقاومة المسلحة، خصوصاً في لبنان وفلسطين، عبر عدة وسائل كان أهمها: تعطيل مصادر التمويل المقدمة لحركات التحرر لشل أنشطتها، وتنسيق الجهود بين أجهزة المخابرات وتبادل

---

[58] سويدان، مصدر سبق ذكره، ص 127.

المعلومات فيما بينها، وتأجيج الحروب الأهلية والصراعات الفصائليه لتعطيل فعاليات المقاومة المسلحة، كما في لبنان وفلسطين والعراق، والإيقاع بين حركات المقاومة المسلحة وأوساطها الشعبية وبيئتها القتالية،[59] كقيام الاحتلال بقصف أي منزل تطلق بالقرب منه صواريخ للمقاومة.

نماذج تاريخية في العمليات التفجيرية

شكلت العمليات التفجيرية محور اهتمام الكثير من المحللين السياسيين والنفسيين وعلماء الاجتماع، وقد تكثفت الدراسات والحوارات والندوات واللقاءات عبر الفضائيات المحلية والعالمية، لدراسة هذه الظاهرة وفهمها من حيث أسبابها، دوافعها، أهدافها، وتداعياتها؛ بسبب ما أحدثته من جدل واسع على المستوى الداخلي الفلسطيني والساحتين الإقليمية والدولية.

وتعد العمليات التفجيرية أو "الاستشهادية" كما اصطلح على تسميتها فلسطينياً من أنماط المقاومة القديمة الحديثة، حيث أدى التقدم التقني والتكنولوجي في صناعة المتفجرات إلى استخدامها بطريقة مغايرة وأسلوب مختلف عن السابق، فقد أصبحت جزءاً مما يسمى حرب العصابات التي تقوم بها مجموعات فدائية سريعة الحركة. وبرزت أهمية هذا اللون من المقاومة في الحرب الأهلية الأمريكية، وفي الحرب العالمية الثانية وما بعدها، وأصبحت جزءاً من نظام الحروب الذي يُدَرّس في المعاهد والأكاديميات الحربية.[60]

ولعلّ المتتبع لتاريخ العمليات التفجيرية يلحظ عدم اقتصارها على الحركات الإسلامية أو المقاومة الفلسطينية، فهي معروفة منذ القدم، إلا أنها لم تأخذ هذا الشكل من العمليات والمتمثل باستخدام الحزام الناسف.

---

[59] نعمان،عصام . المشروعية الدولية للمقاومة.(نسخة إلكترونية) www.moqawama.org

[60] فتاوى في العمليات الاستشهادية. (نسخة إلكترونية) http://www.farwanapal.8m.com/fatwa3.htm

وقد اعتبر بعض المؤرخين قصة شمشون*المذكورة في العهد القديم في الإنجيل أقدم مثال على عملية انتحارية،[61] ولقد انتعشت خلال حروب الفرنجة، بعد قيام من يسمون أنفسهم (بفرسان المعبد) أو فرسان المسيح الفقراء، بتفجير سفنهم بأنفسهم وعليها مائتان منهم، وذلك من أجل تحطيم عشرة من سفن المسلمين وقتل ألفين منهم.[62]

وقد تطور استخدام العمليات التفجيرية في الحروب الثورية التحررية التي خاضتها الشعوب في شتى أنحاء العالم ضد الاستعمار، ويعتبر (جون جمال) أول استشهادي عربي، وكان قومياً من الديانة المسيحية بعدما قام بتفجير نفسه بإسقاط طائرته على البارجة الفرنسية أثناء العدوان الثلاثي على مصر.[63] ويزدحم التاريخ بالأمثلة لحركات ثورية بما فيها أوروبية قامت باستخدام تلك العمليات كوسيلة مقاومة قادرة على إلحاق الهزيمة وأكبر الخسائر في العدو، فاستُخدِمت من قبل المقاومة الروسية أثناء زحف القوات الألمانية باتجاه روسيا،[64]ومن قبل القوات الألمانية ضد الحلفاء بعد أن قامت بتطوير مشروع أسمته (زيلبشتوبفر)،* استخدمته في الحرب العالمية يقوم على العمليات التفجيرية، ثم قام الألمان بتطوير نوع من الصواريخ تدعى "سام" كان يقودها

---

* شمشون: ذكرت قصته في العهد القديم حيث أزاح بقوته الجبارة أعمدة المعبد الذي سقط على رؤوس الفلسطينيين فقتلوا وشمشون معهم، وهي أقدم مثال على عملية انتحارية.

[61] الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا. عملية انتحارية. (نسخة إلكترونية) http://www.ar.wikpedia.org/wiki

[62] بيب، روبرت."موت في سبيل النصر، المنطق الإستراتيجي للإرهاب الإنتحاري".ترجمة مسعد حجازي. راندوم هاوس للنشر. (نسخة الكترونية) http://www.alhaqaeq.net.

[63] عكاش،عمار." سيكولوجية الإرهاب في المجتمعات العربية" 20/12/2005. (نسخة الكترونية) http://www.ahewar.org/dabat/show.art.asp?aid=52799

[64] قامت فتاة روسية تدعى"زويا" بتفجير نفسها أمام الآليات الألمانية مما أدى إلى توقف زحف القوات المعادية، واعتبرت زويا بطلة الاتحاد السوفييتي. www.beirutletter.com

* زيلبشتوبفر (selbstopher): كلمة من مقطعين تعني التضحية بالنفس وهو مشروع يقوم على العمليات التفجيرية وكان مخصصاً لمهاجمة الأهداف الحيوية كالحانات ومقرات قيادة الحلفاء، وهو عبارة عن قنابل تدعى "فاو آينز"، يتم تركيب قمرة قيادة لها ثم تقذف من قاذفات القنابل ليقودها طيار انتحاري متطوع حتى تصطدم بالهدف.

طيارون انتحاريون يتم وضعهم في طوربيدات السفن والغواصات يتم توجيهها لضرب سفن الحلفاء.[65]

لاقت هذه العمليات صدىً واسعاً على المستوى العالمي، وأصبحت مثالاً يحتذى لدى حركات التحرر، بعد استخدامها من قبل (الكاميكاز)* الياباني في الحرب العالمية الثانية ضد الأسطول الأمريكي في ميناء بيرل هاربرت سنة 1941، فقد كانت الفرق الانتحارية المسماة بطياري (الكاميكاز) تقوم بإسقاط الطائرات اليابانية المحملة بالمتفجرات على السفن الأمريكية وحاملات طائراتهم، حيث أقدم أربعون فدائياً يابانياً على متن أربعين طائرة انتحارية بإلقاء طائراتهم في ميناء بيرل هاربر، مما أسفر عن تدمير وإغراق أربع عشرة سفينة حربية أمريكية.[66]

ولم تكن الطائرات الشكل الوحيد لعملياتهم الانتحارية، فقد استخدموا الطائرات الشراعية والزوارق والغوّاصات المليئة بالمتفجرات، والتي يقودها الانتحاري لضرب السفن الحربية المعادية، وقد حصدت العمليات الانتحارية اليابانية بمختلف أشكالها ما يزيد عن 5000 حالة وفاة في صفوف البحرية الأمريكية، من خلال تنفيذ أكثر من 3000 هجوم انتحاري.[67]

وقد شكلت التجربة الفيتنامية حضارة ثورية وتاريخاً بطولياً في حرب الشعب، ونموذجاً يحتذى لشعب قاوم وانتصر على الاحتلال الفرنسي والأمريكي كبرى دول العالم، وكان من بين الوسائل التي اعتمدتها المقاومة الفيتنامية العمليات التفجيرية، حيث كان المقاومون يقودون

---

[65] عبّاس، وائل. تعليق على مقال حول العمليات الإنتحارية للكاتب بيتر واطسون بعنوان "" do you want to die for your faith .http://misrdigital.plogspot.com/2004/12/blog-post_11035776906133824 20htmI

* الكاميكازي: كلمة يابانية تعني بالعربية الرياح المقدسة أو رياح الآلهة، وهي اسم إعصار شهير أنقذ اليابان من احتلال قوبلاي خان المغولي لها في عصور قديمة، والمصطلح كاميكازي يستخدمه الأمريكان، أما اليابانيون فيسمون تلك الوحدات "توكوتاي" وتعني اختصار وحدات العمليات الخاصة.

[66] عليق، مصدر سبق ذكره، ص 24.

[67] عطوان، عبد الباري.(2007). القاعدة التنظيم السري. ط 1. بيروت: دار الساقي،ص 111 .

الدراجات النارية أو السيارات مباشرة باتجاه الهدف قبل أن ينسفوا المتفجرات المربوطة إلى أجسادهم.[68]

وأثناء الاحتلال الفرنسي لفيتنام، شُكِّلت فرقٌ من القوات الفيتنامية سّميت (متطوعي الموت) مهمتها تنفيذ الهجمات الانتحارية ضد قوات الاحتلال الفرنسي والأمريكي، وفي عام 1968 هزّت سلسلة من الهجمات مدينة (سايغون) وأودت بحياة 232 جندياً أمريكياً، وأوقعت إصابات بالغة في صفوف الناجين بعد أن قام تسعةَ عشرَ انتحارياً بتفجير أنفسهم في السفارة الأمريكية.[69]

وفي العقدين الأخيرين من هذا القرن، لاقت هذه العمليات رواجاً واسعاً وأصبحت عنواناً وأسلوباً للعديد من حركات التحرر الوطني والحركات الانفصالية، سواء الإسلامية أو العلمانية منها، فاستخدمت في الشيشان ضد القوات الروسية، وفي الصومال وأفغانستان والعراق ضد الوجود الأمريكي، واستخدمها السودانيون ضد القوات الأوغندية والأثيوبية، حيث كانوا يحيطون أجسادهم بالمتفجرات ويجابهون الدبابات المعتدية.

وفي مطلع الثمانينات استخدمها الإيرانيون ضد الجيش العراقي في حرب الخليج الأولى بعد أن قاموا بتشكيل قوات خاصة سميت "باسيج"، كانت مهمتها الركض باتجاه العدو من أجل تفجير الألغام، وفتح الطريق للوحدات الإيرانية المهاجمة، وكان أفراد هذه القوات يقومون بتعليق مفاتيح على رقابهم من المفترض أن تفتح لهم أبواب الجنة بمجرد استشهادهم، إلاّ أنّ العمل بهذه الإستراتجية المتمثلة (بهجمات الأمواج البشرية) تمّ إيقافها عام 1984 بعد أن فقد (20000) من الإيرانيين حياتهم في هجومٍ واحد.[70]

---

[68] المصدر السابق نفسه.

[69] المصدر السابق نفسه.

[70] رويتر، كريستوفر.(2005). انتحار أم إستشهاد؟ رؤية غربية، جسدي سلاحاً. ترجمة: فاطمة نصر. إصدارات سطور، ص 77.

ومن أحدث النماذج وأقربها للذاكرة والتي كان لها دور كبير في إبراز هذا الأسلوب النضالي المتمثل بالعمليات التفجيرية، المقاومة اللبنانية ممثلة بحزب الله، والذي احتلت فيه هذه العمليات الجزء الأبرز في مقاومته.

فقد قدّم حزب الله نفسه نموذجاً لحرب الاستنزاف وحرب العصابات طويلة النفس، فاستخدم خلال 18 عاماً من الصراع (1982–2000) أساليب نضالية ناجحة كان أهمها وأبرزها العمليات التفجيرية، التي حالت دون شعور المقاومة اللبنانية بالعجز أو الفشل والإحباط في ظل إمكاناته العسكرية المتواضعة، مقارنة بالجانب الإسرائيلي الذي يمتلك ترسانة عسكرية متقدمة ومتطورة، فكانت العمليات التفجيرية بديلاً وئداً للطائرات والصواريخ الهجومية الإسرائيلية، وقد كانت عملية نسف مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور في 11/11/1983 والتي قام بها (أحمد قصير) وأسفرت عن 160 قتيلاً وقرابة المئتي جريح إسرائيلي، من أبرز العمليات التي شكلت منعطفاً تاريخياً في مسيرة المقاومة اللبنانية، وكان من أبرز نتائجها تقهقر الجيش الإسرائيلي إلى ما يسمى بالشريط الحدودي المحتل، بعد أن كان قد وصل إلى شارع الحمراء في قلب بيروت.[71]

وتوالت العمليات النوعية لحزب الله مستهدفة كافة القوات الأجنبية المتواجدة على الأراضي اللبنانية، ففي 18/4/1983، تم تنفيذ عملية تفجيرية دمرت السفارة الأمريكية في بيروت وقتلت 80 شخصاً، وفي 23/11/1983، تمّ اقتحام مبنى قيادة المارينز الأمريكية بشاحنة محملة بالمتفجرات، وقام السائق بتفجير الشاحنة وهو فيها، ويعتبرُ الموقع أكبر تجمع للقوات الأمريكية في بيروت، لذا كانت حصيلة القتلى مرتفعة جداً حيث بلغت حوالي 262 قتيلاً.[72] وفي نفس اليوم

---

[71] أحمد، رفعت سيد.(2002). من التطبيع إلى الانتفاضة صراع ومقاومة. ط 1. بيروت: دار الفكر، ص 16.

[72] ياسين،عبد القادر.(2001)."التجربة اللبنانية في الاستشهاد". صامد الاقتصادي، عدد 132: ص 123.

وقعت عملية تفجيرية أخرى في مقر القيادة الفرنسية بشاحنة محملة بالمتفجرات، أسفرت عن مقتل 71 جندياً فرنسياً، وأعلنت "حركة الثورة الإسلامية الحرة" مسؤوليتها عن العملية،[73] وكان لهذه العمليات صدىً واسع سرّع في عملية انسحاب القوات متعددة الجنسيات من لبنان، خاصة وأن العمليات لم تقتصر على التنظيمات الإسلامية، بل شارك فيها كافة أطياف المجتمع اللبناني، فدخلت التنظيمات العلمانية كالحزب القومي السوري، ودخل العنصر النسائي على خط العمليات التفجيرية، حيث سجلت "سناء المحيدلي" التابعة للحزب السوري الاجتماعي أول عملية تفجيرية في 9/4/1985، أسفرت عن مقتل ضابطين إسرائيليين وإصابة جنديين.[74]

وفي عام 1987 انتقل أسلوب العمليات التفجيرية إلى جماعة نمور التاميل في سيريلانكا، وهي حركة انفصالية ماركسية علمانية تنحدر من أصول هندية تحارب من أجل الحكم الذاتي. وكانت هذه الجماعة أول من ابتكر أسلوب الاغتيال عن طريق السترات المبطنة بالمتفجرات، وكانوا يضعون حول أعناقهم "حبل سيانيد" لضمان موتهم في حال عدم نجاح عملياتهم التفجيرية،[75] وقد نفذّت جماعة نمور التاميل ما بين عامي 1987 – 2000 حوالي 168 عملية تفجيرية،[76] وكان أهم ما يميز عملياتها تركيزها على العسكريين والشخصيات السياسية، حيث كان من أبرزها الهجوم الانتحاري الذي راح ضحيته راجيف غاندي رئيس وزراء الهند عام 1991.*

---

[73] المصدر السابق، ص 124.

[74] لمزيد من المعلومات حول العمليات التفجيرية التي بتنفيذها العنصر النسائي في المقاومة اللبنانية يرجى مراجعة عبد القادر ياسين، التجربة اللبنانية في الاستشهاد، صامد الاقتصادي، ص 127-128.

[75] بيب، روبرت."العمليات الإنتحارية لا علاقة لها بالإسلام". 7/8/2005. (نسخة الكترونية) http://www.com/elaphweb/asdaelaph/2005/81721.htm

[76] علوش، ابراهيم." ماذا تعني الحرب على الإرهاب". www.freearabvoice.org

* تم اغتيال راجيف غاندي على يد امرأة كانت ترتدي سترة مبطنة بالمتفجرات قامت بتفجيرها وهي تقدّم له عقداً من الورد، وكان دافعها انتقامياً، إثر قيام جنود من الهنود أرسلتهم حكومتهم لمساندة الحكومة السيريلانكية باغتصابها وقتل أربعة من أخواتها. بيب، روبرت. http://www.alhaqaeq.net

وقد أشارت دراسة لـــ (روبرت بيب) أستاذ العلوم السياسية بجامعة (شيكاغو) وأحد المتخصصين بالإرهاب الانتحاري، إلى أن نمور التاميل تفوقوا على المسلمين في الهجمات الانتحارية، وأن الفلسطينيين قد جاءتهم فكرة السترات المتفجرة (الأحزمة الناسفة) من جماعة نمور التاميل، الذين نمت وتطورت لديهم ثقافة الاستشهاد من جذور الحركة الوطنية ومن جذور الدين الهندوسي، حيث أصبح الاستشهاد واجباً دينياً ووطنياً في آن واحد، وأضاف الكاتب بيب إلى أن (نمرات التاميل) أكثر نجاحاً في القيام بالهجمات الانتحارية، لتفضيلهن الموت على الاغتصاب والعبودية.[77]

وقد انتقل هذا النوع من العمليات ما بين 1996– 1999 إلى حزب العمال الكردستاني، وهو تنظيم يتبنى الماركسية، حيث قام هذا الحزب بحوالي 15 عملية تفجيرية بالإضافة إلى 6 محاولات فاشلة، ولا نستثني من هذه العمليات تنظيم القاعدة الذي اعتمد هذا الشكل من العمليات ضد الاحتلال الروسي ثم الأمريكي لأفغانستان، فشاحنات القاعدة المحمّلة بالمتفجرات التي استخدمت في تفجير سفارتي الولايات المتحدة في (نيروبي) ودار السلام، استبدلت في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001 بأربع طائرات محملة بالركاب حيث قتل تسعة عشر انتحارياً نحو ثلاثة آلاف شخص.[78]

---

[77] المصدر السابق نفسه.

[78] عطوان، مصدر سبق ذكره، ص 113.

الفصل الأول

الخلفية التاريخية للعمليات التفجيرية الفلسطينية.

- تمهيد
- المقاومة الفلسطينية ومراحل تطور العمليات التفجيرية.
  - المرحلة الأولى (مرحلة السبعينيات).
  - المرحلة الثانية (مرحلة انتفاضة الثمانينات).
  - المرحلة الثالثة (مرحلة أوسلو).
  - المرحلة الرابعة (مرحلة انتفاضة الأقصى).
- دور فصائل المقاومة في ظل انتفاضة الأقصى.
- دوافع العمليات التفجيرية.
- مزايا العمليات التفجيرية وبواعث لجوء بعض حركات المقاومة لتنفيذها.

تمهيد:

مرّت المقاومة الفلسطينية عبر نضالها ضد الاحتلال الإسرائيلي بمراحل عدّة، كانت ولازالت مثالاً يحتذى لدى حركات التحرر العالمي، وقد عمدت المقاومة خلال تجاربها النضالية التطوير والتنويع في أشكالها وأساليبها وصولاً إلى أكثر هذه الأساليب إيلاماً بالعدو، ممثلة بالعمليات التفجيرية التي اختلفت نظرة المجتمع الدولي إليها باختلاف المسميات، فهي من منظور عربي إسلامي تعرف بـــ"العمليات الاستشهادية" على اعتبار أنها نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله ضد الاحتلال، بينما أطلق عليها الجانب الإسرائيلي "العمليات الإرهابية أو التخريبية"، في حين أطلقت عليها الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية والعربية التي تدور في فلكها بـــ"العمليات الانتحارية" تارة و"الإرهابية" تارة أخرى، وبعيداً عن الانحياز الفكري وفي الإطار العام غير الأيديولوجي، أطلق عليها اسم "العمليات الفدائية أو التفجيرية". لذا قامت الباحثة باعتماد مصطلح العمليات التفجيرية لالتزامها الحياد والموضوعية العلمية، وحتى لا تأخذ دراستها بُعداً أيديولوجياً أو سياسياً.

في المقابل فقد اختلفت مسميات عناصر المقاومة الفلسطينية تبعاً للمراحل الزمنية التي مرت بها المقاومة، فقد عُرف المقاومون الفلسطينيون ما قبل عام 1948 بـــ (الثّوار أو المجاهدون) في

حين أطلق اسم (الفدائيين) عليهم ما بين أعوام 1948– 1987، وصولاً إلى ما بعد 1987 وفي ظل اتفاقية "أوسلو" للسلام وانتفاضة الأقصى، حيث درج مصطلح (الاستشهاديون) على رجال المقاومة الذين اعتمدوا أسلوب العمليات التفجيرية كاستراتيجية غلبت على وسائل المقاومة الأخرى.

وتعتبر الفترة ما بين 1967– 1970 فترة تشكيل وتميز لمنظمة التحرير الفلسطينية، وهي الفترة الذهبية للعمل الفدائي الفلسطيني،[79] فقد تزايدت اللحمة بين فلسطينيي الداخل والشتات وارتفعت وتيرة العمليات الفدائية التي أخذت بالتطور والتزايد، فمن 6 عمليات تمت في كانون الثاني عام 1965 إلى 12 عملية شهرياً عام 1967، وارتفعت إلى 52 عملية شهرياً عام 1968، ثم إلى 199 عملية شهرياً عام 1969، وإلى 279 عملية شهرياً في الأشهر الأولى من عام 1970، وانخفضت بعد أحداث الأردن في عام 1970، ثم عادت لترتفع فبلغت 360 عملية عام 1978.[80]

أدى اتساع مجالات النضال الفلسطيني وتنوع أساليب المقاومة إلى إعادة إدراج القضية الفلسطينية على جدول الأعمال، وكان ذلك تمهيداً لإصدار الجمعية العامة لقراراتها المتتالية الداعمة والمؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في النضال والحق في تقرير المصير؛ مما أكسب القضية الفلسطينية تعاطف الرأي العام العالمي والقوى الثورية في العالم، فكانت عملية مطار اللّد عام 1972 التي قادها ثلاثة فدائيين يابانيين من الجيش الأحمر المتعاطف مع القضية

---

[79] حول منظمة التحرير الفلسطينية ونشأتها انظر:

Sayigh, Yazid. 1997. Armed struggle and the search for state: The Palestinian National Movement. 1949-1993. Washington, DC and Oxford Institute for Palestine Studies and Clarendon Press. Pp 80-87

[80] حول العمليات في تلك الفترة انظر: أحمد المرعشلي وآخرون(1984). الموسوعة الفلسطينية، ط 1، مجلد 4، بيروت: ص 313– 325.

الفلسطينية دليلاً على مدى التعاطف والاهتمام العالمي بالقضية الفلسطينية، تزايد عقب الخطاب الشهير للرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في أروقة الأمم المتحدة عام 1974.[81]

المقاومة الفلسطينية ومراحل تطور العمليات التفجيرية:

1. المرحلة الأولى: (مرحلة السبعينيّات)

على الرغم من أن العديد من القراءات والتحليلات السياسية أرجعت تاريخ ظهور العمليات التفجيرية الفلسطينية إلى عام 1993، على إثر موجة العمليات التي قادتها بعض التنظيمات الفلسطينية الرافضة لاتفاقية " أوسلو" للسلام، وتحديداً حركتي حماس والجهاد الإسلامي، إلاّ أن مراجعة سريعة لتاريخ نضال الشعب الفلسطيني تؤكد أن البداية الأولى لظهور هذا النوع من العمليات التفجيرية كان في السبعينيات، ضمن العمليات الفدائية التي سادت تلك الفترة والتي مثّلت جزءاً من البرنامج النضالي لحركة فتح والجبهتين الشعبية والديمقراطية في تلك المرحلة.

وقد رأت الباحثة من الأهمية بمكان تسليط الضوء على بعض العمليات التفجيرية التي سادت فترة السبعينات والقائمين عليها، والتي كان أبرزها:

1. **عملية الخالصة** في (11/4/1974): قام بتنفيذها مجموعة استشهادية من مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مستعمرة "كريات شمونة" شمالي فلسطين، وكان هدف العملية الإفراج عن مئة أسير فلسطيني من السجون الإسرائيلية، من بينهم الفدائي الياباني "كوزو أوكاموتو"* المحكوم بالمؤبد في السجون الإسرائيلية، وأسفرت العملية عن استشهاد مقاتلي

---

[81] المرعشلي، مصدر سبق ذكره، ص 42.

* كوزوأوكاموتو: هو أحد الثوار اليابانين المتعاطفين مع القضية والمقاومة الفلسطينية وينتمي إلى مجموعة "باتريك أرجو يلو" المكونة من ثلاثة فدائيين يابانيين من الجيش الأحمر، حيث قامت هذه المجموعة بالسيطرة على مطار اللد في 30/5/1972 لمدة 15 دقيقة تمكنوا خلالها من إعطاب طائرتين تابعتين لشركة "إل عال" الإسرائيلية، وقتل 31 شخصاً بين عسكري ومدني، وجرح 80 آخرين

الوحدة الانتحارية، ومقتل 18 إسرائيلياً وإصابة 15 آخرين إثر تفجير أنفسهم داخل المبنى الذي احتجز المقاتلون به الرهائن الإسرائيليين، وقد علّق (أحمد جبريل) الأمين العام للجبهة الشعبية على العملية بقوله: "إن الجبهة الشعبية قد قصت شريط العمليات الاستشهادية في الخالصة عام 1974 حين ذهب ثلاثة من المقاتلين هم: منير المغربي، أحمد الشيخ محمود و ياسين الموزاني وفجروا أنفسهم بالأحزمة الناسفة بعد نفاذ ذخيرتهم ورفضوا أن يرفعوا أيديهم ويستسلموا للعدو".[82]

2. **عملية ترشيحا** في (15/5/1974): نفذت على أيدي مجموعة تابعة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بزعامة نايف حواتمة، قامت باقتحام مدرسة (معالوت) شمال فلسطين، تقوم بتدريب طلاب للالتحاق بوحدات الجيش الإسرائيلي، وتم احتجاز 80 منهم كرهائن، طالبت المجموعة سلطات الاحتلال بالإفراج عن 26 مناضلاً في السجون الإسرائيلية، وعلى إثر مهاجمة قوات الاحتلال بقيادة (موشيه دايان) وزير الدفاع الإسرائيلي للموقع، قامت المجموعة بتفجير المبنى مما أدى إلى استشهادهم وعدد من الرهائن.[83]

3. **عملية أم العقارب** في (14/6/1974): قامت مجموعة تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باقتحام كيبوتز (كفار شامير)* واحتجاز عدد من الرهائن، مطالبين بالإفراج عن مئة من المناضلين والمناضلات في السجون الإسرائيلية، وكانت نتيجة العملية تفجير المجموعة

قبل أن يتمكن الجيش الإسرائيلي من قتل اثنين منهم وأسر الثالث وهو "كوزوأوكاموتو".

[82] http:www.palstinesons.com/files/airplane.doc

[83] حواتمة،نايف.(1998). أوسلو والسلام الآخر المتوازن. ط 1. دمشق: الأهالي، ص 204.

* كيبوتز كفار شامير: يقع شمال شرق فلسطين في منطقة صفد على الحدود السورية– الفلسطينية في موقع أم العقارب بسهل الحولة على طريق كريات شمونة – شامير.

الاستشهادية لأنفسهم مع الرهائن بعد رفض مطالبهم ومهاجمة موقعهم، مما أسفر عن مقتل 31 رهينة، ومقتل وإصابة 15 جندياً إسرائيلياً و 9 من سكان الكيبوتز.[84]

4. **عملية سافوي** في (6/3/1975): قامت مجموعة من ثمانية فدائيين تابعة لحركة فتح، بالسيطرة على فندق (سافوي) الواقع على شاطئ مدينة تل أبيب واحتجاز عدد من الرهائن، وانتهت العملية بتفجير الفدائيين أنفسهم بالرهائن بعد اقتحام الجيش الإسرائيلي للفندق، مما أسفر عن تدمير الفندق وقتل وإصابة أكثر من خمسين جندياً إسرائيلياً، وحوالي خمسين من المدنيين، وكان من بين القتلى "عوزي يئيري"* أحد ضباط الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية.[85]

5. **عملية المطّلة** في (18/7/1975): قامت مجموعة من رجال المقاومة الفلسطينية التابعة لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني بزعامة سمير غوشة باقتحام مستعمرة المطلة في الجليل الأعلى، وتمكنت من احتجاز عدد من الرهائن مطالبة الحكومة الإسرائيلية بالإفراج عن عشرين مناضلاً من سجونها، ودارت معركة بين الجانبين أسفرت عن تفجير الفدائيين أنفسهم بالأحزمة الناسفة وإيقاع عدد من القتلى والجرحى في صفوف الرهائن وقوات الاحتلال.[86]

6. **عملية كفار جلعادي** في(10/11/1975): قامت خلالها مجموعة مؤلفة من أربعة فدائيين تابعين لجبهة التحرير العربية، من اقتحام استراحة في (كفار جلعادي)* واشتبكت مع الجنود

---

[84] http://www.palestinesons.com/sup.php?id=765

* عوزي يئيري: أحد كبار ضباط الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الذين قادوا العملية الإسرائيلية في 10/4/1973 في بيروت، والتي أسفرت عن استشهاد قادة المقاومة الفلسطينية: محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر.

[85] للمزيد من التفاصيل حول عملية السافوي انظر: أحمد المرعشلي وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، ص 527.

[86] المرعشلي، المجلد الرابع، مصدر سبق ذكره، ص 229.

* كفار جلعادي: مستعمرة في الجليل الأعلى شمال فلسطين.

الإسرائيليين، وبعد نفاذ ذخيرتهم قاموا بتفجير أنفسهم بالأحزمة الناسفة، مما أسفر عن مقتل وإصابة 25 شخصاً في صفوف القوات الإسرائيلية، إضافة إلى الفدائيين الأربعة.[87]

7. **عملية كمال عدوان في العام 1987:** وهي من أكبر عمليات المقاومة الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة، حيث استطاعت مجموعة تابعة لحركة فتح مكونة من ثلاثة عشر فدائياً بقيادة دلال المغربي من احتجاز 63 رهينة في حافلة متجهة إلى تل أبيب، وعلى إثر اعتراض الجنود الإسرائيليين للحافلة حدث اشتباك مع مجموعة الفدائيين، أسفر عن انفجار الحافلة والرهائن بداخلها، مما أدى إلى مقتل 37 إسرائيلياً وإصابة 82 إضافة إلى استشهاد 11 فدائياً وأسر 2 بعد إصابتهما.[88]

لقد نجح الكفاح المسلح في هذه الفترة الممتدة من أواخر الستينات إلى أواسط السبعينات في تشكيل الهوية الوطنية الفلسطينية، حيث أصبح المجتمع الدولي ينظر إلى الشعب الفلسطيني كشعب ثوري يوجه كفاحه ضد قوات الاحتلال للحصول على حقه في تقرير المصير، وليس كمجموعة لاجئين لا حول لهم ولا قوة.

كانت العمليات الفدائية أداة رئيسية بيد (م.ت.ف) لتقوية استراتيجيتها الدبلوماسية، والضغط على المجتمع الدولي وتحريكه في ظل صمته على محنة ومعاناة الفلسطينيين قيادة وشعباً.

وقد رأى العديد من قادة الثورة الفلسطينية أن الدعوة التي وُجّهت للرئيس الرّاحل ياسر عرفات لإلقاء خطابه الشهير في أروقة الأمم المتحدة، ما هي إلا ثمرة للكفاح الفلسطيني، هذا ما صرّح

---

[87] المرعشلي، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، ص 645.

[88] لمزيد من المعلومات حول عملية كمال عدوان راجع المصدر السابق، ص 662.

به خليل الوزير (أبو جهاد) حين قال:" إن منطق الثورة هو الذي حملنا إلى منصة الأمم المتحدة سنة 1974، وهو الذي فرضنا كمراقب يتمتع باعتراف أكثر من 120 دولة"[89].

إلا أن تزايد النشاط العسكري للمقاومة الفلسطينية، وتوسيع مجالها لتشمل العمليات الخارجية، ألحق بالمقاومة أضراراً سياسية في مجال التأييد والتعاطف الدولي، مما أدى إلى انقسام الرأي العام الفلسطيني بشأن تلك العمليات وبخاصة اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن، حيث فضّل البعض حصر المقاومة داخل الأراضي المحتلة خاصة مع تزايد موجة الانتقاد والضغط الدولي، إضافة إلى الموقف الرسمي العربي الرافض لتلك العمليات.

وكانت الصدامات العنيفة التي حدثت بين الجيش الأردني والمقاومة الفلسطينية عام 1970، قد أدت إلى حرمان المقاومة من أهم ساحاتها النضالية بعد نقل قاعدتها إلى لبنان، حيث وجدت المقاومة نفسها محاصرة في مستنقع الحرب الأهلية اللبنانية مما أضعف من قدرتها وشلَّ حركتها، خاصةً بعد أن أَغلقت الدول العربية حدودها في وجه المقاومة الفلسطينية في كل من الأردن وسورية ومصر.

شكل الغزو الإسرائيلي للبنان ومحاصرته ل(م.ت.ف) مصدر ضغط عليها، أُضيف إلى الضغط الذي تعرضت له من قبل الأحزاب السياسية اللبنانية والزعماء اللبنانيين، الداعين إلى انسحاب المقاومة من بيروت في أعقاب الاستياء اللبناني، جراء تدهور الوضع الأمني في المناطق الواقعة تحت سيطرة (م.ت.ف) بسبب موجة التفجيرات التي اشتدت مع نهاية عام 1981.[90]

---

[89] الصايغ، يزيد.(2002).الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الحركة الوطنية الفلسطينية 1949-1993. ط 1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 932.

[90] المصدر السابق نفسة، ص 72.

أدى جلاء (م.ت.ف) عن بيروت وتوزيع المقاتلين الفلسطينيين على ثماني دول عربية وافقت على استضافتهم، إلى تدمير البنية التحتية للعمل الفدائي الفلسطيني لعدم وجود قاعدة جغرافية محددة تستطيع المقاومة من خلالها توجيه ضرباتها للاحتلال، فانخفضت العمليات الفدائية وتراجعت إلى حدود متواضعة في الثمانينات حتى اندلاع انتفاضة عام 1987.

2. المرحلة الثانية: (انتفاضه الثمانينات).

تحت عنوان "حينما تصبح الحجارة أقوى من الرصاص" كتب (أندريه أوستالنسكي) محرر الشؤون الخارجية في مجلة المرأة السوفييتية قائلا:" لقد أهدى عام 1988 اللغات العالمية مصطلحا جديداً هو (الانتفاضة)، ويكفي أن يدير المرء في المساء أو أي وقت آخر المذياع حتى يسمع هذه الكلمة لتعني بالفعل ظاهرة سياسية جديدة نوعيا غيرت الوضع في الشرق الأوسط، مضيفاً أن الانتفاضة دخلت كل لغات العالم ولا تترجم ولا يوجد ما يرادفها في قواميس المصطلحات".[91]

كانت الانتفاضة الأولى قد اندلعت في الثامن من كانون الأول عام 1987، وهدأت في العام 1991 في ظل مؤتمر مدريد، ثم توقفت تماما في العام 1993 تزامنا مع توقيع اتفاقية (اوسلو) للسلام.

ويعود السبب المباشر في اندلاعها إلى قيام شاحنة إسرائيلية بدهس أربعة فلسطينيين مما أدى إلى مقتلهم، أما الأسباب الأخرى فتتمثل باستمرار الاحتلال وممارساته القمعية واستمرار سياسة الاعتقالات والإبعاد ومصادرة الأراضي وإقامة المزيد من المستوطنات، إضافة إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في ظل صمت دولي وعجز عربي وعدوان إسرائيلي مستمر.

---

91 http://www.bakerabubaker.info/index.php?news=show&pageid=250

تميزت انتفاضة الثمانينات بالحضور الفاعل ل(م.ت.ف) التي اعتُمدت كمرجعية أساسية في الحركة الوطنية، استطاعت توحيد جهود العمل الوطني بإشراف قيادة وطنية موحدة، مما أدى إلى وضوح أهدافها وبرامجها وشعاراتها وشموليتها واستمرارها بفعل المشاركة الشعبية.[92]

لم يكن الخيار العسكري وارداً في برنامج المقاومة الفلسطينية في الانتفاضة الأولى، حيث كانت المقاومة المدنية السّمة الغالبة على فعالياتها، فكانت الحجارة سلاح المنتفضين، ومثّلت المسيرات والاعتصامات جزءاً هاما من فعالياتها، مما أكسب القيادات التنظيمية داخل الأرض المحتلة وضعية جديدة، إذ تحولت من عناصر إسناد إلى قيادات ميدانية مركزية تتحمل مسؤولية استمرار المواجهة، خاصة مع اكتساب القيادات التنظيمية في الداخل خبرة نضالية وتنظيمية كبيرة ونضجاً سياسياً عالياً.[93]

وكان البناء التنظيمي للانتفاضة يقوم على شبكة واسعة من اللجان الشعبية المنبثقة عن القيادات الموحدة للانتفاضة، والتي كانت تدير العمل اليومي وفعاليات الانتفاضة الشعبية في الأراضي المحتلة، وفقاً للمهام التي تحددها قيادة الانتفاضة عبر نداءاتها المتتالية. [94]حيث برزت

---

[92] عبد الله، أحمد فارس. (2004).الانتفاضة الفلسطينية، دراسة تحليلية مقارنه ما بين انتفاضتي عام 1987–2000. رسالة دكتوراة. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية. ص 278.

[93] الجرباوي،علي.(1989).الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، بحث في النخبة السياسية. ط 1. بيروت: دار الطليعة، ص 80.

[94] شاليف،آرييه. (1993). الانتفاضة أسباب، خصائص، انعكاسات. ترجمة: عليان الهندي. القدس: جمعية الدراسات العربية، ص 66–67.

القوات الضاربة*واللجان التي تُعنى بتقديم الخدمات الإنسانية، من مساعدات طبية وتموين وإغاثة بالإضافة إلى ما تقدمه لجان العمل التطوعي من خدمات تثقيفية وتعليمية.

استخدم الاحتلال سياسة القبضة الحديدية في قمع الانتفاضة، وقد شكلت الصّور التي تم التقاطها عبر وسائل الإعلام للجيش الإسرائيلي وهو يعتدي على الفلسطينيين بتكسير عظامهم، إدانة دولية لإسرائيل وإساءة لسمعتها أمام المجتمع الدولي، وفي الوقت ذاته شكلت مصدراً لتعاطف الرأي العام الدولي مع الشعب الفلسطيني وقضيته. فقد انتقد وزير الخارجية البريطاني (دوغلاس هيرد) سياسة إسرائيل في الأراضي المحتلة قائلا:"إن أي شخص عنده مشاعر إنسانية لابد وأنْ يتعاطف مع الفلسطينيين، فأراضيهم محتلة كما أنهم لا يتمتعون بأية حقوق سياسية".[95]

أمّا عن نتائج انتفاضة الثمانينات فقد استطاعت إبراز القضية الفلسطينية مجدداً على سطح الأحداث الدولية، ومن جهةٍ أخرى فقد تم الإعلان بتاريخ 31 تموز عام 1988 عن فك الارتباط أو العلاقات القانونية والإدارية بين الأردن والضفة الغربية في خطاب للملك حسين قال فيه:" إن فك الارتباط يأتي تمشياً مع رغبة(م.ت.ف) والتوجه العربي العام المنسجم وهذه الرغبة لتأكيد الهوية الفلسطينية."[96] وقد أدى هذا الإجراء إلى الاعتراف الإسرائيلي والدولي بمنظمة التحرير

* القوات الضاربة: هي عبارة عن فرق من المقاومين تولت مسؤولية الاشتباك مع قوات الاحتلال بالحجارة، الزجاجات الحارقة، إقامة حواجز بالإطارات المشتعلة، الكتابة على الجدران وإلقاء المناشير، إضافة إلى التحقيق مع كل من يشتبه بتعاونهم مع الاحتلال ومعاقبتهم في كثير من الأحيان.

[95] أبو عفيفة، طلال.(1998). الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية 1987– 1997. ط 1. بدون دار نشر، ص 449

[96] المصدر السابق نفسه، ص 482.

الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، ومن ثم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية عام 1993 عقب توقيع اتفاقية (اوسلو) للسلام والتي حلّت فيما بعد مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية.

2. المرحلة الثالثة: (مرحلة أوسلو 1993- 2000).

تميزت مرحلة (اوسلو) بأن القوى الفلسطينية الأساسية التي تبنت المقاومة المسلحة طوال العشرين سنة السابقة ممثلة بقيادة (م.ت.ف) وحركة فتح، قد جنحت إلى خط التسوية السلمية، بينما ظهرت فصائل فلسطينية جديدة تبنت العمل العسكري وفق منظور إسلامي جهادي وبرعت في استخدام العمليات التفجيرية.[97]

كانت عملية ساهر التَّمام عام 1993 العملية الأولى لحركة حماس تعبيراً عن رفض الحركة لاتفاقية (أوسلو) للسلام، ثم أَخذت موجة العمليات التفجيرية في التصاعد بفعل ممارسات الاحتلال الاستفزازية، فجاءت الموجة الأولى رداً على قيام أحد المستوطنين ويدعى "باروخ غولدشتاين" بارتكاب مذبحة الحرم الإبراهيمي*، ليكون رد المقاومة الفلسطينية بسلسلة من العمليات التفجيرية كان أولها في مدينة (العفولة)، والتي قام بها الشهيد رائد زكارنة في 6/4/1994 وأوقعت ثماني قتلى وعشرات الجرحى، ثم عملية الخضيرة والتي قام بتنفيذها الشهيد (عمار عمارنة) بواسطة حزام ناسف وأوقعت خمسة قتلى، وجاء الرّد الثّالث في قلب تل أبيب في 9/10/1994 باستخدام حقيبة متفجرات قام بها الشهيد (صالح صوي) وأوقعت 22 قتيلاً، أما الرد الرابع فكان للشهيدين

---

[97] صالح، محسن محمد.(2003). "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية". ط 1. مركز الإعلام العربي، ص 322

* قام المتطرف الإسرائيلي "باروخ غولدشتاين" بإطلاق النار على الفلسطينيين في الحرم الإبراهيمي عام 1994 أثناء تأديتهم لصلاة الفجر في شهر رمضان المبارك، وراح ضحية هذه المجزرة 29 فلسطينياً. شكلت هذه المذبحة استفزازا لمشاعر الفلسطينيين أعلنت حماس في أعقابها عن حرب شاملة على إسرائيل تمثلت بموجة من العمليات التفجيرية داخل المناطق المحتلة عام 1948 .

(صلاح عبد الحميد وأنور سكر) في عملية أوقعت 22 قتيلاً وعشرات الجرحى،[98] ومن الملاحظ أن جميع العمليات كانت قد نفذت في داخل المدن الإسرائيلية.

جاءت الموجة الثانية والأعنف رداً على إتباع الحكومة الإسرائيلية لسياسة الاغتيالات التي كان أبرزها اغتيال الشّهيد (يحيى عياش)، وكان الرد من خلال عدة عمليات أبرزها عمليتان في القدس، الأولى في الخامس والعشرين من شباط عام 1996 وقتل فيها 25 إسرائيلياً، والثانية في الثالث من آذار من نفس العام وقتل فيها 17 إسرائيلياً، بالإضافة إلى عملية أخرى في المجمع التجاري (ديزنغوف سنتر) في تل أبيب في الرابع من آذار من العام نفسه.[99]

على إثر موجة العمليات المتصاعدة عقدت قمة في شرم الشيخ عام 1996، تم خلالها أول إدانة للعمليات التفجيرية، ونزولاً عند رغبة الولايات المتحدة الأمريكية لم يأت بيان القمة على ذكر مصطلح العمليات الاستشهادية. واعترف رئيس جهاز الشاباك الإسرائيلي السابق (يعقوب بيري) في كتابه " القادم لقتلك" بأن العمليات التفجيرية كانت أول تهديد وجودي تواجهه الدولة العبرية منذ نشأتها حتى ذلك التاريخ.[100]

فيما بعد اتخذت السلطة الوطنية الفلسطينية بفعل الضغوط العربية والدولية قراراً استراتيجياً بوقف تلك العمليات، فقامت باتخاذ إجراءات قاسية بحق حركتي حماس والجهاد الإسلامي كان من بينها إغلاق العديد من المؤسسات التابعة لهما، واعتقال العديد من كوادرهما، محاولة بذلك

---

[98] الزعاترة، ياسر." ظاهرة الاستشهاد صناعة للحياة وليس للموت". 22-4-2003 (نسخة الكترونية).
. http:/www.qudsway.com/links/quds/1/htmlquds1quds

[99] العمليات الاستشهادية سلاح فتاك، مجلة المجتمع، 2-7-2002.(نسخة الكترونية)
.http://www.almugtamaamag.com/detailnesctionid=1243

[100] سواحل،وجدي عبد الفتاح. (2003).القنابل الاستشهادية توازن ردع وبشائر نصر. ط 1. مصر: مركز الإعلام العربي ، ص 111.

التصدي لنفوذهما الذي أخذ يتمدد ويتسع بفعل التأييد والتعاطف الشعبي الفلسطيني مع تلك العمليات والقائمين عليها.

تقلصت العمليات التفجيرية في عام 1997، وأدى اغتيال القادة العسكريين في حركة حماس (محيي الدين الشريف وعماد عوض الله وعادل عوض الله) عام 1998 إلى غياب شبه كامل لهذه العمليات خلال العامين 1998 و 1999، بفعل التنسيق الأمني بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، لتعود وتظهر بشكل أقوى في انتفاضة الأقصى عام 2000.

4. المرحلة الرابعة: (مرحلة انتفاضة الأقصى 2000)

ظنّ الفلسطينيون بعد الإعلان عن قيام السلطة الوطنية في العام 1994 على جزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة، أنهم وضعوا حجر الأساس على طريق الاستقلال وإقامة الدولة الفلسطينية، وكانت السلطة الفلسطينية قد أعلنت أنه بانتهاء المرحلة الانتقالية ومدتها خمس سنوات، في 4 أيّار/ 1999، فإن 90% من الأراضي المحتلة ستكون بيدها، إلا أن الاحتلال كان قد أعاد انتشار قواته على نحو 40% فقط من الأراضي المتفق على تسليمها للسلطة، 18% تقع ضمن المنطقة (أ) خضعت للسيطرة الإدارية والأمنية الفلسطينية، و 22% ضمن المنطقة (ب) خضعت إداريا للسلطة الفلسطينية وأمنيا للاحتلال الإسرائيلي.[101]

أظهر ذلك مدى الإخفاق السياسي الذي عاشته السلطة الفلسطينية منذ أوسلو، بسبب الفشل في إحراز أي تقدم حقيقي على الأرض خلال سنوات، إلا أن ذلك لم يكن السبب الوحيد في اندلاع انتفاضة الأقصى على الرغم من أهميته، فقد كانت زيارة شارون للمسجد الأقصى في 28\9\ 2000 بمثابة الشرارة التي أشعلت نار الانتفاضة، لما شكلته تلك الزيارة من استفزاز واستخفاف

[101] الصوفي،احمد.(2000). انتفاضة الأقصى، الدوافع والأسباب. كنعان، عدد 10: ص 44.

بمشاعر المسلمين عموما والفلسطينيين خصوصاً، وقد لاقت هذه الزيارة إدانة واسعة من قبل المجتمع الدولي، ففي كلمة لمندوب فرنسا الدائم في مجلس الأمن قال:"إن هذه الأحداث هي نتيجة الاستفزاز المقصود الذي قام به السّيد (آرييل شارون)، وأنّ فرنسا لتندد دون تحفّظ بالزيارة غير المسئولة للمسجد الأقصى والتي قام بها لأسباب داخلية".[102]

وكان للطريقة التي تعاملت بها الحكومة الإسرائيلية في قمع الانتفاضة السلمية، عبر استخدام القوة العسكرية دورٌ في استمرارها وتصاعدها، خاصة في ظل حالة الإحباط التي سادت الشارع الفلسطيني في أعقاب فشل محادثات كامب ديفيد الثانية، وقامت الإدارة الأمريكية والإسرائيلية بتحميل الجانب الفلسطيني ممثلاً بالرئيس عرفات مسؤولية استمرار حالة العنف.

أمّا عن الأسباب غير المباشرة، فتتمثل في ضعف وسوء أداء السلطة، وعدم التزام الجانب الإسرائيلي بتنفيذ بنود اتفاقية اوسلو والتي كان أبرزها: عدم إطلاق سراح كافة الأسرى والمعتقلين، والاستمرار في سياسة تهويد القدس، وسياسة الزحف الاستيطاني الذي حاول الاحتلال خلالها فرض حقائق ووقائع جديدة على الارض استباقا للتسوية النهائية، والتي وصفها (يوسي بيلين) بالفطريات السّامة التي تظهر كحقائق ثابتة أثناء المفاوضات مع الفلسطينيين،* كان لهذه الأمور مجتمعة دورٌ في حالة الإحباط التي سادت الشارع الفلسطيني، مما أدى إلى فقدانه الثقة بالعملية السياسيه.

---

[102] عبد الله، أحمد فارس . مصدر سبق ذكره، ص 194.

* علّق يوسي بيلين على سياسة الاستيطان بعد أوسلو قائلاً: :" يد إسرائيلية توقع على الأوراق مع الفلسطينيين، ويد ثانية تبني المزيد من المستوطنات، حيث تظهر كالفطريات السامة أثناء إجراء المفاوضات كحقائق ثابتة تنتصب أمام كل عين، ففي حين بدأ عهد السلام عام 1977 كان عدد المستوطنين في المناطق المحتلة (20000) واليوم (200000) وشهدت القدس العاصمة الأكثر حساسية سياسية ودينية في العالم في عهد باراك، تواصلاً للبناء في رأس العامود وجبل أبو غنيم، فمن هنا في إسرائيل لا نرى تماما الآثار الصعبة لامتداد المستوطنات، ولكن كل فلسطيني في أي مكان يقيم يرى هذه الآثار حين ينظر في الصباح والمساء من نافذة بيته وكذلك يرى كل الشوارع والطرق الالتفافية والتفاف الالتفافية التي تقطّع أوصال أرضه.احمد الصوفي، ص:45، مصدر سابق

وكان الاقتصاد الفلسطيني قد شهد تراجعاً ملحوظاً بعد توقيع اتفاق اوسلو عام 1993 واتفاق باريس الاقتصادي،* وحسب صندوق النقد الدولي لعام 1998 فقد تدهور مستوى المعيشة بالضفة الغربية وقطاع غزة بنسبة 40% عمّا كان عليه قبل اوسلو،[103] وارتفعت نسبة البطالة حتى وصلت في قطاع غزة إلى 50% والضفة الغربية إلى 30%، مما دفع احمد قريع رئيس المجلس التشريعي آنذاك إلى التعبير عن استيائه من اتفاق اوسلو واتفاق باريس الاقتصادي في نيسان 1999 قائلا:" علينا أن ننتهي الآن وليس غداً من هذه اللعينة اوسلو التي لا تفتح على تنمية اقتصادية، مضيفاً أنه صاحب اتفاق باريس الاقتصادي ومع ذلك فهو يدعو إلى ضرورة التخلص منه".[104]

وكان أبرز ما ميّز انتفاضة الأقصى، افتقارها إلى القيادة الموحدة والأهداف والبرامج السياسية الواضحة، في ظل وجود قوتين متنافستين على الساحة الفلسطينية إحداهما متمسكة بالعملية السياسية والمفاوضات، والأخرى ترفع شعار المقاومة المسلحة والعمليات التفجيرية كوسيلة وحيدة لدحر الاحتلال، وقد انعكس ذلك سلباً على جهود المقاومة التي لم تستطع قطفَ ثمار تضحياتها، فحالة الانقسام حول وسائل المقاومة المفترضة في انتفاضة الأقصى بقيت موضع خلاف وجدل مستمر، وتحديداً بعد بروزِ العمليات التفجيرية التي أربكت الشارع والحكومة

---

* اتفاق باريس الاقتصادي:وقِّع في عام 1994 هدفه تنظيم العلاقات الاقتصادية بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، إلا أن الحكومة الإسرائيلية استغلته لتكريس سياسة الدمج والإبقاء على تبعية الاقتصاد الفلسطيني للاقتصاد الإسرائيلي من خلال سيطرتها على السوق وتحكمها بمفاتيح العلاقات الاقتصادية الفلسطينية مع الدول العربية والعالم الخارجي وذلك عبر سيطرتها على الحدود والمعابر.كما أُخضعت بموجبه السياسات المالية والمصرفية إلى قرارات البنك المركزي الإسرائيلي الذي أخضعها لرقابته.انظر أحمد الصوفي، مصدر سبق ذكره ص 44.

[103] حواتمه، نايف.(1998). أوسلو والسلام الآخر المتوازن. دمشق: الأهالي، ص 295.

[104] حواتمة، نايف. (2004). أبعد من أوسلو فلسطين إلى أين؟. ط 2. القاهرة: المحروسة، ص 41. انظر أيضاً احمد الصوفي، مصدر سبق ذكره، ص 45.

الإسرائيلية، وعملت على إيجاد نوعٍ من توازن الرعب كأحد جوانبها الإيجابية، ولاقت في الوقت نفسه إدانة دولية واسعة، أفقد المقاومة الفلسطينية تعاطف الرأي العام العالمي، وكانت سبباً في إلصاق تهمة الإرهاب بها كأحد جوانبها السلبية.

وفي المحصّلة كشفت أحداث الانتفاضة عن ثغرات عدة في الوضع الفلسطيني لا سيّما في الجوانب السياسية نتيجة غياب المأسسة، وسيطرة عقلية التَّفرد والاستئثار ونفي الآخر، وقد أدى ذلك إلى عدم حسم خيار المقاومة من قبل السلطة مما عطّل أي إنجاز لها،[105]وبعد ثماني سنوات من التضحيات كشف الواقع الفلسطيني عن حجم الخسائر البشرية الفلسطينية الذي تجاوز (5000) شهيداً، وعن انقسامٍ سياسي وصراع فصائلي على سلطة وهمية، وانفصال جغرافي بين الضفة وغزة، وتقزّمت المطالب الفلسطينية في المفاوضات من إنجاز حق العودة والتحرير وإزالة المستوطنات وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، إلى المطالبة بالتهدئة وفتح المعابر ورفع الحصار وإزالة الحواجز التي تجاوزت 630 حاجزاً حتى نهاية العام 2008.

دور فصائل المقاومة الفلسطينية في ظل انتفاضة الأقصى:

جاءت انتفاضة الأقصى عام 2000 كحلقة في سلسلة كفاح الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي، حيث دخل الفلسطينيون من خلالها مرحلة جديدة ومنعطفاً تاريخياً هاماً في النضـــال الفلسطيني، عندما اتخذت بعض فصائل المقاومة قراراً استراتيجياً باستغلال الطاقـــات البشـــرية لمواجهة الآلة الحربية الإسرائيلية المتمثلة بالطائرات والصواريخ والدبابات، فـــبرزت العمليـــات

[105]هيلانه، روز يعقوب.(2008). أثر أحداث 11 سبتمر على الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية. رسالة ماجستيرغير منشورة، بيرزيت، رام الله. ص 104.

التفجيرية كاستراتيجية وعنوان للكفاح المسلح تبنتها العديد من الفصائل الفلسطينية، فكانت انتفاضة الأقصى البداية الجدية وليست الأولى لهذا النوع من العمليات.

وقد شكّلت هذه المرحلة بدايةً لعودة بعض فصائل المقاومة التي التزمت طيلة عشر سنوات بالتسوية السلمية إلى الكفاح المسلح، بعد انضمام كتائب شهداء الأقصى الجناح العسكري لحركة فتح، وكتائب أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية إلى الكفاح المسلح وتحديداً العمليات التفجيرية، مما شكّل مفاجأة للمجتمع الدولي وإحراجاً للسلطة الفلسطينية التي ماانفكت عن الإعلان على التزامها بالمفاوضات والعملية السلمية، ولأهمية هذه المرحلة ستحاول الباحثة تسليط الضوء على دور بعض فصائل المقاومة في انتفاضة الأقصى، لقناعتها بأن لكل فصيل بصماته التي تركها على مجمل الوضع الفلسطيني والعملية السياسية وعلى مسار الانتفاضة.

حركات المقاومة الإسلامية: وجدت حركتا حماس والجهاد الإسلامي في زيارة شارون الاستفزازية لباحة المسجد الأقصى، وفي طريقة تعامل جيش الاحتلال مع المظاهرات الفلسطينية، فرصة للتخلص من عملية التسوية السلمية والعودة مجدداً إلى الكفاح المسلح، يتّضح ذلك من خلال ما جاء في البيان الأول لحركة حماس بتاريخ 29/9/2000 والذي قالت فيه:" إن هذه الدماء تشكل رسالة واضحة للسلطة الفلسطينية تطالبها بالانسحاب الفوري من المفاوضات، وإننا ندعو السلطة الفلسطينية للاستجابة لضمير شعبنا وأمتنا، والعودة للالتحاق بالشعب وخياره الحقيقي المتمثل بالجهاد والاستشهاد، والتعامل مع العدو الصهيوني باللغة التي لا يفهم سواها وهي لغة القوة والمقاومة".[106]

[106] نوفل،ممدوح.(2002). الانتفاضة انفجار عملية السلام. ط 1. عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص 86.

وكانت حركات المقاومة الإسلامية قد أظهرت قدرة عالية على تفعيل المقاومة من خلال تنفيذ أكبر عدد من العمليات التفجيرية عنفاً وتدميراً، استطاعت خلالها استقطاب الشارع الفلسطيني لصالح برنامجها القائم على الكفاح المسلّح في المدن الإسرائيلية، وجدير بالملاحظة أن حركة حماس على الرغم من دورها المميز في تفعيل المقاومة، فإن تفاعلها ومشاركتها في أحداث انتفاضة الأقصى وخاصة العمل العسكري الذي أصبح في مرحلة ما مطلباً جماهيرياً وحتى فصائلياً جاء متأخراً، مما قاد إلى الاعتقاد بأن السلطة الوطنية هي المحرك للانتفاضة.

ويعود غياب حماس في الأيام الأولى للانتفاضة في أحد أسبابه، إلى شعورها أو تقديرها بأن الانتفاضة هي انتفاضة تحريك للمسار السياسي المتعثر وليس حالة مقاومة مستمرة،[107] إلا أنها وبعد أن أدركت أن الأمور وصلت إلى طريق مسدود بين السلطة والحكومة الإسرائيلية، انخرطت في المقاومة وصعَّدت من عملياتها التفجيرية.

حاولت السلطة الوطنية في مراحل معينه ونتيجة الضغوط الدولية إقناع حركتي حماس والجهاد الإسلامي بوقف العمليات التفجيرية، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، فالمعارضة الفلسطينية التي اتخذت من العمليات وسيلة لإفشال المفاوضات، تعاملت مع الانتفاضة باعتبارها على الأغلب غاية في حد ذاتها، فحمّلتها أكثر مما تحتمل من الأهداف والشعارات، وعملت على توتير طاقاتها دون مراعاة أهمية الحفاظ على طول نفسها، فلم تتعامل معها باعتبارها مرحلة من مراحل الكفاح الفلسطيني الطويل، ولم تأخذ بعين الاعتبار واقع أن الانتفاضة مقيدة بالحدود الجغرافية والبشرية في الضفة الغربية،[108] وللحقيقة أيضاً أن السلطة لم تتخذ خطوات جادة للضغط

---

[107] عطاونه، أحمد عبد المحسن.(2007). الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس 1987-2006.رسالة ماجستير غير منشورة، بيرزيت، فلسطين، ص 98.

[108] كيالي، ماجد.(2002)."انتفاضة الأقصى تعقيداتها وإشكالياتها". رؤية، عدد 20: ص 61.

على حركتي حماس والجهاد الإسلامي لوقف العمليات منذ بدايتها، ذلك أنها راهنت على استخدامها كورقة ضغط للحصول على مكاسب سياسية، ورفْع سقف مطالبها في المفاوضات مع الإسرائيليين التي كانت قد وصلت إلى طريقٍ مسدود.

أما **حركة فتح** فقد سعت منذ البدايات الأولى لأن تأخذ المقاومة الفلسطينية الطابع الشعبي السِّلمي أسوةً بانتفاضة عام 1987 والابتعاد عن المقاومة المسلحة، فلم تنتهج خط العمليات التفجيرية في بداية الانتفاضة ذلك لتحفظها على تنفيذ عمليات في المناطق المحتلة عام 1948 ضد المدنيين من ناحية، ولتمسكها بالعملية السياسية القائمة على المفاوضات، ووعيها بضرورة ربط الأشكال النضالية باستراتيجيه دحر الاحتلال والاستيطان من ناحية أخرى، وهذا ما يفسر سعيها لممارسة المقاومة المسلحة بوتيرة منخفضة ومحسوبة من الناحية السياسية، وتجنبها زج كل قواها في المعركة مرة واحدة، وتحاشيها دفع الأمور إلى حافة الهاوية، والإبقاء عليها في حالة السيطرة، لذا كان كل تركيزها على الأهداف الاستيطانية والعسكرية في الأراضي المحتلة عام 1967 غالباً.[109]

ويرى بعض المراقبين أن انتقال حركة فتح للإعلان المباشر عن عملياتها عبر كتائب الأقصى، جاء استجابةً للحاجات التي فرضتها تطورات الانتفاضة وبضغط من الكوادر الميدانيّة، وفي إطار رؤية فتحاويه ترى ضرورة إيجاد هامش بين فتح والسلطة، وأيضاً في سياق محاولة فتح إعادة الاعتبار لذاتها والحيلولة دون استثمار الفصائل الأخرى لنضالاتها.[110]

---

[109] كيالي،ماجد.(2002). "أضواء على دور فتح، التكامل بين الكفاح السياسي والمقاومة المسلحة". رؤية، عدد 18: ص 121.

[110] المصدر السابق نفسه، ص 122.

وقد شكّل انخراط كتائب الأقصى التابعة لحركة فتح في العمليات التفجيرية في 2002 عقب اغتيال (رائد الكرمي) قائد كتائب شهداء الأقصى في طولكرم، إشكالية كبيرة للسلطة الفلسطينية وإحراجاً للرئيس عرفات على المستوى الدّولي، الذي ما انفكت إسرائيل عن تحميله المسؤولية عن معظم العمليات ليست فقط التي تنفذ على يد كتائب الأقصى، بل وتلك التي تقوم بتنفيذها حركتا حماس والجهاد الإسلامي.

في هذا السياق رأى الشهيد اللواء (بشير نافع) قائد الاستخبارات العسكرية في الضفة الغربية سابقاً: "أن تشكيل كتائب شهداء الأقصى وانخراطها في الكفاح المسلّح، يعتبر أمراً طبيعياً ومنطقياً، على الرغم من أنها لم تتشكل بقرار مركزي أو مؤسساتي، وذلك يعود إلى حجم الدمار والخسائر الذي ألحقه الاحتلال بالشعب الفلسطيني من النواحي البشرية والاقتصادية والمعنوية، جرّاء عمليات الاجتياح المتكررة وإعادة احتلال مناطق السلطة، وما تضمنه ذلك الاجتياح من قصف وتدمير وتقويض للبنية التحتية للسلطة الوطنية وأجهزتها الأمنية، كذلك استمرار إسرائيل في سياسة الاغتيال لقادة ونشطاء المقاومة بغض النظر عن انتماءاتهم وتوجهاتهم السياسية، إنّ هذه الممارسات الاسرائيلية أدت إلى انحياز الشارع الفلسطيني في مرحلة معينة، إلى الخيار العسكري وإلى تأييد العمليات التفجيرية، خاصة وأن الاحتلال لم يترك خياراً أمام الشعب الفلسطيني وقيادته، في ظل عدم احترامه للاتفاقات الموقعة وإصراره على تدمير عملية السلام، وإفشال أي محاولة أو وساطة من شأنها الخروج بالمنطقة من دائرة العنف.[111]

أما **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين** فترى على لسان أمينها العام (جورج حبش) أن العمليات التفجيرية داخل الأراضي المحتلة تأتي في إطار الدفاع عن النفس، ورداً على عمليات القتل

[111] مقابلة بتاريخ 25/4/2005.

والقمع والإرهاب الوحشي الذي يمارسه الاحتلال، واستباحته الكاملة لجميع المدن والقرى والمخيمات، بهدف إرهاب الناس وتدمير المؤسسات والممتلكات والبنية التحتية للشعب الفلسطيني. ويضيف أن الشعب الفلسطيني لم يعد يحتمل الاحتلال ولا العودة إلى طاولة المفاوضات على أساس اتفاقية أوسلو، بعد تجربة مريرة وطويلة لجأ خلالها العدو إلى إتباع سياسة المماطلة.[112]

وكانت الجبهة الشعبية قد التزمت باتفاقية أوسلو منذ توقيعها أسوةً بحركة فتح، فلم يُسجل لها أي عمليه عسكرية طيلة هذه الفترة، إلا أن التّحول في نهجها النّضالي جاء عقب اغتيال الاحتلال الإسرائيلي لأمينها العام (أبو علي مصطفى) في 27/8/2001، عندها قامت بإلغاء قرارها وقف العمليات العسكرية لتقوم مجموعة تابعة للجبهة الشعبية باغتيال (رحبعام زئيفي) وزير السياحة الإسرائيلي في 11/10/2001، وقامت فيما بعد بتنفيذ عدد من العمليات التفجيرية لتدخل في خلاف مع السلطة التي قامت باعتقال العديد من أعضائها ممن اتهموا باغتيال زئيفي، وكان من بين المعتقلين الأمين العام الحالي للجبهة الشعبية (أحمد سعدات)، الذي لا زال يقبع في سجون الاحتلال الإسرائيلي بعد أن تم اقتحام سجن السلطة في أريحا، واقتياده ومن معه من المعتقلين إلى السجون الإسرائيلية، التي أَصدرت بحقّه حكماً بالسجن ثلاثين عاماً في كانون الأول 2008 بتهمة التحريض على قتل زئيفي.*

---

[112] فاروق ، أحمد." حركات المقاومة الفلسطينية:أهدافها ونشأتها ورموزها".(نسخة الكترونية) http://www.annoormagazine.com/mag/ar/155/ahdath/ahdath

* قامت السلطة الوطنية باعتقال المتهمين باغتيال رحبعام زئيفي وزير السياحة الإسرائيلي وتقديمهم للمحاكمة، وصدر بحقهم أحكام مختلفة على النحو التالي: حمدي قرعان 18 عام، باسل الأسمر 12 عام ، مجدي الريماوي 12 عام، عاهد غلمة عام واحد. كذلك قامت السلطة باعتقال كل من احمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية والعميد فؤاد الشوبكي عضو المجلس الثوري لحركة فتح. وفي أيار 2002 تم نقل المتهمين من مقر المقاطعة في رام الله إلى سجن اريحا برقابة أمريكية–بريطانية على إثر اتفاق المقاطعة، لتقوم سلطات الإحتلال فيما بعد باقتحام السجن واعتقال كل من كان متواجداً فيه، وقد قامت بإعادة محاكمة المتهمين باغتيال زئيفي وإصدار أحكام جديدة بحقهم كان أعلاها الحكم الصادر بحق حمدي قرعان والبالغ مؤبد و 100 عام .

قياساً على ما تقدّم يلاحظ أن استراتيجية الفصائل الفلسطينية اختلفت من مرحلة إلى أخرى، فقد مثّلت تلك العمليات جزءاً من البرنامج النضالي للمقاومة في السبعينيّات، وفي الوقت الذي اتجهت فيه معظم الفصائل الفلسطينية إلى المقاومة الشعبية في الانتفاضة الأولى وانضوت معظمها تحت راية (م.ت.ف)، يلاحظ أن هناك انقساماً حول استراتيجية المقاومة في ظل أوسلو، حيث اتجهت حركة فتح والجبهتين الشعبية والديمقراطية إلى الخيار السّلمي، في حين رفعت حركات المقاومة الإسلامية شعار المقاومة المسلحة، وفي الوقت الذي اتخذت انتفاضة الأقصى في بدايتها شكل المقاومة المدنية اتجهت فيما بعد كافة فصائل المقاومة إلى تبني عسكرة الانتفاضة، ومن ثمّ لجأت للعمليات التفجيرية لأسباب كان أهمها: استخدام الاحتلال للقوة العسكرية، وقيامه باجتياح وإعادة احتلال المناطق التابعة للسلطة، وما تضمنه ذلك من عمليات اعتقال واغتيال لكوادر وقادة حركات المقاومة.

دوافع العمليات التفجيرية.

سؤال يطرح نفسه، ما الذي يدفع بشابٍ أو شابه في مقتبل العمر لاتخاذ قرار مصيري بالإقبال على الموت طواعية باستخدام حزام ناسف أو سيارة مفخخة؟ هل هو اليأس وفقدان الأمل بالمستقبل، أم الانتقام من الاحتلال وجرائمه؟ أم حالة الحصار والإغلاق التي زادت الشعب الفلسطيني معاناة وفقراً، أم هي الحواجز العسكرية المذلة والمهينة لإنسانية الإنسان، أم أنّ عمليات الاغتيال ومشاهد القتل والدمار التي لم تستثنِ البشرَ والشّجر والحجر، دفعت العديد من الشباب لتفجير أنفسهم، أم هي كل هذه الأسباب مجتمعه؟؟، هذا ما ستحاول الباحثة تسليط الضوء عليه من خلال استحضارها لبعض ما كُتِبَ حول أبرز دوافع العمليات بأقلام عربية وأجنبية وإسرائيلية،

ومن خلال تحليلها لبعض وصايا الاستشهاديين أنفسهم، كذلك من خلال ما تـــوفر مـــن مقـــابلات نُشرت عبر الانترنت لمقاومين تم اكتشاف أمرهم قبل تنفيذهم لعمليات تفجيرية.

دوافع العمليات التفجيرية بأقلام محللين نفسيين وباحثين.

كتب (وجيه قانصوة): لا يكفي تفسير دوافع ومحفزات الاستشهادي تفسيراً أيدولوجياً أو دينياً أو سياسياً، بل لا بد أيضاً من البحث عن المحركات الكامنة في داخله، والتي لا يصرح عنها، ويمكن تلمُّسها في الاضطراب الاجتماعي العام، وفي التوتر النفسي الناجم عن الاحتلال، ويضيف: أنه عندما تتراكم عوامل القهر وتجرح نرجسيات الذات، ويتضاءل الشعور بحياة كريمة وحرة، ويتفاقم الإحساس بالخوف وعدم الاطمئنان، يكون العنف وسيلة نفسية لكسر حصار الخارج والتمرد على إكراهاته، وتكون العمليات الاستشهادية تعبيراً رمزياً يعوض انجراحات الذات، مضيفاً إلى أن ظاهرة العنف تتصاعد بشكل طبيعي في حالات اليأس والتهميش الاجتماعي وفقدان الأمل في حدوث انفراج سياسي.[113] وفي الحالة الفلسطينية فإن الحصار الإسرائيلي الخانق، وسياسة التجويع، والاغتيالات، والتوغلات الاسرائيلية، والمشاهد اللاإنسانية التي يتعرض لها الفلسطينيون على المعابر والحواجز وغيرها؛ كلها أسباب استوت معها الحياة والموت، وتحول الفلسطينيون جميعا في ظلها إلى خلية لإنتاج الفدائيين، فلم تعد الظاهرة حكرا على تيار أو جنس وإن تفاوتت النسب.[114]

وفي دراسة سيكولوجية كتبها د.(فاهيك فولكان) حول العمليات التفجيرية، رأى فيها أن الانتحاري يعتبر نفسه ممثلاً للمجموعة فيفقد بذلك فرديته، وهو عندما ينتحر فإنما يحاول تحصيل

---

[113] قانصوة، وجيه. " العمليات الاستشهادية وإشكالية المشروعية". 28 أيار 2002 (نسخة الكترونية) http://www.sanabes.com/forums/archive/indix.php/t-178.html

[114] " Terror Sarraj, Eyad "why we have become suicide bombers? Understanding Palestinian .http://www.midlleeast.org

حق المجموعة ليرفع من شأنها بغض النظر عمن يقتل من الجهة الأخرى، والمجتمع الذي يعيش فيه الانتحاري هو عادة مجتمع يعاني من صدمات متكررة.[115]

وأظهرت دراسة لمجموعة من الخبراء الإسرائيليين في علم النفس حول سيكولوجية الاستشهاد لدى الإنسان الفلسطيني، أن استخدام الجيش الإسرائيلي لجميع وسائل العنف من قتل وهدم للمنازل ومصادرة للأراضي وحصار وعقاب جماعي وإبعاد، يعدُّ حافزاً يزيد من نسبة الراغبين في رفع الظلم عن أبناء شعبهم، ونفت الدراسة ما تدّعيه وسائل الإعلام الغربية والإسرائيلية بأن الإنسان الفلسطيني لا يعطي قيمة للحياة، وأن لديه دافعاً للتخلص منها نتيجة الإحباط واليأس والحياة الضاغطة، موضحة إلى أن قتل الذات لا يرجع بالضرورة إلى اكتئاب أو عجز أو حرمان، وقد دللوا على ذلك بدراسة أجراها باحث أمريكي يُدعى(بيل) في عام 1998 على تسعة استشهاديين من قطاع غزة، أظهرت أن معظمهم يتصفون بالجد والطموح والتعاون وحب الحياة والعمل، وأنهم لم يتعاطوا الكحول أو المخدرات ولم يشارك أي منهم في سلوك مضاد للمجتمع كالعنف أو السرقة،[116] أي أنّ المُقْدِم على العمل الاستشهادي يكون بكامل وعيه وإرادته.

أمّا يسرائيل أورون عالم نفس إسرائيلي متخصص في حوادث الانتحار، فقد أعدّ دراسة حول الدافع السيكولوجي للانتحار، توصل خلالها إلى أن نية الموت لم تكن الدافع والمحرك لمنفذي العمليات الاستشهادية، وأن الاحتلال يمثل سبباً ودافعاً رئيسياً في إقبال الفلسطينيين على هذه

---

[115] كشك، تغريد." ظاهرة العمليات الانتحارية التفجيرية جدل مستمر". 29/11/2006 (نسخة الكترونية)
http://www.grenc.com/a/tkishek/show-myarticle.cfm?id=4061

[116] أبو الغزلان،هيثم." المقاومون وعامل الاستشهاد ضرورة المطلب وانتفاء البديل". 7/5/2004)نسخة الكترونية).
www.inbaa.com/modules

العمليات، مستنداً بذلك إلى تحليل بعض المقابلات التلفزيونية أو التسجيلية المكتوبة لمنفذي العمليات ممن ظلوا على قيد الحياة ويقبعون في السجون الإسرائيلية.[117]

الصحافية الإسرائيلية (عميرة هاس) أكدت أن تفسير الدوافع وراء لجوء الشعب الفلسطيني إلى العمليات الاستشهادية بسبب تراثهم الديني أو ثقافة مجتمعهم هو تفسير خاطئ ومضلل، مشددة على أن الاحتلال والرغبة الطبيعية والشرعية في التخلص منه هو الدافع وراء هذه العمليات، حيث تقول: "نرفض ربط ظاهرة الاستشهاديين بوجود الاحتلال ونبحث عن تفسيرات دينية وتراثية فلسطينية، والأصح أن هذه الظاهرة هي وليدة الاحتلال الذي لم يترك للفلسطينيين أملاً في الحياة الكريمة".[118] وترى (هاس) أن سرَّ قوة العمليات الاستشهادية يكمن في شعور الاستشهاديين بأنهم يمثلون مجتمعهم ويضحون لأجله.

وهذا ما أكّد عليه (يعقوب بيري) رئيس جهاز الشاباك الإسرائيلي السابق، الذي نفى أن يكون العنصر الديني هو الحافز الوحيد للانتحاريين، وأن الدافع الوطني والانتقام من الاحتلال وممارساته شكّل دافعاً قوياً لذلك، فالاعتقال المستمر بظروف قاسية، وفقدان أحد أفراد العائلة أو صديق عزيز في أحد الاشتباكات، كذلك المعاملة المهينه على الحواجز، حيث يكفي قيام أحد جنود الاحتلال بإهانة أمٍّ أمام ابنها الشّاب ليشعل لديه نار الانتقام. هنا يقول بيري: إذا أخذت العنصر الديني، والرغبة في الانتقام، والأزمة الاقتصادية، وأضفت الوعد بانتظار الانتحاري على أبواب

---

[117] أورون، يسرائيل. "لاستشهاديون ليسوا انتحاريين". 2003(نسخة الكترونية)
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=7093

[118] هاس، عميرة. "إسرائيل مطالبة أن تفهم أن سياستها كارثية". ترجمة مزوار الإدريسي.2005
.http://www.elaph.com/elaphweb/newspapers/2005/4/56082.htm

الجنة على الأقل خمسون عذراء، كل هذا يشكل أرضاً خصبة لعدد غير قليل من الشبان لإبداء استعدادهم للانتحار حسب قوله.[119]

وأشارت دراسة لروبرت بيب، أستاذ العلوم السياسية وأحد المتخصصين في الإرهاب الانتحاري، بعنوان "موت في سبيل النصر: المنطق الاستراتيجي للإرهاب الانتحاري"، أنّ الهجمات الانتحارية هي نوع من أنواع "الإرهاب التعبيري"، فهي لا تهدف إلى القتل بحد ذاته بقدر ما تسعى إلى لفت انتباه العالم لكسب عطفه وتأييده تجاه قضية معينة، وأنّ الدوافع الكامنة وراء الإقبال الشّديد على تنفيذ هذه العمليات، يكمن في كونها سلاحاً فعالاً تلجأ إليه الجماعات التي تشعر بالضعف والنقص لأنها تحارب قوى عظمى، وأن الهدف من ورائها إحراز النّصر، وليس مجرد التدمير أو الموت.[120] ودحض الباحث من خلال دراسته الادعاءات والمزاعم الأمريكية والإسرائيلية، بأن الأصولية الإسلامية هي المسئولة عن تنفيذ هذا النوع من العمليات، موضحاً أنه ومن خلال دراسته لحوالي 315 عملية انتحارية في العالم حصلت بين الأعوام 1980 و 2003 نفذت على أيدي جماعات مختلفة من الإسلاميين ونمور التاميل والأكراد والسيخ، توصل إلى وجود صلة ضئيلة جداً بين العمليات الانتحارية والأصولية الإسلامية،[121] متفقاً بذلك مع الكاتبة (عميرة هاس) التي استبعدت في دراستها الدافع الديني كدافع أساسي للاستشهاد، وبأن الاحتلال هو السبب الرئيسي والدافع الأساسي لبروز هذه الظاهرة في المجتمع الفلسطيني.

---

[119] بيري، يعقوب. القادم لقتلك، مذكرات رئيس جهاز الشاباك الصهيوني الأسبق. بدون دار نشر وبدون سنة نشر، ص 196.

[120] بيب، روبرت. مصدر سبق ذكره.

[121] المصدر السابق نفسه.

في حين أرجع الباحثان الإسرائيليان (شاؤول كمحي وشموئيل إيفن)، في دراسة لهما بعنوان "من هم انتحاريو الإرهاب الفلسطيني"،[122] الدافع الأبرز وراء الإقبال على تنفيذ عمليات تفجيرية إلى الدافع الديني المتمثل في الرغبة بدخول الجنة، يليه الدافع الوطني، والمتمثل بالرد على ممارسات الاحتلال وفقدان الأمل بعملية السلام، ثمَّ الدافع الانتقامي ويشمل الاستشهاديين الذين يحركهم دافع نفسي يتمثل بالانتقام من الاحتلال وممارساته، أو الانتقام لمقتل قريب أو صديق أو أشخاص لا يعرفهم ولكنه تأثر باستشهادهم. وهما بهذا يختلفان مع كل من بيب وهاس اللذين استبعدا الدافع الديني كدافع أساسي؛ معتبرين أن الاحتلال وممارساته الدافع الأبرز وراء هذا الشكل من العمليات، في حين اعتبر كل من كمحي وإيفن الدافع الديني هو الدافع الأبرز للقيام بعمليات تفجيرية.

وقد أجرى مركز جافي للدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب دراسة إسرائيلية، قام خلالها بتقسيم دوافع العمليات الاستشهادية إلى الدافع الديني الأيديولوجي، يليه دافع الانتقام لمقتل أشخاص مقربين على أيدي الاحتلال، ثم الدافع النفسي الناجم عن مشاهدة جرائم القتل والتدمير والإذلال على أيدي الاحتلال، والدافع الاقتصادي الناجم عن الإغلاقات والحواجز وحالة الحصار والعقاب الجماعي الذي عممَّ مشاعر الإحباط واليأس في وقت تساوى فيه الموت والحياة، وأخيراً دافع التقليد والمحاكاة لشخصية مثلّت نموذجا في التضحية والعطاء، وكان لها أثرٌ في نفس المقبل على تنفيذ العملية خاصة المراهقين منهم.[123]

---

[122] Kimhi, shaul and Samuel even. (2003). "Who are the Palestinian Suicide Terrorists? " Jaffe Centre for the Strategic Studies, Israel (electronic version) http://www.tau.ac.il/jcss/sa/v6no.2,sep.20035kim.html

[123] الجولاني،عاطف. "العمليات الاستشهادية سلاح فتاك". مجلة المجتمع، 3/7/2002(نسخة الكترونية) .http://www.almujtamaa-mag.com/detail...section/D=1243

ووفقاً لدراسة أجراها الباحث (يوسف أبو راس) بعنوان "سمات ودوافع الاستشهاديين من وجهة نظر أسرهم"، توصل إلى أن الدافع الأبرز وراء قيام الشباب الفلسطيني بعمليات استشهادية يعود إلى ممارسات الاحتلال وظلمه وتعسفه وقمعه المتواصل لأبناء الشعب الفلسطيني، وأن الدافع الديني يأتي كعامل مساعد وليس الدافع الرئيسي للقيام بهذه العمليات، ونفى (أبو راس) أن تكون الدوافع ناتجة عن مشاكل نفسية أواجتماعية أوصحية أواقتصادية، مشيراً إلى أن أغلب الاستشهاديين هم من متوسطي ومرتفعي الدخل في المجتمع، لا من الطبقات المسحوقة، متفقاً بذلك مع دراسة بيب التي أشارت إلى أن الاستشهاديين ليسوا من الفقراء، كما وأن معظمهم من فئة المتعلمين، وخلُص أبو راس في دراسته إلى عدد من الدوافع كانت سبباً وراء إقبال الفلسطينيين على تنفيذ عمليات تفجيرية منها ممارسات الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطيني كدافع رئيسي، ويأتي الدافع الديني في المقام الثاني ، ثم دافع الرغبة في تحرير الأرض المغتصبة من الاحتلال، والانتصار لكرامة الشعب الفلسطيني، والتضحية بالنفس من أجل تحقيق العيش الكريم للشعب، والرغبة الجامحة لنيل الجنة والشعور بواجب الدفاع عن الأرض المقدسة والمسجد الأقصى، كذلك التأسي والإقتداء بالقادة العظماء لتحقيق الخلود مثلهم، والاعتقاد الجازم بالقضاء والقدر وإيمان الاستشهادي المطلق بأنه سيموت لذلك اختار هذه الطريقة ليموت شهيداً، وأخيراً الاحتجاج على حالة الضعف والهوان والذل التي تعيشها الأمة العربية.[124]

دوافع العمليات التفجيرية من خلال وصايا بعض الاستشهاديين

[124]أبو راس، يوسف سلامة. (2006). سمات ودوافع الاستشهاديين من وجهة نظر أسرهم. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة القدس، فلسطين، ص 156.

" ما أجمل أن أكون الرّد، لتكون عظامي شظايا تفجر الأعداء، ليس حباً في القتل ولكن لنحيا كما يحيا الناس، فنحن لا نغني أغنية الموت بل نتلوا أناشيد الحياة، ونموت لتحيا الأجيال من بعدنا."[125] هذه بعض الكلمات التي خطها الشهيد (محمد هزاع الغول) والتي عبّر من خلالها عن حبه للحياة، وأن إقباله على القيام بعمليه تفجيرية يأتي من أجل توفير حياة أفضل للأجيال القادمة.

أما الشهيد (سعيد الحوتري) منفذ عملية تل أبيب التي أودت بحياة 21 إسرائيلياً وحوالي 150 جريحاً، فقد تبين من خلال الإطّلاع على وصيته أن الدّافع الأول وراء إقدامه على القيام بعملية تفجيرية هو الإقتداء بقادة تأثّر باستشهادهم، أمثال (يحيى عياش) وذلك بقوله:"علّمتنا يا أبا البراء أن الأبطال الحقيقيين هم الذين يخطّون بدمائهم تاريخ أمتهم ويبنون بأجسادهم أمجاد عزتنا الشامخة، ويشيّدون بجماجمهم حصونها المنيعة."أما الدافع الثاني فهو الانتقام والثأر لأبناء الشعب الفلسطيني من الاحتلال لقوله:" أيها الأسرى.. أيها الجرحى.. أيها الشهداء.. أيتها الأرامل.. باسمكم جميعاً أقدم روحي في سبيل الله عز وجل وأنتقم لآهاتكم وأنّاتكم وجراحاتكم، سأجعل من جسدي شظايا وقنابل تطارد بني صهيون". أما الدّافع الثّالث فهو الاحتجاج على الصمت العربي والدّولي عن الممارسات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني وذلك عندما قال:" وأقول للعالم الذي يعادي شعبنا ويدعم الصهاينة بالمال والسلاح، إن كان الإعداد إرهاباً فنحن إرهابيون، وإن كان الدفاع عن الأعراض تطرفاً فنحن متطرفون، وإن كان الجهاد ضد الأعداء أصولية فنحن أصوليون".[126]

---

[125] المصدر السابق.

[126] وصية الشهيد سعيد الحوتري 1/6/2001. http://www.amlalommah.infoshowthread.php?t=11572

أما الشّهيد (محمود أحمد مرمش) منفذ عملية نتانيا، فيتضح من خلال وصيته أنّ الثأر والانتقام لِمعاناة الشعب الفلسطيني هو دافعه الأول لقوله:" سأجعل من جسدي قنبلة أُفجِّر بها أجساد الصهاينة انتقاماً لكل قطرة دم سالت على تراب بيت المقدس، وانتقاماً لأبناء فلسطين نسائها وشيوخها وأطفالها ولإيمان حجو التي هزّت قلبي وكياني ووجداني." وثاني دوافعه دينياً لقوله: " قمت بعملية استشهادية دفاعاً عن الأقصى وثأراً لدماء الشهداء". ويضيف:" من يظن بأن دين الله يُنْصَرُ بغير جهاد ولا دم ولا استشهاد ولا أشلاء فهو واهم".[127]

وقام الشهيد (جمال عبد الغني ناصر) بترتيب دوافعه من خلال وصيته قائلاً: إن ما دفعه لطريق الشهاده والمقاومة حبه لله وللشهادة أولاً، وحبه لوطنه فلسطين ثانياً، والانتقام لدماء الشهداء ثالثاً في ظل تخاذل الزعماء العرب. وقد بدا الشهيد في وصيته متأثراً بممارسات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ومصراً على الانتقام للشهداء وأمهاتهم وزوجاتهم وأبنائهم وذلك من خلال قوله:" مَنْ منّا لا يغضب ولا يعتريه شعور الانتقام عند سيْره في جنازات الشهداء؟؟، ومن منا لا يحب الانتقام عند مشاهدة أمهات الشهداء وزوجاتهم وأبنائهم على التلفاز؟؟، من منا لا يشعر مع أصحاب البيوت المهدمة"؟؟.[128]

ومن خلال وصية (الشهيد أكرم النبتيتي)، منفذ عملية التلة الفرنسية، تبين أن الانتقام هو الدافع الأبرز لقيامه بالعملية التفجيرية، موضّحاً أن العملية تأتي انتقاماً لدماء الشعب الفلسطيني التي تراق كل يوم، ودفاعاً عن حق الشعب الفلسطيني في العيش بحرية وكرامة، مضيفاً أن إقباله على هذه العملية يأتي دفاعاً عن شرف وأرض ومقدسات الشعب الفلسطيني وليس حباً بالموت.

---

[127] وصية الشهيد محمود أحمد مرمش. http://palestine-info.info/arabic/hamas///shuhda/marmash/marmashz.htm

[128] وصية الشهيد جمال عبد الغني ناصر. http://www.nnwl.net/media?articals=topic&1opic=73

بينما حدد الشهيد (طارق دياب حميد) دوافعه بالثأر والانتقام لاغتيال قادة تأثر بهم ذلك لقوله: "أمتطي سيارتي المفخخة لأفجر نفسي رخيصة في سبيل الله تعالى، انتقاماً لأستاذي الكبير المعلم الرباني (أحمد ياسين) وإخوانه الشهداء".*

دوافع العمليات من خلال مقابلات مع معتقلين فشلوا في تنفيذ عمليات تفجيرية

من خلال الاطّلاع على المقابلات الحية التي أجراها السجين (وليد أبو دقة) مع عدد من المعتقلين، ممن وقعوا في قبضة الاحتلال قبل تمكنهم من تنفيذ عمليات تفجيرية، توصلت الباحثة إلى أن الاحتلال وممارساته ومشاهد الاغتيالات اليومية والدمار والجنازات ورائحة الموت التي باتت ترافق الإنسان الفلسطيني في صحوة ومنامه، في بيته ومكان عمله، عوامل زادت من نسبة المتطوعين للقيام بعمليات تفجيرية.

فالمقابلة الأولى التي أجراها أبو دقة مع الاستشهادي (م)، أوضحت أن هذا الشخص لم يكن له أي انتماء سياسي، وأن دافعه للقيام بعملية تفجيرية هو تأثره بما شاهده على التلفاز من صور تُظهر وحشية الاحتلال حيث قال:" المشاهد التي نراها على التلفاز هي أمور مغثية تجعلنا نفقد طعم الحياة." وعندما سأله أبو دقة هل الذهاب إلى الجنة سهّل عليك اتخاذ القرار؟ كان جوابه: "طبعاً الجنة هي الأمر الأول ولكن الصور التي نراها على التلفاز هي التي أثرت بي ودفعتني إلى اتخاذ هذا القرار وتنفيذه."[129] من هنا يتضح أن مشاهد الدمار والقتل والإذلال على الحواجز التي تتكرر يومياً حركت مشاعر الكره والانتقام من الاحتلال في نفوس الكثيرين ممن يتعرضون

---

* للاطّلاع على مزيد من وصايا الاستشهاديين، مراجعة يوسف أبو راس، سمات ودوافع الاستشهاديين من وجهة نظر أُسرهم، مصدر سبق ذكره.

[129] هاس، عميرة. "يحلّقون نحو الجنة". المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار. 8/4/2003. (استرجعت بتاريخ: 7/4/2005). http://almash-had.madarcentre.org/almash-had/viewarticle.asp

ويشاهدون هذه الممارسات، والذين وجدوا الحل بقيامهم بعمليات تفجيرية يُذيقون خلالها الاحتلال من نفس الكأس التي تجرعوها.

أما اللقاء الثاني مع الرمز (ن) فقد أجملَ دوافعه للإقبال على القيام بعملية تفجيرية في بداية المقابلة، بحبه للشهادة والانتقام من الاحتلال وممارساته وعمليات القتل من خلال قوله:" قمت بعملية استشهادية والله قدّر ألا تنجح، والدافع لهذه العملية قبل كل شيء: هو الاستشهاد والجزاء الكبير عند رب العالمين، والدافع الثاني: هو الاحتلال والقتل وأصدقائي الذين قُتلوا في الانتفاضة، وكانت سياسة القتل التي انتشرت في كل مكان والتخويف ومنع التجول دافعاً ثالثاً."[130]

وفي اللقاء الثالث حدد الرمز (أ) دوافعه من خلال إجابته عن سؤال أبو دقة: لماذا رغبت في تنفيذ عملية استشهادية؟ فكان الرد أن السبب هو الدافع الديني، ثم الدافع القومي والموت الموجود في كل مكان، والوصول إلى الجنة. وحول سؤاله فيما إذا كان سيكرر المحاولة في حال الإفراج عنه أجاب:" إن الاستشهاد ليس أمراً عبثياً أو هدفاً بحد ذاته، وأنه لو أقيمت دولة فلسطينية فلا حاجة عندها لتنفيذ عملية استشهادية، ولكن مادام الاحتلال موجوداً فإن الاستعداد لمقاومته سيظل قائماً ومعه الاستعداد لاختيار الاستشهاد."[131]

بناءً على ما سبق ومن خلال عرض بعض الدراسات العربية والإسرائيلية والأجنبية، يمكن الاستنتاج بأن الاحتلال وعنف عملياته العسكرية شكّلا دافعاً رئيسياً في ظهور العمليات التفجيرية. فسياسته القائمة على الاغتيال والقتل والحصار والإهانات عبر الحواجز العسكرية وسياسة العقاب الجماعي، كلها عوامل ساعدت على زيادة عدد المقبلين على تنفيذ عمليات تفجيرية، وأن العامل

---

[130] المصدر السابق نفسه.

[131] المصدر السابق نفسه.

الديني جاء عاملاً مشجعاً، هذا ما أشار إليه كل من أورون، بيب، هاس، بيري، قانصوة وأبو راس، فيما أرجعت دراسة كل من كمحي وإيفن ومركز جافي للدراسات الإسرائيلية، الإقبال على تنفيذ هذا الشكل من العمليات إلى الدافع الديني والنفسي والاقتصادي، مع استبعاد الاحتلال كدافع رئيسي.

وقد وجدت الباحثة من خلال تحليلها لبعض وصايا الاستشهاديين، وإطّلاعها على بعض المقابلات لأشخاص أُلقي القبض عليهم قبل تنفيذهم لعمليات تفجيرية، ويقبعون الآن في سجون الاحتلال، أن الدافع هو الثأر والانتقام من الاحتلال وممارساته بحق الشعب الفلسطيني، حيث تكرر ذكر هذا الدافع في كافة الوصايا والمقابلات، ويأتي الدافع الديني المتمثل في نيل رضا الله تعالى ودخول الجنة عاملاً مشجعاً ومسانداً، نظراً لإيمان كل من يقبل على الاستشهاد بأنه سيحظى بتكريم ورضا الله ودخول الجنة شهيداً ضحّى بنفسه لإسعاد الآخرين.

ومن الواضح أن الإقبال على تنفيذ عمليات تفجيرية يزداد طردياً ويأخذ منحى تصاعدياً في ظل تزايد الهجمات العسكرية الإسرائيلية، والممارسات الوحشية والقمعية في التعامل مع الشعب الفلسطيني، مما يؤكد أن الاحتلال مسئول بشكل كامل عن صناعة ظاهرة العمليات التفجيرية الفلسطينية، وعن تصاعدها وزيادة عدد المتطوعين الذين وجدوا في التضحية بأنفسهم وسيلة لصناعة حياة أفضل للأجيال القادمة، في ظل حالة العجز والضعف العربي والصمت الرهيب للمجتمع الدولي، بمعنى انه لو لم يكن هناك احتلال لما كان هناك عمليات تفجيرية.

ومن وجهة نظر الباحثة أن الحالة الفلسطينية ليست استثناءً، فبالنظر إلى معظم حركات التحرر ممن شكلت العمليات التفجيرية استراتيجية في نضالها، يتضح أنه حال انسحاب الاحتلال

من أراضيها فإن هذه العمليات سرعان ما تتقلص ثم تتلاشى، وعلى سبيل المثال أوقفت المقاومة اللبنانية عملياتها التفجيرية ضد القوات متعددة الجنسيات فور انسحابها من أراضيها، كذلك فعلت مع الاحتلال الإسرائيلي بعد انسحابه من لبنان في العام 2000، والشيء نفسه ينطبق على الحالة العراقية والأفغانية، فلم نسمع أو نشاهد عمليات تفجيرية في هاتين الدولتين إلا في ظل الاحتلال الأمريكي_ البريطاني لهما. إذن من الطبيعي والمنطقي أن تتوقف المقاومة والعمليات التفجيرية حال انسحاب الاحتلال من الأراضي التي قام باحتلالها، مما يؤكد أن الدوافع وراء العمليات التفجيرية هي دوافع وطنية، إنتقامية وإيمانية بهدف تحقيق عدالة اجتماعية مفقودة.

مزايا العمليات التفجيرية وبواعث لجوء بعض حركات المقاومه لتنفيذها

كان من بين ما كُتِبَ حول الاستشهاد الطوعي "أنه سلاح سهل، قليل الكلفة، دقيق الإصابة ذكي جداً يتفوق على الذكاء الصناعي، أكثر فاعلية من الصواريخ والطائرات التي ثبت أنها عمياء بالرغم مما يقال عن قنابل وأسلحة ذكية، يمكن لأي مجموعة محدودة امتلاكه بدون منصات إطلاق ومسرح عمليات، وبلا ثمن مالي باهظ للصاروخ ".[132]

وقد أشار الباحثان الإسرائيليان (سيخاروف وهارئيل) في مقابلات أجرياها في سجون الاحتلال مع عدد من القادة ممن اعتُقلوا على خلفية دورهم في التخطيط والتجنيد لعمليات تفجيرية، أن سبب لجوء المقاومة الفلسطينية إلى استخدام هذه العمليات حسب أقوال هؤلاء القادة، ليس توفر عدد كبير من المتطوعين لتنفيذ هذه العمليات فحسب، بل بسبب المزايا الميدانية للعمليات التفجيرية مقارنة بوسائل المقاومة الأخرى، فالاستشهادي يتحكم بتوقيت عمل القنبلة التي

[132] العبد الله، حميدي وميخائيل عوض.(2003). الانتفاضة، تحرير فلسطين أمر راهن. ط 1. بدون دار نشر، ص 109.

يحملها، أو الحزام الناسف الذي يضعه حول جسده.[133] إلى جانب قدرته على اختيار المكان المناسب للتفجير بحيث يؤدي إلى إحداث أقصى ضرر ممكن، كوْن العمليات تتمتع بعنصر المفاجأة.

كذلك إن سهولة حمل وإخفاء المتفجرات سواء في الجسد أو الحافلة أو في حقيبة يحملها الاستشهادي، إضافة إلى كفاءة الاستخدام التي تتضح من خلال الآثار الناجمة عنها، والمتمثلة بحجم الخسائر المادية والبشرية والمعنوية الكبيرة للاحتلال مقارنه بوسائل المقاومه الأخرى، تجعل من اللجوء إلى هذه الوسيلة أمراً مقبولا خاصة في ظل الاختلال في موازين القوى العسكري لصالح الاحتلال. وفي إشارة إلى ما تحدثه العمليات من خسائر اعترف (آفي ديختر) رئيس جهاز الشاباك الأسبق، إلى أن العمليات الاستشهادية حصدت معظم القتلى، حيث تسببت في سقوط 55% من القتلى والجرحى على الرغم من أنها تشكل 5% فقط من مجموع العمليات الفدائية مما جعلها تشكل تهديدا إستراتيجياً للدولة[134].

كما وأشار "بيار كونيسا" في دراسة بعنوان "جذور العمليات الانتحارية" إلى أنه بين العامين 2000-2002، شكلت العمليات التفجيرية 1% من العمليات الفلسطينية، لكنها أوقعت 44% من القتلى. وقد عبر المحلل العسكري في صحيفة هآرتس الإسرائيلية (أوري أمير) عن المعادلة الحقيقية التي فرضتها العمليات التفجيرية على أرض الواقع بين المقاومه وجيش الاحتلال، الذي يستخدم التقنية العسكرية المتطورة مقابل استخدام التقنية البدائية من رجال الإنتفاضه الذين ليس لديهم مؤهلات عسكريه، يتزّنر أحدهم بحزام ناسف، ويركب شاحنه، ويندفع باتجاه تجمع الجنود

---

[133] النعامي، مصدر سبق ذكره.

[134] www.islamonlin.net

الإسرائيليين، يقتل العشرات ويجرح المئات، يداه لا تمسك سلاح وليس لديه مروحيات، لا يمتلك صواريخ أرض أرض، أو أرض جوّ وبدون غرفة عمليات.[135]

وعلى الرغم مما تتمتع به العمليات التفجيرية من مزايا، إلا أن نجاحها يعتمد على عدة شروط أهمُّها: وجود شخص لديه استعداد للتضحية بنفسه مع معرفته المسبقة بأن نجاح العملية مرهون باستشهاده، كذلك وجود مصدر قادر على تبنّي العملية ودعمها وتمويلها، وَجِهَة مُشْرفة لتهيئة الشخص، وإعداده وإعطائه الأمر بتنفيذ العملية في الزمان والمكان المحددْين، إضافةً إلى وسطٍ اجتماعي يمجِّد هذا الشكل من العمليات.

بواعث لجوء المقاومة الفلسطينية للعمليات التفجيرية في ظل اتفاقية السلام:

جاءت انتفاضة الأقصى كنقطة تحول في مسيرة العملية السلمية التي استمرت لأكثر من سبع سنوات، أمل خلالها الشعب الفلسطيني في تحقيق حلمه المتمثل بإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، إلا أن الجهود المستمرة عبر المفاوضات السلمية التي استمرت منذ توقيع اتفاقية المبادئ في اوسلو عام 1993، والتي لم تحقق من وجهة نظر الكثيرين سوى بعض مظاهر السيادة كالعلم الفلسطيني والنشيد الوطني، وأجهزة أمنية كُرِّست مهامها لملاحقة ومطاردة نشطاء المقاومة من معارضي اوسلو، الذين عملوا بدورهم جاهدين لإفشال المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي منذ اللحظة الأولى لتوقيع اتفاقية السلام، إضافة إلى اتّباع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لسياسة المماطلة والمراوغة، واعتماد مبدأ التواريخ غير المقدسة في تنفيذ الاتفاقيات وتسليم المناطق المتفق عليها للسلطة الوطنية الفلسطينية.

---

[135] ياسين، مصطفى." إنتفاضة الأقصى تعري الكيان الصهيوني من أي ستر". 22/10/2004 . http://www.arraee.com/modules.php

هذه العوامل مجتمعة أدت إلى تسرب الشك واليأس إلى الشارع الفلسطيني حول جدية إسرائيل في عملية السلام، وحول جدوى الاستمرار في العملية السلمية في ظل الانسداد السياسي وتلاشي الأمل في قطف ثمار سبع سنوات من المفاوضات. وقد حاولت الباحثة تسليط الضوء على العوامل التي تكونت وتفاعلت في المجتمع الفلسطيني وأدت لظهور العمليات التفجيرية الفلسطينية في ظل عملية السلام وانتفاضة الأقصى، ممثلة بالعاملين الإسرائيلي والفلسطيني على النحو التالي:

العامل الإسرائيلي:

لم يغير الجانب الإسرائيلي من سياسته تجاه الشعب الفلسطيني، فقد بقيت الممارسات والسياسات الإسرائيلية المتبعة لقمع وإخماد أي احتجاج فلسطيني كما هي، مما عمل على ترسيخ الاقتناع لدى غالبية الشعب الفلسطيني؛ بأن المقاومة بكل أشكالها وأبعادها هي السبيل الأمثل لإنهاء الاحتلال والحصول على الاستقلال، خاصة وأن الاحتلال الإسرائيلي حاول جاهداً الاستفادة من عملية السلام لفرض حقائق ووقائع جديدة على الأرض كان أبرزها:

1. الاستيطان.

عبّر فرانسيس كلارك لاوس رئيس حملة التضامن مع فلسطين، عن السبب وراء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بقوله:"ما يكمن وراء النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني هو الاستيطان والتطهير العرقي المنظم والمستمر لقطعة من الأرض كانت كلها تعرف سابقاً بفلسطين، ويقدِّم التوسع السريع للمستوطنات والطرق الالتفافية في الضفة الغربية وغزة خلال فترة حكم باراك الليبرالية،

دليلاً واضحاً إذا كانت هناك أية حاجة لأدلة، على أن هذه السياسة ليست مجرد شيء مشؤوم من بقايا الماضي".[136]

كشفت العديد من الدراسات أنّ النشاط الاستيطاني قد تضاعف بشكل ملفت في ظل عملية السلام حيث تزايد عدد المستوطنات في الضفة والقطاع منذ عام 1993 بنسبة 52.4%،[137] وزاد عدد المستوطنين منذ نهاية عام 1992 من 98000 إلى 137653 حتى نهاية عام 1995"[138].

كما تم تشييد 32750 مسكناً ما بين عام 1993 وعام 2000،[139] ولم تكتف إسرائيل بمصادرة الأراضي الفلسطينية لإقامة المستوطنات، بل عمدت إلى إجراءات إضافية هدفها تقطيع أوصال الضفة الغربية من جهة، وعزلها عن غزة من جهة أخرى، في محاولة لتحطيم الوحدة الجغرافية لفلسطين وخلق وقائع جديدة على الأرض، من خلال شق الطرق الالتفافية لتأمين التواصل الجغرافي بين المستوطنات، في هذا الشأن أشار نتنياهو إلى استمرار الحكومة الإسرائيلية في سياسة الاستيطان والطرق الالتفافية بقوله: "إنها تستند إلى أفكار التسوية النهائية، وهي وسيلة هامة لتحديد حدود إسرائيل والحفاظ على الأمن"، مضيفاً: "نؤيد بناء المستوطنات على طول الشوارع الالتفافية".[140]

2. تآكل الفروق بين الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة

---

[136] تاونسند،سيريل."الاستيطان إنهاك للسلام". جريدة الحياة، 31/12/2000، ص 9.

[137] أبو جابر، ابراهيم وآخرون.(2002). الانتفاضة تغير معادلات الصراع في المنطقة.ط 1.عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ص 136.

[138] غرينبرغ، ليف. (2007). سلام متخيل. ترجمة جواد الجعبري. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية. ص 255.

[139] عبد الله، أحمد فارس ، مصدر سبق ذكره، ص 89-90.

[140] حول الاستيطان والمستوطنين في ظل عملية السلام انظر أحمد فارس.الانتفاضة الفلسطينية دراسة تحليلية مقارنة ما بين انتفاضتي عام 1987-2000 . ص 89-91.

عبّر رفائيل ميرون سكرتير مستعمرة (يتسهار) عن الموقف الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين بقـــوله: "العرب هم شيء آخر، لا تجوز الرّحمة بالأعداء وأبناء الأعداء، عليهم تنطبق قـــوانين الحـــرب (ويعني هنا القوانين المنصوص عليها في التّلمود والتوراة وليس القوانين الدولية) والا فمـــا كنـــا جديرين بوراثة أرض إسرائيل الكاملة".[141]

أما نتنياهو فيقول: "إن استيلاء إسرائيل على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة كان مختلفاً من حيث الهدف عن كل النماذج التاريخية لاحتلال الأراضي، فهي قلب وطن الشعب اليهـــودي، تبعد أمتاراً عن القدس وبضعة كيلومترات عن ضواحي تل أبيب". ويختم نتنياهو قوله بالدعوة إلى ترديد مقولة شمعون التاريخية: "لم نأخذ أرضاً أجنبية ولم نسيطر على أجانب، بل على تَرِكَةِ آبائنا التي احتلها أعداؤنا ظلماً، وعندما أصبحت لدينا قوة أعدنا لأنفسنا تركة آبائنا".[142]

وفي المقابل صرّح باراك رئيس الوزراء الإســـرائيلي، بشـــأن المفاوضـــات مـــع الجـــانب الفلسطيني قائلاً:" أنا لن أتوصل إلى السلام بأي ثمن، وأريد أن أذكر بأنني لن أتنـــازل عـــن أي شيء، الحكومة السابقة بزعامة نتنياهو توجهت إلى اتفاق "واي ريفر" مع الفلســـطينيين وســـلمتهم 18% من مناطق الضفة الغربية دون مقابل"، ويضيف: "لقد فحصت حكومتي ماذا يريد الطـــرف الآخر، هل الفلسطينيون مستعدون لحل مؤلم؟ أو أنهم يريدون دولة فلسطينية فـــي حـــدود 1967 وتجسيد حق العودة للاجئين إلى دولة إسرائيل؟ هذه نظرية المراحل للقضاء على إسرائيل".[143]

---

[141] مهند عبد الحميد.(1998). "الإرهاب، العنف وظاهرة العمليات الانتحارية". السياسة الفلسطينية، العدد 18: ص 12.

[142] المصدر السابق، ص 13.

[143] انظر مقابلة سيغر لوتسكر مع إيهود باراك، يدعوت أحرونوت، 1/12/2000، والترجمة في القدس العربي، لندن، 2-3/12/2000، ص 9.

إنّ ما تقدّم يؤكد مدى تآكل وتلاشي الفروق بين الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة التي لمسها الفلسطينيون خلال تجربتهم التفاوضية مع حزبيْ العمل والليكود، والتي ثبت خلالها أنهما وجهان لعملة واحدة، وقد أكّدت قمة كامب ديفيد الثانية ذلك من خلال عدم جدية الجانب الإسرائيلي في التوصل إلى تسوية سياسية مع الفلسطينيين، عبر محاولة باراك الذي كان يُعتبر رجل سلام تجريد الفلسطينيين من الحقوق التي كفلها لهم القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، من خلال تمسكه بلاءاته التي اتفقت مع لاءات نتنياهو والمتمثلة بعدم السماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين، عدم تفكيك المستوطنات، عدم تقسيم القدس وعدم العودة لحدود عام 1967.

في هذا الشأن أشارت الكاتبة والمحققة الإسرائيلية (تانيا راينهارت) في كتابها "أكاذيب عن السلام: حرب باراك وشارون ضد الفلسطينيين"، أن نقطة التّحول الحاسمة في كامب ديفيد تمثلت في مطالبة باراك بأن يوقّع الطرفان على الاتفاق النهائي، يترافق ذلك مع إعلان فلسطيني بشأن نهاية النزاع، وتضيف بأن الفلسطينيين لو قاموا بالتوقيع على إعلان كهذا لفقدوا حقهم بتطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وخصوصاً قرار 242 القاضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام 1967، وقرار 194 الذي يتطرق لحق عودة اللاجئين.[144]

كذلك تشير وقائع المشهد السياسي للحكومات الإسرائيلية في ظل عملية السلام إلى ذوبان الفروق بين المؤسستين الأمنية والسياسية، في ظل التأثير الكبير للمؤسسة العسكرية على دائرة صنع القرار، وتؤكد راينهارت أنه على الرغم من أن المستويين السياسي والعسكري في إسرائيل كانا دائماً متداخلين ويصعب وضع حدود فاصلة بينهما، إلا أن انتفاضة الاقصى دلّت على أن العسكر زادوا من تأثيرهم على عملية صنع القرار، مستشهدة بتصريح لأحد أعضاء الكونغرس

---

[144] النعامي، صالح." رواية إسرائيلية أخرى". www.naamy.net/view.php?id=2003-74k

الأمريكي معلقاً على شبكة العلاقات بين المستويين الأمني والسياسي قائلاً: "إن الذي يقرر في إسرائيل الاستراتيجيات وسلم الأولويات القومي باعتبارهما موضوعاً يقف في صلب الإجماع الوطني، ليس هيئات منتخبة، وإنما أشخاص في البزات العسكرية، وجميع حكومات إسرائيل السابقة أولت اهتماماً هائلاً للاقتراحات التي طرحها الجيش على اعتبار أنه يمثل الحكومة الدائمة."[145]

3. المجازر الإسرائيلية ضد المدنيين

في حال العودة بذاكرة التاريخ للوراء، نجد أن إسرائيل كدولة احتلال استيطاني تأسست على أنقاض الشعب الفلسطيني، قامت بممارسة الإرهاب كوسيلة لقمع وطرد وتشريد الفلسطينيين لتفريغ الأراضي من ساكنيها، ذلك باختيارها أهدافاً تغصّ بالمدنيين الأبرياء لهجماتها.

وفي تصريح لرئيس الوزراء الإسرائيلي بيغن في أعقاب مذبحة دير ياسين عام 1948 قال: "كان لهذه الحملة الصهيونية نتائج كبيرة غير متوقعة، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي لا حدود له، فأخذوا بالفرار للنجاة بأرواحهم، وسرعان ما تحوّل هذا الهرب الجماعي إلى اندفاع هائج جنوني لا يمكن كبحه أو السيطرة عليه، فمن أصل 800.000 عربي كانوا يعيشون على أرض إسرائيل الحالية لم يتبقَ سوى 165.000 فقط. إن الأهمية السياسية والاقتصادية لهذا التطور لا يمكن المبالغة فيها مهما قيل".[146]

لم يتوانَ الاحتلال الإسرائيلي عن ارتكاب المجازر بحق المدنيين الفلسطينيين في ظل عملية السلام، ففي عام 1994 قام متطرف إسرائيلي يدعى (غولد شتاين) بارتكاب مذبحة الحرم

---

[145] النعامي، صالح، المصدر السابق.

[146] الكيلاني، مصدر سبق ذكره ، ص 175.

الإبراهيمي التي راح ضحيتها 29 من الفلسطينيين، وفي عام 1996 قام الجيش الإسرائيلي بقتل حوالي ثمانين من الفلسطينيين على أثر هبّة النفق التي جاءت كرد فعل على إقرار الحكومة الإسرائيلية بحفر نفق تحت المسجد الأقصى، ناهيك عن عمليات الاغتيال المستمرة ضد نشطاء المقاومة قبل وبعد توقيع التسوية السلمية. هذه الجرائم الإسرائيلية المتكررة في ظل عملية السلام أدّت إلى ردود فعل انتقامية كان من بينها ظهور العمليات التفجيرية.

1. الاغتيالات السياسية

تعرض نشطاء المقاومة الفلسطينية للتصفية الجسدية في كافة مراحل نضالهم من قبل الشاباك والكوماندوز الإسرائيلي، سواء من كان منهم متواجداً داخل الأراضي المحتلة أو خارجها.

ولم تتوقف إسرائيل عن استهداف رجال المقاومة الفلسطينية حتى في ظل عملية السلام بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية، ففي عام 1995 قامت بتصفية (فتحي الشقاقي)، قائد الجهاد الإسلامي في مالطا، وفي عام 1996 قامت بتصفية المهندس (يحيى عياش) التابع لحركة حماس في غزة، وفي العام 1998 تمت تصفية (محي الدين الشريف وعادل عوض الله وعماد عوض الله). والقائمة تطول وتتَّسع، إلا أن ما ميز مرحلة أوسلو وما بعدها عن المراحل السابقة، هو عدم تردد الحكومة الإسرائيلية في الإعلان عن مسؤوليتها رسمياً وبشكل علني عن هذه الاغتيالات، وهذا ما تجنّبت الإفصاح عنه في السابق، إلا عبر إشارات كانت تبعث بها يُستدل من خلالها عن مسؤوليتها. وصل الأمر بالاحتلال في ظل انتفاضة الأقصى إلى نشر قائمةٍ بأسماء من تود اغتيالهم عبر الصحف المحلية والإنترنت، كان أبرزهم الشيخ أحمد ياسين، د.عبد العزيز الرنتيسي، صلاح شحادة، د.ثابت ثابت، وغيرهم من قادة ونشطاء المقاومة.

وقد أشار تقرير لمؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان أُعد حول سياسة الاغتيالات، إلى أن إسرائيل تعتبر الدولة الوحيدة التي أضفت الصبغة القانونية على عمليات القتل خارج إطار القانون ودون محاكمة، رغم أنّ جميع المواثيق والمعاهدات والقوانين الدولية والمحلية أقرت عدم شرعية اللجوء إلى عمليات القتل خارج نطاق القانون.[147]

وجديرٌ بالذكر أيضاً أنّ عمليات الاغتيال لاقت قبولاً وتشجيعاً من قبل رجال الدين الإسرائيليين، فعلى سبيل المثال أعطى الحاخام (يسرائيل مائير لاو) شرعية كاملة لسياسة الاغتيالات الاسرائيلية بقوله: "إن الدين يؤيد سياسة الإحباط الفعَّال [عمليات الاغتيال لمن يشتبه بأنهم يعدون لعمليات ضد الاحتلال دون محاكمات مسبقة] التي تنتهجها إسرائيل وتنفذ من قبل قوات الأمن بهدف منع الإرهابيين من مواصلة تخطيط وتنفيذ عملياتهم.[148]

إلاّ أن العديد من المحللين السياسيين والعسكريين يرون أن عمليات الاغتيال السياسي فشلت في التأثير على قدرة التنظيمات الفلسطينية، في مواصلة العمل المسلح ضد إسرائيل وتحديداً العمليات التفجيرية، بل يرى البعض ومنهم (رامي إيلديس) المعلق العسكري الإسرائيلي، أن عمليات التصفية زادت من دافعية عناصر المقاومة الفلسطينية لتنفيذ عمليات نوعية وتطوير قدراتهم الإبداعية في هذا المجال، مضيفاً أنه وبعد إعلان الأجهزة الأمنية الإسرائيلية عن تصفية قيادي تعتبره مؤثراً في حماس تجري عمليات انتحارية أشد وأقسى.[149]

---

[147] صحيفة القدس، الأربعاء 2/1/2008، ص 7.

[148] قاسم، يوسف محمد.(2007). أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذّات الفلسطينية، إنتفاضة الأقصى نموذجاً. رسالة ماجستير غير منشورة.بيرزيت – فلسطين، ص 147

[149] http://www.azzaman.com/azz/artcles/2002/01/01-15/a99922.htm

كما ويصرّح الكاتب الإسرائيلي (ستيفن ر. دافيد)، أنه على الرغم من أن سياسة التصفيات الجسدية تهدف إلى تقليص العنصر البشري الذي يتمتع بكاريزما خاصة في أعمال المقاومة، والتقليل من نجاعة وكفاءة التنظيمات الفلسطينية التي تنفّذ عمليات فدائية داخل إسرائيل، إلاّ أنها زادت عملياً من عدد القتلى الإسرائيليين، وأعطت نتائج عكسية لأنها حفّزت على الانتقام أكثر مما حافظت على الأرواح عبر القضاء على إرهابيين بارزين.[150] كما وعبّر (عامي أيلون) رئيس الاستخبارات الإسرائيلي السابق عن عدم فاعلية وجدوى عمليات الاغتيال في الحد من ظاهرة العمليات التفجيرية بقوله:" لن نتخلص من معتقدات شعب بقتل قادته، إننا نزيد الأمر سوءاً بعملياتنا هذه في ظل غياب منظورٍ سياسي، مما يؤدي إلى خلق مفجرين انتحاريين أكثر[151].

أما (شلومو أفنيري) أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية فيقول:" محض هراء الاعتقاد أن باستطاعة تلك الاغتيالات حل مشكلة حماس".[152] ويقول (آرييل مراري) " إنّ سياسة شارون تنحصر في القبضة الحديدية والتصفيات المستهدفة لقادة حماس والجهاد الإسلامي، لكن لا تكاد أجساد القادة المستهدفين الحقيقيين منهم والمزعومين تحترق في سياراتهم بواسطة الصواريخ، إلا وترد المنظمات بوسائلها المضادة والتي لا يمكن إنكار فاعليتها".[153]

من الواضح أنّ سياسة التصفيات الجسدية، التي مارسها الاحتلال ضد عناصر المقاومة الفلسطينية دون محاكمة ودون أن يكون لهم الحق في الدفاع عن أنفسهم، كانت كافية لاستفزاز

---

[150] دافيد، ستيفن.(2004). خيارات قاتلة، سياسة التصفيات الجسدية. ترجمة: محمد إلياس نزال، مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية، ص 15.

[151] رويتر، مصدر سبق ذكره، ص 175.

[152] المصدر السابق ، ص 175.

[153] المصدر السابق، ص 175.

وتحريض هؤلاء النشطاء للإقدام على تنفيذ عمليات تفجيرية يقتلون خلالها أكبر عدد ممكن من المحتلين، والتي قد تكون أفضل من انتظارهم للموت بصواريخ وطائرات الأباتشي.

فعندما يشعر الإنسان بأنه فرد في جماعة مضطهدة ومهددة وضعيفة، فإنه يحاول استعادة ذاته المسلوبة عبر هذا النوع من التوحد الذي يخلق المساواة والتكافؤ مع المعتدي، ولكن في حالة واحدة هي الموت، لأنه لا يستطيع أن يتساوى مع الإسرائيلي المحتل في الحياة، حيث يجد الشخص الموت أرحم من الحياة التي فرضها الاحتلال عليه، والتي لن تمكنه من تحقيق طموحاته الحياتية والإنسانية، فهو غير قادر على العمل أو السكن أو الزواج أو التنقل أو التعليم أو التواصل مع عائلته وأصدقائه[154].

من هنا فإنه يجد في أيديولوجية الدين الإسلامي حلولاً شافية، ليس في الحياة الدنيا وإنما في الآخرة، وذلك عبر العمل الاستشهادي الذي يحمل في ثناياه هالة مقدسة دينياً ووطنياً، فهو يتحول إلى شهيد وفي الوقت نفسه إلى بطل شعبي،[155] فلا يوجد ما يخسره في الحياة، لأن الاحتلال عملياً جرّده من كل شيء وطنه، حقوقه وواجباته، وحوّل حياته إلى جحيم لا يطاق في ظل سياسة الملاحقة والحصار إلى حد الاختناق.

العامل الفلسطيني:

لم تقتصر بواعث لجوء الشعب الفلسطيني لاستخدام العمليات التفجيرية على ممارسات الاحتلال من قتل وتدمير وتصفيات ومصادرة أراضي وعقاب جماعي، بل إن واقع الحياة

---

[154] عبد الحميد، مصدر سبق ذكره، ص 12.

[155] المصدر السابق، ص 12.

الفلسطينية وخصوصية الوضع الفلسطيني الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وعوامل أخرى تأثر بها المجتمع الفلسطيني، ساهمت جميعها في تأكيد هذه الظاهرة وتوسيع انتشارها، ومن هذه العوامل:

1. انهيار الثقة بالعملية السلمية

لم تغير الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة من سياستها تجاه الشعب الفلسطيني في أعقاب التوقيع على اتفاقية أوسلو، وتعاملت مع عملية السلام بشكل انتقائي مجرد من المضمون السياسي، فلم تفرج عن المعتقلين السياسيين، بل زادت من سياسة الاعتقال والاغتيال السياسي، وزادت أطماعها الاستعمارية القائمة على مصادرة المزيد من الأراضي لشق الطرق الالتفافية، وزرع المزيد من البؤر الاستيطانية، كان أخطرها وأكثرها استفزازاً توسيع الاستيطان في مدينة القدس، في محاولة لتغيير ملامحها الدينية والتاريخية تمهيداً لتهويدها وفصلها عن باقي المدن الفلسطينية.

وفي هذا الشأن حمّل الباحث الفرنسي (فرانسوا لوجران) المتخصص في الشؤون الفلسطينية، الجانب الإسرائيلي المسؤولية عن ظهور وتصاعد العمليات الاستشهادية الفلسطينية؛ لانتهاجها نفس النهج القائم على العداء والقمع للشعب الفلسطيني بعد أوسلو، واصفاً تلك العمليات بأنها عمل سياسي وليس تخريبياً، لأنها تأتي في إطار الرد لشخص سلك كافة الطرق العنفية والسلمية منها لاسترجاع حقوقه دون جدوى.[156]

2. الخلاف والتوتر السياسي بين السلطة الوطنية وحركات المقاومة الإسلامية

منذ اللحظة الأولى لتوقيع اتفاقية أوسلو عام 1993، تولّدت قوى سياسية على الساحة الفلسطينية معارضة تبنت المقاومة والجهاد كخيار وحيد لاسترجاع الحقوق المشروعة للشعب

[156] مركز زايد.(2001). العام الأول لانتفاضة الأقصى. دولة الإمارات العربية المتحدة:مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ص 30.

الفلسطيني، وعملت جاهدة على إفشال أي محاولة للتوصل إلى اتفاق حول وقف المقاومة، عبر المباشرة بالعمليات التفجيرية، على اعتبار أنّ أيّ اتفاق بهذا الشأن بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي سيؤدي حتماً إلى قمع المعارضة الرافضة للحلول السلمية.

وهذا ما عبَّر عنه د.(عبد العزيز الرنتيسي) قائلاً: "إنّ من بين أسباب لجوء حماس لتلك العمليات، أنها تُعتبر وسيلة للتصدي لحملات الاعتقالات والتضييق على التنظيمات الإسلامية من قبل السلطة الوطنية المقيّدة باتفاقات أوسلو، والمضغوط عليها إسرائيلياً وأمريكياً، خاصة في ظل وضعها على قوائم الإرهاب".[157]

وكانت السلطة الوطنية الفلسطينية قد لجأت إلى سياسة الاعتقال بحق أعضاء من حركتي حماس والجهاد الإسلامي، بعد قيامهما بتصعيد العمليات التفجيرية التي سببت إحراجاً للسلطة أمام المجتمع الدولي في ظل موجة الإدانات والانتقادات الدولية لتلك العمليات، وقد قوبلت عمليات الاعتقال باستهجان واستنكار الشارع الفلسطيني الذي لم يتوقع يوماً أن تتحول سجون الاحتلال التي طالما عانى منها كافة أطياف الشعب الفلسطيني، إلى سجون فلسطينية يقبع بداخلها نشطاء سياسيون من المناطق التي خضعت للسيطرة الأمنية الفلسطينية. من هنا كانت العمليات التفجيرية بمثابة وسيلة لإحراج السلطة الوطنية أمام المجتمع الدولي لعدم قدرتها على ضبط الأمن من ناحية، وبمثابة رسالة إلى السلطة الوطنية بأنّ هناك قوى على الساحة الفلسطينية لا يمكن تجاهلها وتهميشها في القرار السياسي.

3. ضعف وسوء إدارة السلطة الوطنية الفلسطينية:

---

[157] الرنتيسي، عبد العزيز." لماذا يتنافس الشباب الفلسطيني على العمليات".(نسخة الكترونية) http://www.aljammaa.net/av/detailkhabar2aps?id=14488.

كشفت الاجتياحات الإسرائيلية المتكررة للمناطق التي تسيطر عليها السلطة الوطنية وإعـــادة احتلالها مجدداً، وتحديداً في أعقاب عملية السور الواقي في العـــام 2002 عـــن مـــدى هشاشـــة وضعف مؤسسات السلطة، التي وقفت عاجزة عن توفير الحماية حتى لعناصرها في وقتٍ كان فيه جنود الاحتلال يقومون باقتحام المقرات والمؤسسات الأمنية الفلسطينية، ويعيثـــون فيهـــا فســـاداً ويصادرون الأسلحة ويعتقلون المئات من عناصر الأجهزة الأمنية بطريقة مهينة ومذلة.

مثّلت تلك المشاهد صدمة للشارع الفلسطيني أفقدته الثقة بسلطته الوطنية التي لم تقـــوَ حـــتى على حماية نفسها، فكانت العمليات التفجيرية البلسم الشافي والوسيلة الوحيدة القادرة علـــى كســـر المعادلات القائمة على موازين القوى، وكسر حاجز الصمت الدولي ولفت نظر المجتمع الـــدولي إلى معاناة الشعب الفلسطيني في ظل سلطة ضعيفة وعاجزة، وأنظمة عربية وإسلامية لا حول لها ولا قوة، وانحياز أمريكي وغربي كامل للاحتلال، في وقتٍ عجزت فيـــه المؤسســـات الحقوقيـــة والدولية عن اتخاذ أي إجراء يمكن خلاله وقف العدوان على الفلسطينيين.

4. انتصار المقاومة اللبنانية

كان لنجاح العديد من حركات التحرر الوطني عبر استخدام أسلوب الكفاح المســـلح عمومـــاً والعمليات التفجيرية خصوصاً في نيل الاستقلال، دور في لجوء المقاومة الفلسطينية إلى استخدام هذا الشكل من المقاومة، فقد عزز انتصار المقاومة اللبنانية على الاحتلال الإسرائيلي من التفـــاف الشعب الفلسطيني حول خيار المقاومة، وكانت العمليات التفجيرية التي بـــرع حـــزب الله فـــي استخدامها كاستراتيجية في حربه مع الاحتلال الصهيوني، والتي استطاع خلالها طـــرد الاحتلال

من الجنوب اللبناني، مصدر إلهام للمقاومة الفلسطينية التي باتت مقتنعة أكثر من أي وقت مضى، بأن المقاومة هي وسيلة الشعوب الطامحة للحرية والاستقلال.

5. التنافس بين الفصائل الفلسطينية

أصبحت العمليات التفجيرية في مرحلة معينة ذات قيمة ومكانة في نفوس أبناء المجتمع الفلسطيني، بعد أن وُجد أنها الوسيلة الوحيدة القادرة على جعل الاحتلال يصرخ ويعاني كما الشعب الفلسطيني، وأصبح من يقوم بهذه العمليات محل تقدير واحترام وتأييد لدى الغالبيه العظمى من الفلسطينيين، وكان للمرونة التي تعاملت بها السلطة الوطنية مع هذه العمليات وعدم اتخاذها موقفاً صارماً بشأنها منذ البداية، في محاولة لتوظيفها سياسياً للضّغط على الاحتلال وإجباره على تقديم تنازلات في المفاوضات، سبب في خروجها عن نطاق السيطرة بعد أن أصبحت محل تنافس بين التنظيمات الفلسطينية، لذا فقد أظهرت المقاومه مستوى من العشوائية واللاتوافق فيما بينها، فكان يتم تبني بعض العمليات من أكثر من تنظيم مما أدى إلى الكثير من التراجع والفوضى في عمليات المقاومه، لدرجة أن بعضها كُشِفت قبل تنفيذها بسبب بيانات الفصائل التي تصدر دون تنسيق بين مجموعات المقاومه العسكرية، فغاب العمل السياسي الهادف وحلّت محله المنافسة التي وصلت حد المزاودة بين الفصائل على من قتل أكثر من الإسرائيليين.[158]

6. الاستخدام المفرط للقوه من قبل الاحتلال

كان لزيارة شارون الاستفزازية للمسجد الأقصى، وطريقة تعامل قواته مع الفلسطينيين لقمع المظاهرات والاحتجاجات السلمية في بداية الإنتفاضه، دورٌ في لجوء المقاومه إلى العمليات

[158] بشارة،عزمي.(2002). ما بعد الاجتياح في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية. ط 1. رام الله: مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ص 40-41.

الفدائية والتفجيرية، فحسب شهادة قائد إحدى كتائب الاحتياط في جيش الاحتلال قال "إن جنود الاحتلال أفرطوا في استخدام القوة حيث أطلقوا 850 الف عيار من الذخيرة الحية على الفلسطينيين في الشهر الأول من الانتفاضة، دون أن يكون هناك دواع أمنيه لذلك.[159] فكانت العمليات التفجيرية رداً على التجاوزات الإسرائيلية تُجاه الفلسطينيين ووسائلهم السلمية، في السياق نفسه يقول (خالد مشعل):" إن الشعب الفلسطيني دُفِع إلى العمليات الإستشهاديه دفعاً، فالمعركة غير متكافئة ولو كان عند الشعب الفلسطيني سلاحٌ موازٍ للسلاح الإسرائيلي لقاتَلَ بالطرق التقليدية، ولو أن المجتمع الدولي أنْصَفَهُ ودحر الاحتلال عنه، لما احتاج إلى هذا النوع من العمليات".[160]

الفصل الثاني.

المقاومة الفلسطينية ما بين الأداة والهدف.

- إشكالية المقاومة الفلسطينية المسلحة في ظل انتفاضة الأقصى.
- جدلية المقاومة المسلّحة والعمليات التفجيرية بعد أحداث 11 سبتمبر.
- العمليات التفجيرية وإشكالية استهداف المدنيين.

---

[159] النعامي، صالح. http://www.naamy.net/view.php?=2003-74k.

[160] مشعل،خالد. "الظاهرة الإستشهاديه". برنامج حوار مفتوح، قناة الجزيرة الفضائية، 29\6\2002. http://www.aljazeera.net

إشكالية المقاومة الفلسطينية المسلحة في ظل انتفاضة الأقصى.

بعد سلسلة من الإخفاقات السياسية استمرت لأكثر من سبع سنوات منذ توقيع اتفاق أوسلو عام 1993، وجد الشعب الفلسطيني نفسه محاصراً بالاستيطان والطرق الالتفافية ووضع اقتصادي من سيءٍ إلى أسوأ، حيث انتهت المرحلة الانتقالية في أيار عام 1997، دون أن يستطيع الجانب الفلسطيني تحقيق تقدم ملموس جراء المفاوضات المستمرة لأكثر من سبع سنوات، لم يتم خلالها قطف ثمار عملية السلام في ظل سياسة المماطلة للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.

من هنا كانت انتفاضة الأقصى تعبيراً شعبياً عن رفض الاستمرار في سياسة التفاوض مع الجانب الإسرائيلي، الذي لم يحترم أياً من وعوده واتفاقياته مع الفلسطينيين، وكانت زيارة شارون للمسجد الأقصى بمثابة الشرارة التي أشعلت جذوة المقاومة من جديد، والتي تميزت ببعدها العسكري وافتقارها للبعد الشعبي، السمة التي غلبت على انتفاضة عام 1987.

في بداية الأمر، وتحديداً في الشهور الأربعة الأولى، حملت انتفاضة الأقصى الطابع الشعبي المتمثل باستخدام الحجارة والزجاجات الحارقة والمظاهرات والاعتصامات في مواجهة جيش الاحتلال، على الرغم من استخدامه للقوة العسكرية الضخمة منذ الوهلة الأولى لقمع الاحتجاج الشعبي على دخول شارون لباحة المسجد الأقصى، مما أدى إلى سقوط أعداد كبيرة من الشهداء جراء استخدام الرصاص الحي في تفريق وقمع المظاهرات الشعبية، ويؤكد ذلك واقع استشهاد 297 فلسطينياً بعد 63 يوماً فقط من اندلاع انتفاضة الأقصى في الثامن والعشرين من أيلول عام 2000 وحتى نهاية شهر تشرين الثاني من العام نفسه، بواقع 38% من إجمالي عدد الشهداء خلال العام الأول للانتفاضة والبالغ 789 شهيداً.[161]

أدى ذلك إلى تحوّل الانتفاضة شيئاً فشيئاً من انتفاضة شعبية غلبت عليها وسائل المقاومة السلمية إلى مقاومة مسلحة، اقتصرت في بدايتها على الاشتباك مع جنود الاحتلال وإطلاق النار باتجاه المستوطنين والمستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، وتبني التنظيم التابع لحركة فتح مسؤولية هذه الاشتباكات. ويأتي هذا التحوّل للمقاومة في محاولة لزعزعة أمن واستقرار المستوطنين ورفع كلفة الإحتلال وتواجده في الضفة الغربية والقطاع.

---

[161] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات.(2002). انتفاضة الاستقلال، العام الأول. ط 1. بيروت: شركة التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، ص 125.

أخذ الخط البياني للعمليات الفلسطينية المسلحة في الازدياد والتطور كماً ونوعاً وصولاً إلى العمليات التفجيرية التي طغت فعالياتها على أشكال المقاومة الأخرى، بما فيها المقاومة الشعبية والعمليات المسلّحة في الأراضي المحتلة عام 1967، وقد كان لتركيز الإعلام الإسرائيلي والغربي على العمليات التفجيرية التي تنفذ داخل مناطق 1948 دورٌ في إظهارها، وكأنها تستهدف الوجود الإسرائيلي عبر استهدافها للمدنيين.

وقد كان لبعض التغيرات على الساحة الداخلية والخارجية أثرٌ في بروز بعض الإشكاليات التي أدت إلى تحولات في مسار الانتفاضة، فعلى الصعيد الداخلي الفلسطيني، أضاف وجود السلطة الفلسطينية بعداً جديداً على الانتفاضة، تمثل في انخراط بعض عناصر القوى والأجهزة الأمنية الفلسطينية في الدفاع عن الشعب الفلسطيني ضد الهجمات الإسرائيلية، الأمر الذي استغله الجانب الإسرائيلي إعلامياً وسياسياً لإبراز الاشتباكات وكأنها بين طرفين متكافئين عسكرياً، على الرغم من أن الاختلال واضح في ميزان القوى العسكرية لصالح إسرائيل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان لدخول الفلسطينيين مسلسل التسوية، وقبولهم بالحل السلمي كخيار استراتيجي أثرٌ سلبيٌ على القضية الفلسطينية كقضية تحرّر وطني،[162] حيث أصبحت القيادة الفلسطينية تأخذ طابعاً مزدوجاً، فهي قيادة حركة تحرر وقيادة سلطة في آن واحد، وبالطبع فإن شروط وأشكال عمل حركات التحرر تختلف تماماً عن استحقاقات والتزامات السلطة.[163]

أضف إلى ذلك أنّ ظاهرة عسكرة الانتفاضة لم تكن وليدة استراتيجية سياسية ونضالية مدروسة، ذلك بسبب عدم وجود برنامج نضالي متفق عليه بين القوى والفصائل الفلسطينية

---

[162] أبراش، إبراهيم." الإرهاب وإشكاليته في تعريفه لا في محاربته".(نسخة الكترونية). www.sis.gov.ps/arabic/roya/17/page2

[163] كيالي، مصدر سبق ذكره، ص 51.

المختلفة، وغياب مرجعية سياسية واحدة للانتفاضة تتحكم بأدائها وأشكالها النضالية تناغماً مع أهدافها ومحيطها السياسي الدولي، مما أدّى إلى اشتداد مظاهر الانقسام وازدواجية الخطاب ومحاولات فرض رؤى واستراتيجيات متناقضة للقوى الفاعلة في الصراع، أدى ذلك إلى تآكل الدور القيادي للسلطة الفلسطينية كإطار منظم وضابط للعملية الكفاحية، وغيابها الكامل عن إدارة الصراع الميداني بعد أن أجهزت قوات الاحتلال على مؤسساتها الأمنية؛ لتقويض هذه السلطة كثمرة لعملية سياسية مرفوضة من هذه الأطراف.[164]

أدى ذلك إلى وجود استراتيجيتين للمقاومة المسلحة تمثلت أولاها بتركيز المقاومة ضد وجود الاحتلال الإسرائيلي ومستوطنيه في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي تبنتها الأذرع العسكرية لحركة فتح والجبهتين الشعبية والديمقراطية، أما الثانية: فقد تبنتها وانتهجتها الأجنحة العسكرية لحركتي حماس والجهاد الإسلامي، وتمثلت بالعمليات التفجيرية داخل ما يعرف بالخط الأخضر، حيث استهدفت المطاعم والملاهي والمقاهي والحافلات وأماكن الاكتظاظ العامة.[165]

قُوبلت المقاومة الفلسطينية عموماً والعمليات التفجيرية خصوصاً بانتقاد واستنكار شديدين على المستوى الإقليمي والدولي، تُرجم هذا الاستنكار إلى ضغوط إسرائيلية وأمريكية وغربية وعربية مورست على السلطة الوطنية الفلسطينية لإيقاف المقاومة بكافة أشكالها، عبر تذكيرها باتفاقية أوسلو وضرورة الالتزام بعملية السلام، دون أن تمارس نفس الضغوط على الجانب الإسرائيلي الذي لم يستثن وسيلة إلا واستخدمها لتصعيد الموقف مع الفلسطينيّين، لنسف أي محاولة أو وساطة أو مبادرة من شأنها تهدئة الأوضاع.

---

[164] عوض الله،حيدر."الحصاد المر".بانوراما الانتفاضة، 27/12/2007 http://fatehforums.com/showthread.php?t=104322

[165] كيالي، ماجد. "إشكالية المقاومة المسلحة والعمليات الاستشهادية". حزيران 2002. (نسخة الكترونية) www.arabicmediainternetnetwork.htm

جاءت الضغوط الأمريكية على لسان الجنرال (انتوني زيني) المبعوث الأمريكي للمنطقة، من خلال التهديد باتخاذ عدد من الإجراءات ضد السلطة الوطنية في حال عدم قيامها بوقف العمليات واعتقال كوادر المقاومة، والمتمثلة في سحب الاعتراف بالسلطة والتوقف عن إجراء اتصالات مع قيادتها، وعن تقديم الدعم المادي لأجهزتها الوطنية،[166] إضافة إلى تحريض الدول المانحة في الاتحاد الأوروبي على وقف دعمها ومساعداتها لمؤسسات السلطة، علما أن المساعدات التي تقدمها الدول المانحة تشكل أكثر من 50% من مصادر التمويل الداعمة للسلطة الفلسطينية.[167]

ورغم أن بعض الدول الأوروبية لا تتفق مع واشنطن بتحميل السلطة المسؤولية المطلقة عما يحدث إلا أنها كانت تلتزم بمعظم ما كان يطلب منها أمريكيا، أضف إلى أنّ عدم التزام الدول العربية الداعمة للشعب الفلسطيني بتقديم المساعدات المالية للسلطة، والتي أقرتها في العديد من المؤتمرات، وضع السلطة في ظل الضغوط الداخلية والخارجية في موقف لا تحسد عليه، حيث وجدت نفسها أمام خيارين: إمّا أن تكون سلطة مقيدة باتفاقية أوسلو خاضعة للإملاءات والشروط الأمريكية – الإسرائيلية، وبهذا تكون مطالبة بأن تدير ظهرها لشعبها وتغضُّ البصر عن ممارسات الاحتلال واستفزازاته، وفي الوقت ذاته تعمل على استخدام قوتها وسطوتها لفرض وجودها وإثبات مصداقيتها أمام المجتمع الدولي، على أن تكون قوتها موجهة ضد شعبها وليس ضد الاحتلال وممارساته، وإما أن تنحاز إلى خيار المقاومة والعمل العسكري، وبهذا تكون إسرائيل جاهزة ومستعدة للتصعيد من أجل العمل على تدمير السلطة واجتثاثها من جذورها.

---

[166] النعامي، صالح محمد."القضية الفلسطينية السلطة والمقاومة في مفترق طرق". شؤون سياسية. (نسخة الكترونية) http://www.islamonline.nrt/arabic/politics/2001/12/article6.shtm

[167] المصدر السابق نفسه.

السلطة من جانبها رفضت الخيارين الأول والثاني، وآثرت خيار التهدئة الذي حاول شارون جاهداً إفشاله عبر التصعيد العسكري المستمر، وعمليات الاغتيال، وسياسة الاجتياحات، والتدمير لبيوت ومساكن المدنيين قبل تدمير مراكز ومقار السلطة الفلسطينية.

وعلى الصّعيد الإسرائيلي نجح شارون في إطار سياسته التصعيدية في جر الشارع الفلسطيني إلى ردود فعل تخدم سياسته العدوانية والقمعية، وتعمل على تأزيم الوضع لفرض رؤيته وتنفيذ مخططاته القائمة على الحل الأمني واستبعاد أي خيار أو حل سياسي، مراهنا بذلك على تعب الفلسطينيين وقيادتهم واستنزاف مقاومتهم حين قال :"يجب ضرب الفلسطينيين ضربا موجعا وعلينا إلحاق الخسائر بهم وإيقاع الضحايا كي يشعروا بفداحة الثمن".[168]

وجد الفلسطينيون أنفسهم في مواجهة مع الدولة والمجتمع الإسرائيلي في آن واحد، ذلك أن تنفيذ عمليات داخل المدن الإسرائيلية (في المناطق المحتلة عام 1948) أدى إلى استهداف وسقوط مدنيين إسرائيليين، مما أوجد حالة من الصراع الفلسطيني ليس مع دولة الاحتلال فحسب، وإنما مع المجتمع الإسرائيلي الذي ينتمي إلى هذه الدولة والتي أظهرت انتفاضة الأقصى بأنه يتماشى مع سياستها وأيدلوجيتها القائمة على العدوان والقتل والدمار، الأمر الذي سهّل على شارون استقطاب واستمالة معظم فئات الشعب الإسرائيلي إلى اليمين المتطرف، خاصة بعد نجاحه في إقامة حكومة وحدة وطنية تجمع حزبَي الليكود والعمل وحركة شاس.

أدى ذلك إلى تقليص دور وفاعلية قوى السلام الإسرائيلية، الذي كان شبه غائباً عن المشهد السياسي الإسرائيلي طوال فترة الانتفاضة، فقد راهن الفلسطينيون على أنهم باستهداف المدنيين

---

[168] شارون، أرييل. "حديث صحفي بتاريخ 5/3/2002". مجلة الرقيب. عدد 31، السنه السادسة، تشرين الأول /2002.

.www.phrmg.org/Arabic/monitor2002/oct2002.htm

قادرين على إقناعهم بفك ارتباطهم بحكومتهم وثنْيها عن سياستها العدوانية تجاه الفلسطينيين، وهذا ما برز عكسه، فالإسرائيليون الذين تلقوا ضربات المقاومة لا سيّما العمليات التفجيرية ونتيجة ما أصابهم منها، انْجرُّوا أكثر وراء سياسة حكوماتهم الأكثر فظاعة.[169]

أما على الصعيد الدولي، فمن المعلوم أن القضية الفلسطينية تتأثر أكثر من غيرها بالمتغيرات الدولية، وبما أن إسرائيل نشأت ضمن المشاريع الاستعمارية التي قامت بزراعتها في قلب الوطن العربي، فإنّ أي صراع يمسّ بأمن الكيان الصهيوني، هو حتماً يمس بالمصالح الاستعمارية للغرب، لذا فإنه وبحكم الروابط التاريخية والثقافية والسياسية التي تجمع بين إسرائيل والغرب، فإن الانحياز سيكون بالتأكيد لصالح إسرائيل، ويتضح ذلك من خلال الدعم اللامحدود الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية لإسرائيل في أعقاب 11سبتمبر، والذي بدا واضحاً من خلال تبرير العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني ووصفه بأنه يأتي في إطار الدفاع المشروع عن النفس، في الوقت الذي كان يتم فيه استنكار وإدانة أيّ عملية ضد الاحتلال الإسرائيلي ووصفها بالإرهاب في تحيُّز واضح لصالح الاحتلال، كذلك قيام الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية بإدراج فصائل المقاومة الفلسطينية على قائمة المنظمات الإرهابية التي يحظر التعامل معها، وبتحريض المجتمع الدولي ضد الرئيس الفلسطيني، حيث طالب الرئيس الأمريكي جورج بوش في حزيران عام 2002 من الفلسطينيين إيجاد قيادة بديلة لعرفات لا ترعى الإرهاب على حد تعبيره،[170] رابطاً بذلك بين المقاومة الفلسطينية وقادتها وبين الإرهاب وزعمائه.

---

[169] الأشقر، جليبر.(2002). صِدام الهمجيات الإرهاب،الإرهاب المقابل والفوضى العالمية قبل 11أيلول وبعده. ترجمة: كميل داغر. ط 1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 87.

[170] خنفر، نهاد عبد الإله.(2005). التمييز بين الإرهاب والمقاومة وأثره على المقاومة الفلسطينية بين عامي 2001-2004. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، ص 103.

وفي الشأن ذاته أكّد موشيه يعلون، رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، في مؤتمر هرتزليا في الثاني عشر من أيلول عام 2002 "بأن الموقف الأمريكي المؤيد والمساند للممارسات الإسرائيلية، أتاح لجيش الاحتلال وحكومته التحرك بحرية واسعة لضرب المقاومة الفلسطينية، وبأن هذه الهجمات جعلت الولايات المتحدة أكثر تفهماً لسياسة القتل المستهدف (الإعدام خارج نطاق القانون)، حيث أنّ هناك شعوراً في إسرائيل والولايات المتحدة بأننا نكافح الإرهاب معاً".[171]

وكانت إسرائيل قد وجدت في تفجيرات 11 سبتمبر فرصتها الذهبية للخلط بين المقاومة الفلسطينية والإرهاب، عبر إزالة كل الخطوط والفواصل بين العنف المشروع الذي تمارسه حركات التحرر الوطني ضد الاحتلال، وبين العنف غير المشروع الذي اصطلح على تسميته بالإرهاب، والذي تمارسه جماعات ليس لديها أي انتماءات وطنية في محاولة منها لتشويه صورة وأخلاقية النضال الفلسطيني.

وبرزت الجهود الإسرائيلية بهذا الشأن بشكل واضح عبر أدواتها الإعلامية والدبلوماسية النشطة، في تحريض المجتمع الدولي ضد النضال الفلسطيني وضد السلطة الوطنية من خلال عدم اعترافها بالشرعية الفلسطينية، وطلبها من الفلسطينيين إيجاد شريك للسلام بديلاً عن الرئيس عرفات، عبر التصريحات المتكررة للعديد من الشخصيات الإسرائيلية البارزة، ومنها تشبيه شارون في تصريح له هجمات 11 سبتمبر التي نفذت في نيويورك وواشنطن، بتلك الهجمات الفلسطينية على إسرائيل،[172] وتشبيه ياسر عرفات بابن لادن فلسطين.

---

[171] صحيفة القدس الفلسطينية، 12/9/2002، ص 1– 22.

[172] المصدر السابق، ص 1.

وفي المحصّلة، إنّ تجاهل المقاومة الفلسطينية للتحولات والمتغيرات على الساحة الدولية أسهم في عزلها وتشديد الخناق عليها وضربها بقوة، فالزمان والمكان كانا أهم الاعتبارات التي كان يجب أن تأخذهما المقاومة بعيْن الاعتبار؛ لتحافظ على شرعية نضالها وتفويت الفرصة على أي محاولة إسرائيلية للمس بها وتحريض المجتمع الدولي عليها، خاصة في ظل تداعيات أحداث 11 سبتمبر والحرب على الإرهاب، التي شكَّلت نقطة تحول في نظرة المجتمع الدولي للمقاومة وتحديداً العمليات التفجيرية داخل الأراضي المحتلة عام 1948، والتي كانت محل رفض من قبل المجتمع الدولي وكان رفضه أشد لاستهدافها المدنيين.

جدلية المقاومة المسلّحة والعمليات التفجيرية بعد أحداث 11 سبتمبر

إن عدم الاتفاق على برنامج نضالي قادر على جمع وتوحيد كافة الفصائل الفلسطينية على هدف استراتيجي واحد، وعدم إدراك أبعاد وتأثيرات المقاومة المسلحة عموماً والعمليات التفجيرية خصوصاً على القضية الفلسطينية، في ظل المتغيرات الدولية التي أعقبت أحداث 11 سبتمبر، أوجد حالة من الجدل والنقاش داخل أوساط المجتمع الفلسطيني حول الجدوى السياسية من الاستمرار بنهج العمليات التفجيرية، والتي لم تجد إجماعاً حتى لدى الجمهور الفلسطيني بعد أن صدرت العديد من الاستنكارات والنداءات من قبل السلطة الفلسطينية وبعض الشخصيات الوطنية والمستقلة المطالبة بوقف هذا النهج من المقاومة.

وقد أظهرت بعض المواقف والتصريحات لقادة القوى الفلسطينية الوطنية والإسلامية انقساماً حتى داخل الفصيل الواحد، مما سهل على حكومة شارون تسويق جرائمها ضد الشعب الفلسطيني وتصويرها على أنها تأتي في إطار الدفاع عن النفس مستغلة حالة الانقسام الداخلي الفلسطيني،

والتّناقض في المواقف والتصريحات، وعشوائية المقاومة الناجمة عن عدم التنسيق بين الفصائل وعدم وجود برنامج وطني موحد، حتى أصبحت كل عملية فدائية تُقابَل بموجة من الإدانات والاستنكارات، في حين أصبحت كافة الممارسات الإسرائيلية من قتل واعتقال واجتياح للمناطق مبررة، وتأتي في إطار الدفاع عن النفس ضد ما يسمى بالإرهاب الفلسطيني.

وفي هذا الإطار أظهرت اجتماعات وبيانات وندوات القوى السياسية الوطنية والإسلامية اتجاهات ثلاثة، اختلفت رؤيتها للمقاومة الفلسطينية تبعاً لاختلاف برامجها وتوجهاتها السياسية، فالاتجاه الأول المؤيد والداعم للعمليات التفجيرية ممثلاً بحركتي حماس والجهاد الإسلامي وحزب الخلاص الإسلامي وبعض كوادر فتح،[173] تعامل مع الانتفاضة كفرصة تاريخية للتخلص من المفاوضات ومن اتفاقية أوسلو، التي لم تجلب للفلسطينيين من وجهة نظرهم سوى المزيد من التنازلات والأزمات السياسية، ويرون في العمليات التفجيرية الوسيلة الوحيدة القادرة على إرغام إسرائيل على الاعتراف بالحقوق الوطنية والشرعية للفلسطينيين، وعلى خلق حالة من توازن الرعب في ظل اختلال التوازن العسكري لصالح الاحتلال.

وطالب هذا الاتجاه ولازال بإيقاف كافة أشكال المفاوضات والاتصالات واللقاءات الأمنية والسياسية مع إسرائيل، ورفع شعار المقاومة المسلحة والجهاد في سبيل الله بديلاً عن المفاوضات، متخذاً من حزب الله اللبناني وعملياته التفجيرية نموذجاً يحتذى لدحر الاحتلال ونيل الاستقلال.

كذلك يدرك مؤيدو العمليات التفجيرية أنها لن تحرر فلسطين على وجه القطع واليقين، ولكن فائدتها تتمثل في إبقاء جذوة الجهاد والمقاومة وإبقاء القضية حية في نفوس أبناء الأمة الإسلامية،

---

[173] نوفل، مصدر سبق ذكره، ص 297.

إضافةً إلى أنها قادرة على أن تضرب في عمق المشروع الصهيوني وتؤخر نموه وتمدده،[174] وذلك عبر ضرب اقتصاد الاحتلال، وضرب النظرية الأمنية الصهيونية ومشروع الهجرة والمستوطنات داخل حدود 1967، مما يؤدي لعدم استقرار البنية الاجتماعية الصهيونية.

أما الاتجاه الرافض لهذا النوع من العمليات ممثلاً بأعضاء في قيادة السلطة الوطنية والمجلس التشريعي ولجنة المفاوضات، وشريحة واسعة من المثقفين والمحللين السياسيين والاقتصاديين، فقد طالبوا بإيقاف هذه العمليات كمصلحة وطنية ملحة لتقليص الخسائر واستقطاب الدعم الدولي والإقليمي، والتأثير في الرأي العام الإسرائيلي وتكوين معارضة قوية.[175]

وقد وجدت العديد من الشخصيات الوطنية العاملة في الحقلين السياسي والثقافي، أبرزها حيدر عبد الشافي وإدوارد سعيد وحنان عشراوي وعزمي بشارة، ممن رفعوا أصواتهم مطالبين بوقف كافة أشكال المقاومة وخصوصاً تلك العمليات التي يتم تنفيذها في المناطق المحتلة عام 1948، والتي يكون معظم ضحاياها من المدنيين الإسرائيليين؛ معللين سبب رفضهم لتلك العمليات بأنها تعمل على تشويه صورة النضال الفلسطيني وتمس بشرعيته وأخلاقياته، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على القضية الفلسطينية.

وحذّرت هذه الشخصيات من مغبة الوقوع في فخ شارون والانجرار وراء سياسته الهادفة إلى جر الشارع الفلسطيني إلى مواجهة عسكرية غير متكافئة، هدفها عسكرة الانتفاضة والتغرير بالرأي العام الدولي وخداعه بتبرير ممارساته الوحشية ضد الفلسطينيين، وإظهار الصراع وكأنه بين جيشين متكافئين عدداً وعُدّة، تمهيداً لتنفيذ سياسة شارون القائمة على نسف عملية السلام

---

[174] الصلاحات، سامي." العمليات الاستشهادية في منظور السياسة الشرعية".القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2006 (نسخة الكترونية) http://www.alqudsonline.com/book_show.asp?topic_id=16

[175] نوفل،مصدر سبق ذكره، ص 298.

وتكريس حقائق ووقائع جديدة على الأرض لتدمير مقومات قيام دولة فلسطينية. وفي هذا الإطار يقول عبد الرحمن الترك أن إسرائيل أحسنت استخدام وضعية السلطة لصالحها على كافة المستويات، وأهم مجالات الاستخدام هذه أن إسرائيل صوّرت للعالم أنها تخوض حرباً ضد كيان فلسطيني إرهابي يمتلك جيشاً وأجهزة أمنية، وبنية مسلحة، وإعلام محرِّض على الإرهاب.[176]

وقد طالب رافضو "عسكرة الانتفاضة" من القائمين على العمليات التفجيرية ومشجعيها ومموليها بقراءة واقعية للظُروف الدولية، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر حيث الاختلال في موازين القوى وميل المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين المتطرف، والانحياز الأمريكي غير المسبوق لإسرائيل، وتقاعس هيئة الأمم المتحدة عن الضغط على الجانب الإسرائيلي لحثه على الوفاء بالتزاماته تجاه عملية السلام ووقف عدوانه على الشعب الفلسطيني، وعجز القوى الإقليمية والدولية التي أصبحت أداة طيعة بيد الولايات المتحدة عن دعم المقاومة والشعب الفلسطيني، مطالبين بضرورة العودة إلى طاولة المفاوضات وتصحيح مسار الانتفاضة لتأخذ طابعها الشعبي على غرار انتفاضة عام 1987.

أما أصحاب الاتجاه المنتقد ممثلين بأعضاء من فتح وحزب فدا وجبهة النضال الشعبي،[177] فيتبنون فكرة استمرار المقاومة والمفاوضات جنباً إلى جنب، هم لا يختلفون مع الفصائل الأخرى سواء المؤيدة أو المعارضة حول عدالة القضية ووحدة الهدف المتمثل بالتحرير والاستقلال، ولكن الخلاف يكمن حول ما يمكن أن تحققه العمليات التفجيرية من أهداف وطنية في ظل توقيت وظروف دولية غير مناسبين، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، ويعارض

---

[176] الترك،عبد الرحمن. "مستقبل الاستشهاد والمقاومة في فلسطين". 31 تموز 2002.
http://www.amin.org/views/abdul_rahman_alturk/2002/jul31.html

[177] نوفل، مصدر سبق ذكره، ص 300.

أصحاب هذا الاتجاه العمليات التي تتم داخل الأراضي المحتلة عام 1948 والتي تستهدف المدنيين الإسرائيليين، في حين يؤيدونها ضد جيش الاحتلال والمستوطنين في حدود الضفة الغربية وقطاع غزة بوصفها نضالاً مشروعاً وحقاً كفلته الشرعية الدولية، وفي الوقت ذاته يرى أصحاب هذا الاتجاه في عملية السلام خياراً استراتيجياً، وفي المفاوضات أقرب الطرق وأقصرها لتحقيق الفلسطينيين لأهدافهم الوطنية وحصولهم على حقوقهم المشروعة.

في هذا الإطار يرى قدورة فارس أحد أعضاء حركة فتح، بأن المقاومة المسلحة دون استهداف المدنيين بإمكانها أن تجلب تعاطفاً دولياً واسعا، ولكن هذا التعاطف يكون أكبر لو عززنا النضال بوسائل شعبية، ويضيف بأن العمل العسكري يصبح أجدى لو تركز على الجنود والمستوطنين في حدود أراضي عام 1967؛ لأن ذلك يؤدي إلى تعميق الخلاف داخل المجتمع الإسرائيلي، ويرى بأن العمليات التفجيرية داخل إسرائيل حسم النقاش لصالح المتطرفين، فظهر وكأن الإسرائيلي مستهدف أينما كان.[178]

ترى الباحثة أن اختلاف وتباين مواقف القوى الوطنية والإسلامية حول استراتيجية المقاومة، إنما يعكس القناعات والتوجهات السياسية والفكرية لكل اتجاه على الساحة الفلسطينية، وعلى الرغم من أن كافة هذه التوجهات تصْبو إلى تحقيق هدف واحد ممثلاً بدحر الاحتلال وتقرير المصير، إلا أن عدم وجود إجماع وطني على استراتيجية نضالية موحدة أدى إلى تشتيت الجهود وأضر بالمصالح العليا للشعب الفلسطيني.

---

[178] جريدة العمل الأهلي.(2002). "إشكالية المقاومة المسلحة". نشرة دورية تصدر عن شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، عدد 37: السنة الخامسة، الثلاثاء 11/12/2002، ص 2.

فالمقاومة حق لكل الشعوب، ولكن ممارسة هذا الحق يحتاج إلى حذر كي لا يشوه عدالة القضية ويفقدها معناها، فقد أثبتت تجارب حركات التحرر الوطني عبر التاريخ أن كثيراً من الحقوق الوطنية حتى السامية منها، يخسرها أصحابها وتفقد مصداقيتها إن لم يتم التعامل معها بعقلانية، وضمن رؤية شمولية تربط ما بين العقل والهدف والوسيلة وردود الأفعال المحلية والدولية.[179]

ولا شك أن النضال المشروع يفقد معناه إذا تحول إلى أعمال فئوية لا تندرج في إطار الإجماع الوطني، ومن وجهة نظر الباحثة فإن هذا ما ينطبق على الوضع الفلسطيني الذي لم تبذل قياداته وقواه الوطنية والإسلامية جهوداً حقيقية وكافية للخروج من المأزق، عبر رصّ الصّفوف وتوحيد المواقف والأهداف السياسية والاستراتيجيات النضالية من خلال الحوار والنقاش، الأمر الذي أدى إلى تشتيت المقاومة، التي أصبح يُنظر إليها على أنها غاية وليست وسيلة في ظل عدم القدرة على توظيفها لخدمة الأهداف الوطنية.

العمليات التفجيرية وإشكالية استهداف المدنيين:

عند الحديث عن استهداف المدنيين، لا بد من العودة بذاكرة التاريخ قليلاً إلى الوراء وتقليب صفحات الإرهاب الصهيوني، لتسليط الضوء على بعض عملياته الإرهابية ضد المدنيين الفلسطينيين، والتي جاءت في سياق ترويع وتشريد وإرهاب العرب دونما اعتبار لعدد الضحايا أو أعمارهم أو أجناسهم أو علاقتهم بالعمل الفدائي، مع التأكيد على أن العمليات الصهيونية ضد

---

[179] أبراش،إبراهيم." الإرهاب إشكاليته في تعريفه لا في محاربته،إرهاب الأقوياء ودفاع الضعفاء".
www.sis.gov.ps/arabic/roya/17/page2

المدنيين الفلسطينيين لم تأخذ الطابع الفردي أو المزاجي، فقد اتّضح وبحسب الشهادات الإسرائيلية، أنها جاءت تطبيقاً لخطة مدروسة هدفت إلى ترويع الشعب الفلسطيني تمهيداً لتهجيره.[180]

وقد كانت وسائل النقل والأسواق التجارية والشوارع الرئيسية والأحياء الشعبية في المدن كالقدس وحيفا ويافا، من أسهل الأهداف للإرهابيين اليهود، وكانت عملية نسف مبنى فندق الملك داوود في القدس عام 1946 أحد الأدلة على الإرهاب والإجرام الصهيوني، حيث راح ضحية التفجير آنذاك ما يقارب المئتي قتيل معظمهم من العرب المدنيين والإنجليز الذين كان معظمهم من الجنود.[181] وقد وصل معدل القتلى المدنيين من العرب شهرياً، وتحديداً في الأشهر الستة التي سبقت إعلان قيام دولة إسرائيل إلى 150 قتيلاً.[182]

وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام 1948، استمرت في سياستها العدوانية ضد المدنيين الفلسطينيين عبر سلسلة من المذابح والمجازر، كان أبرزها مذبحة دير ياسين عام 1948 التي راح ضحيتها حوالي 100 قتيل مدني، صبرا وشاتيلا عام 1982، وأسفرت عن مقتل 1200 مدني، واستمرت إسرائيل في استهداف المدنيين في ظل عملية السلام، فمن مجزرة الحرم الإبراهيمي عام 1994 والتي راح ضحيتها 29 قتيلاً، إلى مذبحة قانا في لبنان عام 1996 والتي أسفرت عن مقتل 109 من المدنيين إلى مذبحة جنين في عام 2002 والتي راح ضحيتها حوالي 52 مدنياً، وغيرها الكثير من المذابح والمجازر التي راح ضحيتها آلاف المدنيين الفلسطينيين والعرب على حد سواء.

---

[180] ياهف، دان.(2004). طهارة السلاح أخلاق وأسطورة وواقع. ترجمة جوني منصور. فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ص 92.

[181] المصدر السابق، ص 73.

[182] المصدر السابق نفسه.

إن هذه الحقائق تقود إلى حقائق أخرى أهمها: أن العمليات التفجيرية الفلسطينية ضد الإسرائيليين لم تأت من فراغ، ولم تأت بهدف القتل واستباحة الدم الإسرائيلي كما يدّعي الإسرائيليون، وإنما جاءت رداً على ظلم الاحتلال وإمعان الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في إصدار قوانين مذلة ومهينة لكرامة الإنسان الفلسطيني، فعلى الرغم من أن الرأي العام الفلسطيني كان في مراحل نضالية سابقة منقسماً في شأن العمليات الخارجية كاختطاف الطائرات، إلا أنه أظهر إجماعاً واسعاً على تأييد الهجمات ضد المدنيين الإسرائيليين في إسرائيل والأراضي المحتلة، وهذا يعكس وجهة النظر السائدة فيما يتعلق بإسرائيل كدولة استعمارية استيطانية قامت على الطرد المنظم للسكان الأصليين، وعلى تحويل أرض فلسطين إلى ملكية يهودية خالصة.[183]

ولو نظرنا إلى المقاومة في السبعينيات لوجدنا أن ضرب الأهداف المدنية للاحتلال كان ضمن أجندة المقاومة الفلسطينية، فقد أكدت كل من الجبهة الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين آنذاك، على أن العمليات العسكرية ضد المدنيين شكّلت جزءاً من نضال كل الشعوب الطامحة لنيل استقلالها، ومن الناحية الفلسطينية فهي تهدف إلى إرباك الاحتلال ولفت أنظار المجتمع الدولي إلى جرائمه بحق الفلسطينيين، وتمثل صدمة للمجتمع الصهيوني وتعمل على هزّ سكوته على ما يحدث للمدنيين الفلسطينيين.

وقد عبّر القائد العسكري للجبهة الشعبية (أبو همام) عن تأييده لاستهداف المدنيين الإسرائيليين، حيث يرى أن نظام الاحتياط الإسرائيلي يعني أن المدنيين في الواقع هم عسكريون في لباس مدني،[184] في حين عبّر بعض كوادر فتح عن استهداف المدنيين الإسرائيليين بقولهم: "

---

[183] صايغ، يزيد.الكفاح المسلح والبحث عن الدولة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 318.

[184] المصدر السابق، ص 322.

كان علينا ضرب العدو في نقطة ضعفه، أي مستوطنيه وألا يقتصر دور المقاومة على ضرب الأهداف العسكرية، لأن خسائرنا أعلى بكثير مما هو مفترض".[185]

وبرّر الناطقون باسم المقاومة مهاجمة المدنيين، بالرغبة في إقناع الاحتلال بقدرة المقاومة على القيام بأعمال مشابهة لتلك التي تنفذها إسرائيل ضد المدنيين العرب، إضافة إلى أنها تعمل على إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، عبر دفع رأس المال والمستثمرين إلى الخارج وتشجيع الهجرة اليهودية المضادة، للحيلولة دون ارتباط المهاجر اليهودي بالأرض الفلسطينية، عن طريق إشعاره بأن الحياة في إسرائيل مستحيلة.

وقد أعادت حركتا المقاومة الإسلامية ممثلة بحماس والجهاد الإسلامي، مشهد العمليات التفجيرية والعمل المسلح عام 1993 تعبيراً عن رفضها لاتفاقية أوسلو للسلام وتمسكها بخيار المقاومة. وكانت مذبحة الحرم الإبراهيمي عام 1994 بداية لإعلان حركة حماس رسمياً عن استهداف المدنيين الإسرائيليين، رداً على استهداف الاحتلال للمدنيين الفلسطينيين، كان ذلك عبر بيان قالت فيه:"من اليوم فصاعداً سوف يتم استهداف المدنيين الصهاينة، بعد أن كنا نستهدف فيما سبق جنود الاحتلال وقطعان المستوطنين المدجّجين بالسلاح، وليعلم الصهاينة أن العيْن بالعيْن والسن بالسن"،[186] حيث جاء الرّد عبر سلسلة من العمليات التفجيرية استهدفت أماكن التجمع الصهيوني في المناطق المحتلة عام 1948، بعد أن كانت العمليات الفلسطينية مقتصرة على الجنود والمستوطنين في المناطق المحتلة عام 1967.

---

[185] المصدر السابق، ص 319.

[186] عامر،أسامه.(2003)." قضايا مثارة حول العمليات الاستشهادية". صامد الاقتصادي، عدد 132: ص 89.

وقد توالت العمليات التفجيرية بعد اغتيال يحيى عياش في العام 1996، كما وتوالت ردود الأفعال الدولية والإقليمية المندّدة والمستنكرة لاستهداف المدنيين الإسرائيليين، وتوّجت هذه الإدانات بعقد مؤتمر شرم الشيخ في مصر لمحاربة الإرهاب، والذي تم خلاله إدانة تلك العمليات ومطالبة السلطة الفلسطينية بمحاربة واعتقال القائمين عليها.

من ناحيتها دافعت حركة حماس عن عملياتها في مذكرة أرسلتها إلى المؤتمرين في شرم الشيخ جاء فيها: "إن حركة حماس بجناحيها العسكري والسياسي، تعد حركة مقاومة وتحرر وطني ضد المحتلين الذين يعتبرون في وضع المعتدين حسب قواعد القانون الدولي، وبذلك تعتبر الأعمال المسلحة لأفراد كتائب عز الدين القسام أعمالاً دفاعية، باستثناء بعض الإصابات غير المقصودة التي تلحقها بالمدنيين، والتي تتناقض مع سياسة حركة حماس ذاتها".[187]

وبسبب الضغوط الدولية والعربية، حاولت السلطة الوطنية وعبر أجهزتها الأمنية الوقوف في وجه منفذي العمليات التفجيرية، عبر قيامها بحملات اعتقال، وإغلاق لبعض المؤسسات والجمعيات الخيريّة؛ للضغط على حركتي حماس والجهاد الإسلامي لإيقاف استهداف المدنيين، بل وإيقاف المقاومة بشكل كامل لإفساح المجال للعملية التفاوضية السلمية.

وفي الحقيقة، نجحت جهود السلطة الوطنية بفعل التنسيق الأمني بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني في القضاء على العمليات بشكل شبه كامل، فلم يتم تسجيل أي عملية تفجيرية بين عامي 1998 و 1999، لتعود وتظهر من جديد في ظل انتفاضة الأقصى عام 2000 بشكل أقوى مما كانت عليه في السابق، وبتركيز أكبر على استهداف المناطق والتجمعات الأكثر ازدحاماً في

---

[187] أبراش،إبراهيم. "الإرهاب إشكاليته في تعريفه لا في محاربته". مجلة قضايا دولية .عدد 125. مذكرة وجهتها حركة حماس في 12/3/1996 إلى مؤتمر شرم الشيخ.

داخل الأراضي المحتلة عام 1948، سواء الحافلات، أو الملاهي والمقاهي، أو المطاعم أو أماكن التسوق بهدف إحداث أكبر الخسائر المادية والبشرية للتأثير على الروح المعنوية للإسرائيليين.

جاءت تلك العمليات بنتائج عكسية بعد أن انحاز مجمل المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين المتطرف عبر تأييده لسياسة شارون العدوانية، مما أوجد حالة من الجدل والنقاش الداخلي الفلسطيني حول الهدف السياسي من الاستمرار بنهج العمليات، حيث رأى العديد من المسئولين في السلطة الفلسطينية أن استهداف المدنيين الإسرائيليين يشكل خروجاً عن مسار الانتفاضة الافتراضي من الناحيتين الجغرافية والبشرية، فطالبت السلطة أن ينحصر نشاط المقاومة في المناطق المحتلة عام 1967 عبر استهداف الجنود والمستوطنين، ذلك أن اعتراف المجتمع الدولي بالوجود الإسرائيلي في المناطق المحتلة عام 1948، لا يشمل الاعتراف بالوجود الإسرائيلي على الأراضي المحتلة عام 1967.

وفي هذا الصدد يرى السيد صالح رأفت الأمين العام لحزب فدا، أن العمليات ضد المدنيين داخل إسرائيل هي التي أساءت للانتفاضة، وليس العمليات ضد الجنود الإسرائيليين على الحواجز أو الثكنات العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة، لأن هذه العمليات لم تلق لوماً أو استنكاراً من العالم، ودعا رأفت كل الجهات الفلسطينية لوقف العمليات التفجيرية داخل الأراضي الإسرائيلية فوراً، والمساهمة مع كل فئات الشعب لمواصلة الانتفاضة والمقاومة الشعبية ضد الاحتلال.[188]

[188] كشك،تغريد سمير. (2006).إشكالية المقاومة الفلسطينية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، ص 131.

ومن وجهة نظر أخرى اعتبر بعض المحللين السياسيين والمثقفين، أن استهداف المدنيين أثر على أخلاقية المقاومة وأفقدها الدعم والتأييد الدوليين، بعد أن استطاعت إسرائيل عبر وسائلها الإعلامية والسياسية استغلال عمليات التفجير ضد المدنيين لوصْم المقاومة بالإرهاب. فقد اعتبر هاني المصري المحلل السياسي الفلسطيني، أنّ العمليات ضد المدنيين الإسرائيليين أتاحت لشارون وحكومته فرصة المزج بين النِّضال الفلسطيني المشروع وبين الإرهاب الدولي. ومضى يقول: "لا يمكن لأي شعب لديه قضية عادلة أن يستهدف المدنيين بصورة مباشرة، ويخوض سباقاً مع العدو باستخدام نفس الأساليب التي يمارسها، فنحن نتفوق بعدالة قضيتنا وبالتالي علينا أن نتفوق بِنُبْل الأساليب المتبعة في النضال".[189]

أما بسام أبو شريف مستشار الرئيس الرّاحل ياسر عرفات، فقد عبّر عن رفضه لاستهداف المدنيين الإسرائيليين قائلاً: "إن استهداف المدنيين الإسرائيليين كان خطأً كبيراً، فحكومة إسرائيل وجيشها الاحتلالي هما اللذان يستهدفان المدنيين الفلسطينيين، وفي الوقت الذي كنا فيه نعبئ الرأي العام العالمي ضد عدوان الجيش الإسرائيلي واستهدافه المدنيين الفلسطينيين، كنا نحقق انتصارات سياسية، لكن عندما راح البعض من الفلسطينيين إلى استهداف المدنيين الإسرائيليين في الباصات والملاهي والمطاعم، انقلبت الصورة وتحوّل الفلسطيني عبر حملات إعلامية شرسة، إلى إرهابي والإسرائيلي إلى ضحية للإرهاب".[190]

وفي السّياق نفسه يرى الدّكتور فؤاد المغربي أن النقطة الهامة لتحقيق الانقسام في المجتمع الإسرائيلي تكمن في الوقف الفوري لاستهداف المدنيين، فلا يوجد تبرير أخلاقي ولا مبرر للقول

---

[189] المصري،هاني. برنامج الاتجاه المعاكس، قناة الجزيرة الفضائية، www.aljazeera.net.20/8/2001

[190] أبو شريف، بسام. "النقد الذاتي طريق إعادة الزخم للانتفاضة الشعبية". صحيفة القدس، 15/10/2004، ص 17.

أن الإسرائيليين يقومون بالمثل، ويتساءل هل طموح الفلسطينيين الوطني أن يصبحوا كالإسرائيليين؟ وما معنى القضية الفلسطينية إن لم تكن عادلة وأخلاقية؟[191].

السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بالرّئيس الرّاحل ياسر عرفات، عارضت بدورها العمليات التي تستهدف المدنيين الإسرائيليين، خاصة تلك التي تأتي ضد المصالح الوطنية العليا للشعب الفلسطيني، لما تمثله من ذريعة لشارون وحكومته لتمرير مخططاته الهادفة لتقويض السلطة الفلسطينية ومؤسساتها الوطنية، فعلى سبيل المثال علّق الرّئيس الرّاحل ياسر عرفات على عملية (الدولفيناريوم) التي وقعت في الأول من حزيران عام 2001 في تل أبيب واصفاً إيّاها بالعملية المؤسفة، مطالباً باعتقال المسئولين عنها لاستهدافها المدنيين، حيث قال في بيان استنكر خلاله العملية: "إنني متألم جداً لسقوط الضحايا المدنيين من الجانبين، وإنني أدعو إلى وقف كل عمل داخل إسرائيل، نحن لا نخوض حرباً ضد الشعب الإسرائيلي، إن مقاومتنا ضد احتلال أرضنا وهذا حق مشروع، أما العمليات داخل إسرائيل فنحن نستنكرها وندينها، إنها تؤلب الشعب الإسرائيلي ضدنا، وتجعل المجتمع يقف مع شارون في حربه التدميرية ضدنا وتقطع الطريق على قيام سلام عادل ودائم بين دولتين، دولة إسرائيل ودولة فلسطين، شارون يحلم بإسرائيل الكبرى ولهذا يشن حرباً ظالمة ضد شعبنا، ثم يضيف متسائلاً كيف يمكنني أن أوقف العمليات الفدائية والضحايا الفلسطينيون يسقطون بالعشرات والجرحى بالمئات أيضاً؟ ".[192]

بالمقابل، هناك من أيد استهداف المدنيين على أساس أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري محارب، فالجميع فيه يخضع للخدمة العسكرية ولنظام الاحتياط العسكري، ويمثل طرفاً في

---

[191] المغربي، فؤاد.(2002). سياسة الولايات المتحدة الخارجية والقطبية الفلسطينية. ط 1. رام الله: مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان. ص 84.

[192] عبد الرحمن،أحمد.(2006). الرئيس، سنوات مع ياسر عرفات. ط 1. رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص 128–129.

مشروع صهيوني يعمل من أجله، لذا فالتمييز بين المدني والعسكري غير وارد في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، خاصة وأن الشعب الفلسطيني لا يمتلك ما يمتلكه الاحتلال من وسائل القوة العسكرية، هذا ما أشار إليه د.عبد العزيز الرنتيسي القيادي في حماس في مقابلة له مع الواشنطن بوست قائلاً:"ليس لدينا (الإف–16) أو الاباتشي والصواريخ، إنهم يهاجموننا بأسلحة لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا أمامها، والآن أصبح لدينا سلاح لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم أمامه، ونعتقد أن هذا السلاح يخلق نوعا من توازن الرعب فهو مثل طائرات (الإف–16) ،[193]ويرى الرنتيسي أن العديد ممن أيد العمليات التفجيرية يرى أنها سياسة بحكم كونها سلاح الضعفاء الذي لا يمكن التصدي له أو القضاء عليه في مجتمع شيوخه عسكريون سابقون وأطفاله عسكريون قادمون،[194] إضافة إلى أنّ المرأة تخضع كالرجل للخدمة العسكرية الإجبارية وتخدم في الجيش الإسرائيلي. وتساءل الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس في مقابلة مع صحيفة الحياة "هل هناك مدنيّون في إسرائيل؟ كلهم في الجيش رجال ونساء، إنهم يرتدون الملابس المدنية في داخل إسرائيل والملابس العسكرية عندما يكونون معنا، جنود الاحتياط وعددهم من 20 – 30 ألفا من أين أتوا؟ أليسوا جزءاً من الشعب الإسرائيلي؟ ألم يكونوا مدنيين؟ إن نظام الاحتياط العسكري يجعل كل المواطنين اليهود بها تقريبا أهدافا مشروعة للهجمات المسلحة عدا الأطفال وكبار السن.[195] وقد صرّح خالد مشعل عضو المكتب السياسي لحركة حماس في حوار مع صحيفة الحياة، أن هناك أكثر من 350 ألف مستوطن إسرائيلي في الضفة والقطاع كلهم مسلحون، كما أن الاحتلال يعتبر

---

[193] لحظة واحدة تمحو كل شيء، التفجيرات الانتحارية ضد المدنيين الإسرائيليين.
http://www.hrw.org/arabic/reports/2002/isr-pa-sbl.htm

[194] الرنتيسي،عبد العزيز. " العمليات الاستشهادية هي الحل".مقالات مركز الإعلام الفلسطيني، الموقع الالكتروني
http://Palestine-info/Arabic/palstudy/readers/articles/rantese/20-6-02.htm

[195] التفجيرات الانتحارية ضد المدنيين. الموقع الالكتروني:http://www.hrw.org/Arabic/reports/2002/isr-pa-sbl.htm

أي عملية عسكرية فلسطينية سواء ضد المدنيين أو العسكريين إرهابية ويسارع بإدانتها.[196] صلاح شحادة أحد قادة الجناح العسكري لحركة حماس في ردٍ له حول اتهام حركة حماس باستهداف المدنيين قال: "موقفنا هو عدم استهداف الأطفال وكبار السن ودور العبادة، على الرغم من أنها هدف سهل لأننا نعمل وفقا لمبادئ معينة، فنحن لا نحارب اليهود لأنهم يهود ولكن لأنهم يحتلون أرضنا، لذلك إذا قتل أطفال فهذا ليس في أيدينا"[197]. أما إسماعيل أبو شنب القيادي في حماس فيقول:" إن دماء الفلسطينيين في رام الله وجباليا وجنين وبلاطة وخان يونس، ليست أرخص من دماء الاسرائيلين".[198] فيما صرح عبد الله الشامي القيادي في حركة الجهاد الإسلامي قائلا:" إن ما يقوم به المناضلون من عمليات يأتي في سياق الرد الطبيعي على الهجمات الاسرائيلية على المدنيين الفلسطينيين، فهي المعتدية ونحن الضحايا".[199]

وفي هذا الصدد، أشار الكاتب إبراهيم أبراش إلى أن الأمم المتحدة أعطت الشعوب بما فيها الشعب الفلسطيني، الحق في اللجوء إلى الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي، ولم تتطرق إلى مجال محدد يمارس فيه هذا الكفاح، لذا يرى أن حق الشعب الفلسطيني في الكفاح المسلح ضد إسرائيل يعني أن يمارس الكفاح أينما امتدت السيادة الإسرائيلية، فالسفارات الإسرائيلية في الخارج والسفن والطائرات وكل العاملين في هذه الأماكن، بما أنهم يخضعون للسيادة الإسرائيلية، وينفذون السياسة الصهيونية، ويخدمون أهدافها التوسعية العدوانية، هم هدف مشروع أمام المقاومة.[200]

---

[196] مشعل،خالد. "العمليات الاستشهادية فرضها تصاعد العدوان الإسرائيلي ضد المدنيين واختلال ميزان القوى"، دار الحياة، 7/12/2003، http://www.daralhayat.com/special/features/12-2003/206-07pl5-01.txt/story.htm

[197] كشك، تغريد. مصدر سبق ذكره، ص 124.

[198] جريدة الايام، 23\2\2002

[199] المصدر السابق.

[200] أبراش، ابراهيم. www.sis.gov.ps/arabic/royal/17/page2.html.

وفي نفس السياق يشير الدكتور (صدقي الدجاني) في دراسة بعنوان "الاستشهاد في الواقع الفلسطيني المعاصر"، إلى أن العمليات الاستشهادية الفلسطينية هي الوسيلة الوحيدة لإيصال رسالة إلى المهاجرين والمستوطنين اليهود فحواها ، "عودوا إلى موطنكم الأصلي فلا أمان لكم في أراضينا أو على حسابنا".[201]

ترى الباحثة أنّ إصْرار حركات المقاومه الإسلامية على الاستمرار في نهج العمليات التفجيرية ضد الاحتلال عموماً سواء المدنيون أوالعسكريون أوالمستوطنون، يأتي على اعتبار أنهم يمثلون رموز الاحتلال الذي لا يقوم ولا يقوى إلا بهم، وعلى اعتبار أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري لا يوجد فيه مدنيون، فالجميع يخضع للتجنيد الإجباري رجالا ونساءً، الأمر الذي جعلهم أهدافاً مشروعة أمام المقاومة، هذا بالإضافة إلى أن استهداف الاحتلال للمدنيين الفلسطينيين عبر استخدامه للآلة العسكرية الثقيلة من طائرات وصواريخ ودبابات، لم يترك للمقاومة خياراً للدفاع عن نفسها وعن شعبها إلاّ عبر هذه العمليات، لما تمثله من وسيلة ردع توازي ما تحدثه الطائرات والصواريخ من خسائر بشرية.

كذلك هناك قناعة لدى مسئولي وقادة الحركات الإسلامية، بأن هذه العمليات لا تندرج ضمن إطار جرائم الحرب أو الجرائم ضد الإنسانية، نظرا لكونها حركات تحرر تناضل لدحر الاحتلال والحصول على حق تقرير المصير، فنضالهم المشروع وعملياتهم التفجيرية لا تهدف إلى القتل لمجرد القتل، والا لكان استهداف الجامعات والمدارس والمستشفيات أسهل الأهداف، هذا ما عبّر عنه حسن سلامة احد أعضاء حركة حماس قائلا:" إنني لست قاتلا... وحتى لو قُتِل المدنيون

---

[201] الشربيني، هادية ووفاء الشيشيني. "العمليات الاستشهادية والدولة الفلسطينية، جرائم شارون وراء كل الأعمال الفدائية". 26/7/2002
www.akhbarelyom.org.eg/akhersaa/issue/3531/0101.html

فليس ذلك لأننا نريد قتلهم، أو لأننا متعطشون للدماء، إنها حقيقة واقعة في كفاح أي شعب ضد المحتل الأجنبي، العمليات الاستشهادية هي أعلى مستويات الجهاد وتعبّر عن عمق إيماننا".[202]

ومن الضرورة الإشارة إلى أن هذه العمليات أيضاً وجدت في بدايتها تأييداً واسعاً من قبل الشعب الفلسطيني، الذي بدا وكأنه وجد ضالّته في العمليات التفجيرية بعد أن عجزت وسائله السلمية عن إيقاف مسلسل العنف والعدوان والقتل والمجازر، الذي بلغ ذروته في الشهور الأولى لانتفاضة الأقصى، فكانت العمليات التفجيرية بمثابة البلسم الشافي لمن فقد عزيزاً أو قريباً أو صديقاً، وانتقاماً من الشارع الإسرائيلي الذي أثبت عدم جديته واستعداده للسلام مع الفلسطينيين، وانحيازه إلى سياسة شارون العدوانية، يتضح ذلك من خلال انتخابه لقيادة مجرمة تجيد فن القتل، فمن نتنياهو إلى باراك مبتدع سياسة الاغتيالات، إلى شارون المعروف تاريخياً بدمويته وعدائيته ومواقفه العنصرية وبمسؤوليته عن العديد من المجازر ضد الفلسطينيين، كان أبرزها مذبحة صبرا وشاتيلا في عام 1982 ومذبحة جنين وحي الدرج في غزه في ظل انتفاضة الأقصى، وقد أدى إعادة انتخاب شارون مجدداً عام 2003 إلى انكشاف الشارع الإسرائيلي من خلال سكوته بل وتأييده للجرائم المرتكبة ضد المدنيين الفلسطينيين.

من هنا فقد رأى البعض أن المدنيين الذين يصوتون لصالح حزب سياسي يرتكب الظلم ليسوا أبرياء، إنهم يستمتعون بالظلم ويستفيدون من السياسات المستبدة لحكوماتهم المختارة، فالمدنيون الذين يدعمون الأعمال الأثيمة ليسوا أبرياء، وبالنسبة لأولئك الذين هم في الحقيقة أبرياء فإن

---

[202] Post, Jerrold M. and Ehud Sprinzak. 2002."Terror's aftermath: convicted Hamas terrorist talks about his mission to destroy Israel".Los Angeles Times.07 July 2002.

دماءهم تقع على عاتق زعمائهم، إنه الثمن الذي يجب على زعمائهم أن يدفعوه جراء رغبتهم وسعيهم للسلطة والقوة الاقتصادية والإقليمية معززين بآلاتهم الحربية وحلفائهم في الظلم.[203]

ولا يمكن تجاهل حقيقة أن هناك شريحة واسعة من الشعب الفلسطيني سواء في الداخل أو الخارج، أيدت العمليات التفجيرية معتبرة أنها عمليات شرعية كونها تندرج ضمن إطار مقاومة الاحتلال والدفاع عن النفس، ومن خلال العديد من استطلاعات الرأي العام الفلسطيني، وتحديداً في البدايات الأولى للانتفاضة وجد أن هناك نسبة تأييد عالية للاستمرار في نهج العمليات التفجيرية، ففي استطلاع نُشر على الجزيرة نت في السنة الأولى للانتفاضة، أشار إلى أن أكثر من 90% كحد أعلى يؤيد العمليات، وفي استطلاع آخر قامت بنشره الصحيفة الإسرائيلية (يدعوت أحرنوت) أشار إلى أن 78% من الفلسطينيين يدعمون العمليات التفجيرية،[204] كذلك قام برنامج دراسات التنمية في جامعة بيرزيت، باستطلاع للرأي العام الفلسطيني حول مدى تأييده ومعارضته للعمليات العسكرية، أُعلنت نتائجه في 14/11/2000 اشتمل على مقابلة 1234 شخصاً في كافة الأراضي الفلسطينية، بالإضافة إلى بحث ميداني وتعبئة استمارات، أظهر الاستطلاع أن 80% من الفلسطينيين يؤيدون العمليات العسكرية، وأن أكثر من 70% مع مواصلة الانتفاضة، بينما عارض 15% العمليات العسكرية، وأيد 24% الطرق السلمية القائمة على المظاهرات ومقاطعة المنتوجات الإسرائيلية، في حين أيد 33% الوسائل العسكرية، ويرى 39% ضرورة المزج بين الطرق السلمية والعسكرية.[205]

---

[203] أوغستاين،آرشي.(2008). وجهة نظر مسيحية، تفجيرات انتحارية أم استشهاد. ترجمة محمد الواكد. صفحات للدراسات والنشر، ص 75.

[204] علّوش، ابراهيم. "حول الحكمة السياسية للقنابل البشرية". الصوت الحر.
http://www.freearabvoice.org/arabi/maqalat/alhikmatulsiyasiya.htm

[205] استطلاع: 80% من الفلسطينيين يؤيدون العمليات العسكرية.
http://www.islamonline.net/arabic/news/2000-11/15/article9.shtml

وفي نفس السياق قام الدكتور أحمد فارس بإجراء استفتاء في تشرين الأول من عام 2003، شمل معظم فئات الشعب الفلسطيني من كلا الجنسين في المدن الرئيسة التابعة للمحافظات الشمالية، تمحور الاستفتاء حول سؤالين الأول: هل تعتقد أن العمليات الاستشهادية داخل الخط الأخضر تضر بالمصالح الوطنية العليا للشعب الفلسطيني؟ والثاني: هل تعتقد أن العمليات الاستشهادية في المناطق المحتلة عام 1967 تضر بالمصالح الوطنية العليا للشعب الفلسطيني؟ وكانت النتيجة حول السؤال الأول أن 63.5% أجابوا بأنها لا تضر، بينما 36.5% أجابوا بأنها تضر. أما السؤال الثاني فقد أجاب 72% بأنها لا تضر في حين رأى 28% بأنها تضر.[206]

وفي برنامج حوار مفتوح قام غسان بن جدو بعرض بعض الإحصائيات والأرقام عبر قناة الجزيرة الفضائية، كانت قد نشرتها الهيئة العامة للاستعلامات الفلسطينية في استطلاع للرأي العام حول العمليات التفجيرية بين 11 و 13 يونيو 2002 جاء فيها:

أولاً: حول العمليات الفدائية التي تستهدف مدنيين إسرائيليين داخل المدن الإسرائيلية (60.2%) مؤيد، (29.4%) معارض، (10.4%) لا تعليق.

ثانياً: حول العمليات الفدائية ضد قوات الاحتلال والمستوطنين في الأراضي الفلسطينية الخاضعة للسلطة (86%) مؤيد، (8.8%) معارض، (5.2%) لا رأي.

ثالثاً: حول الهدف من العمليات الفدائية داخل المدن الإسرائيلية (69.9%) يرون أن الهدف منها متابعة ضرب الاحتلال، و(13.4%) يعتقدون بأنها تهدف إلى إحباط عملية السلام، في حين وجد (11.3%) أنها من أجل إضعاف السلطة الوطنية الفلسطينية.

---

[206] عبد الله، أحمد فارس. مصدر سبق ذكره، ص 136.

رابعاً: حول أثر العمليات التفجيرية على الشعب الفلسطيني (61.3%) يعتقدون بأنها لا تلحق ضرراً بالفلسطينيين، (30%) يعتقدون بأنها تلحق ضرراً، و(8.7%) لا رأي لهم.[207]

تؤكد الإحصائيات التي تمت الإشارة إليها مدى التأييد والانحياز الفلسطيني منذ العام 2000-2003 للعمليات التفجيرية، مما يشير إلى أن تلك العمليات تحولت في السنوات الأولى للانتفاضة إلى مطلب اجتماعي؛ لحماية وجود الشعب الفلسطيني الذي وجد نفسه عاجزاً عن التصدي للاحتلال وممارساته القمعية وآلته العسكرية الضخمة، فكانت العمليات التفجيرية نداً للطائرات والصواريخ الإسرائيلية، حيث أوجدت نوعاً من توازن الرّدع والرّعب لما أحدثته من خسائر بشرية ومادية في صفوف الاحتلال.

إلا أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الأرقام والنسب سواء المؤيدة أو المعارضة للعمليات ليست ثابتة، فهي تتغير تبعاً لتغير الظروف السياسية الداخلية والخارجية، فكثير ممن كانوا يؤيدون هذه العمليات تراجعوا عن تأييدها بعد قراءتهم للظروف والمتغيرات الدولية والإقليمية، ولما أحدثته تلك العمليات من تداعيات سواء كانت سلبية أو ايجابية، حيث أشار استطلاع للرأي العام الفلسطيني نشرته صحيفة الحياة في تشرين الأول من العام 2004، أن الغالبية العظمى أصبحت تعارض العمليات التفجيرية داخل المدن الإسرائيلية، وذلك للمرة الأولى منذ بداية الانتفاضة، وتعد هذه النتيجة انعطافاً في توجهات الرأي العام الفلسطيني تجاه تلك العمليات، التي ظلت تحقق نسب تأييد عالية في استطلاعات الرأي منذ ما يزيد عن أربعة أعوام.

---

[207] بن جدو، غسان. "الظاهرة الاستشهادية". برنامج حوار مفتوح، 29/6/2002 www.aljazeera.net/channel/archive?archiveid-90809#li

الفصل الثالث

تداعيات العمليات التفجيرية الفلسطينية.

- تمهيد
- تداعيات العمليات على المستوى المحلي:

-الجانب الإسرائيلي.

-الجانب الفلسطيني.

- تداعيات العمليات على المستوى الإقليمي.
- تداعيات العمليات على المستوى الدولي.
- آراء النخب السياسية الفلسطينية حول تداعيات العمليات التفجيرية.

تمهيد:

ساد المجتمع الإسرائيلي حالة من الهدوء والاستقرار الأمني في أعقاب اتفاقية أوسلو كنتيجة لالتزام السلطة الوطنية بالمفاوضات، التي كان أحد جوانبها التعاون والتنسيق الأمني بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، إذْ تمكنت إسرائيل من استثمار العملية السياسية واستقرار الأوضاع الأمنية والاقتصادية في كسر العزلة التي كانت تحيط بها، فبلغ عدد الدول التي أقامت علاقات دبلوماسية وتجارية مع إسرائيل حتى العام 2004 (153) دولة، منها 62 علاقة أقيمت بعد مؤتمر مدريد عام 1991، الأمر الذي انعكس على ارتفاع حجم الاستثمارات الأجنبية في داخل إسرائيل من 400 مليون دولار عام 1991 إلى حوالي 3.6 مليار دولار عام 1996، 70% منها في الصناعات الإلكترونية[208]، ويعود ذلك إلى قيام العديد من الدول العربية والأجنبية بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل وإلغاء المقاطعة الاقتصادية المفروضة عليها.

شهدت تلك الفترة ازدهاراً في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والسياحية واستقطاباً لرؤوس الأموال، الأمر الذي انعكس على ازْدياد معدلات الهجرة إلى داخل إسرائيل، إلا أن حالة الهدوء والاستقرار والازدهار التي عاشها المجتمع الإسرائيلي في ظل عملية السلام، نتيجة الالتزام الفلسطيني بالمفاوضات لم يقابله التزام إسرائيلي بالمثل، فلم تتوقف حكومة الاحتلال عن سياستها العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني الذي ازدادت أوضاعه سوءاً، حيث استمرت سياسة الاعتقالات والاغتيالات، ومصادرة الأراضي لبناء و توسيع المستعمرات، والعمل على شق طرق التفافية لوصْل المستعمرات ببعضها، ومحاصرة وعزل وتقطيع أوصال المدن الفلسطينية، فبلغ

[208] قاروط، عمر وآخرون.(2004). أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني. بيروت: باحث للدراسات. ص 189 –199.

مجموع الأراضي المصادرة خلال الفترة ما بين 1990 و 1997 حوالي 433 ألف دونم، وفي الوقت ذاته ازدادت الحكومة الإسرائيلية تشدداً تجاه بعض القضايا الجوهرية والمصيرية بالنسبة للفلسطينيين، من خلال إصرارها على رفض السماح بعودة اللاجئين، وتفكيك المستوطنات، والتنازل عن سيطرتها على مصادر المياه في الضفة الغربية، وإصرارها للإبقاء على مدينة القدس موحدة عاصمة لدولة إسرائيل، واستخدام الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة سياسة المراوغة للتهرب من الاستحقاقات المترتبة عن اتفاقية أُوسلو.

وباندلاع انتفاضة الأقصى تعطلت حالة النمو والازدهار في كافة القطاعات فتدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي نتيجة لتدهور الوضع الأمني بسبب عمليات المقاومة، وتحديداً العمليات التفجيرية، حيث أدى استخدام إسرائيل للعنف في قمع الانتفاضة إلى فك الارتباط وغياب التنسيق الأمني بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، الأمر الذي ترك تداعيات سلبية على الجانبين. حاولت الباحثة تسليط الضوء على هذه التداعيات، من خلال مراجعة لبعض الأدبيات واستطلاع آراء بعض الكّتاب والمحللين السياسيين والعسكريين من ذوي الاتجاهات السياسية المختلفة.

تداعيات العمليات التفجيرية على المستوى المحلي

التداعيات على الجانب الإسرائيلي:

أحدثت العمليات التفجيرية تداعيات على المجتمع الإسرائيلي منذ البدايات الأولى للانتفاضة، حيث شكلت رعباً نفسياً للإسرائيليين استطاعت خلاله فرض حصار عليهم شبيه بالحصار الذي فُرض قهراً على الفلسطينيين، وتحوّلت حياة الإسرائيليين إلى ثقافة التّحصن في المنازل بعد تجنّبهم ارتياد المطاعم والفنادق والملاهي ووسائل النقل وكافة الأماكن المزدحمة، التي كانت

عرضة لعمليات تفجيرية. وقد وصفت صحيفة معاريف الإسرائيلية مدن القدس ونتانيا وتل أبيب، بأنها مدن أشباح تخلو شوارعها من المارة ومطاعمها من الرّواد وفنادقها من النزلاء، فزحمة السير التي كانت تشهدها يومياً مدينة تل أبيب اختفت فجأة، فلا سيارات ولا صافرات سائقين والأرصفة خالية من المارة ونظيفة على نحو غير مسبوق".[209]

رسم الكاتبان والمحللان السياسيان سيخاروف وهارئيل صورة قاتمة للأوضاع الاجتماعية في إسرائيل في ذروة تنفيذ العمليات التفجيرية في الأعوام (2001، 2002، 2003) معبرين عن ذلك بقولهم: "لقد تحوَّلت الدولة إلى دولة جنازات"، وأضافا أن العمليات التفجيرية نجحت في بث الرّعب داخل أوساط المجتمع الإسرائيلي بكافة فئاته، بعد أن أصبح الإسرائيليون يشعرون بأنهم أهداف متحركة، فأصبح الطلب هائلاً على شركات الحراسة الخاصة وقفزَ عددُ العاملين في تلك الشركات ليصل إلى 46500 حارس.[210]

كما استطاعت هذه العمليات هزّ الكيان الصهيوني، وضرب نظرية الأمن الداخلي الإسرائيلي ونظرية الجيش الذي لا يقهر، بعد أن وقفت القيادة والآلة العسكرية الإسرائيلية والتكنولوجيا المتطورة لأول مرة في تاريخ حروبها عاجزةً عن التصدي لمنفذي العمليات، الذين حوّلوا عناصر التّفوق الإسرائيلي إلى نقاط ضعف انعكست على معنويات الجيش وحولته كأكبر قوة عسكرية وأكثرها تسلحاً وتقنية، إلى جيش دائم الاستنفار مُشَتّت الجهود غير قادر على الاستفادة من تفوقه العسكري، مما أوجد حالة من الاستياء أدت إلى نمو ظاهرة رافضي الخدمة العسكرية في أوساط الجيش الإسرائيلي، خاصة بعد فشل كافة المحللين العسكريين والسياسيين ومسؤولي الأجهزة

---

[209] العبد الله، حميدي وميخائيل معوض.(2003). الانتفاضة تحرير فلسطين أمر راهن. ط 1. بيروت: بدون دار نشر، ص 270.

[210] النعامي، صالح." انتفاضة الأقصى رواية إسرائيلية أخرى". http://www.weghatnazar.com/article/article_details.asp

الأمنية، في تحديد شخصية وسمات منفذي العمليات على الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

وفي تصريح لأحد قادة الشاباك حول تحديد ما أسماه (بروفايل الانتحاري) قال :" في كل مرة حاولنا فيها تحديد البروفايل تلقينا لطمة جديدة على وجوهنا، فعندما حددنا عمر الانتحاري بثلاثين عاماً كحدٍ أقصى، وجدنا أن هناك من الانتحاريين من يتجاوز عمره الثلاثين، وعندما أدخلنا المتزوجين بدون أولاد أيضاً إلى البروفايل، تم تنفيذ عمليات تفجيرية من قبل آباء لأولاد حيث كانت إحدى العمليات لشخص عمره ثمانيةٌ وأربعون عاماً وله سبعة أولاد، لكن الذي شكّل لطمة كبيرة للأمن الإسرائيلي كان انضمام المرأة الفلسطينية لمنفذي العمليات".[211] وقد استطاعت العمليات التفجيرية تحقيق نوع من توازن الرعب والردع في ظل غياب التوازن العسكري مع جيش الاحتلال، حيث اعترف شاؤول موفاز بعجز الأجهزة الأمنية الإسرائيلية عن إحباط العمليات التفجيرية داخل إسرائيل، معتبراً أن هذه الفترة من أخطر الفترات التي تمر بها إسرائيل منذ قيامها.[212]

ومما لا شك فيه، فإن خسائر الاحتلال لم تقتصر على هزّ ثقته بأمنه وقدرته على التصدي لتلك العمليات رغم تفوقه العسكري، بلْ تعدت ذلك لترفع من كلفته البشرية والاقتصادية والاجتماعية، إذ أدت هذه العمليات إلى تدهور مستوى الشعور بالأمن الشخصي بسبب ما أحدثته من خسائر بشرية فادحة في صفوف الاحتلال، بلغت حتى نهاية عام 2003 حوالي 932 قتيلاً وما يزيد عن 5156 جريحاً[213].

---

[211] النعامي، صالح. "انتفاضة الأقصى، رواية اسرائيلية أُخرى". www.naamy/view.php?id=2003-74k.

[212] عبد الله، أحمد فارس. مصدر سبق ذكره، ص 138.

[213] قاروط، مصدر سبق ذكره، ص 304.

في دراسة إحصائية صادرة عن المركز العربي للبحوث والدراسات أعدها إسماعيل الأشقر ومؤمن بسيسو، أشارت إلى أن عدد القتلى في صفوف الاحتلال خلال السنوات الثلاث الأولى للانتفاضة بلغ 866 قتيلاً وعدد الإصابات 5356 جريحاً، وأظهرت الدراسة نفسها أن كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس، تبوّأت مركز الصدارة بعمليات قتل وجرح في صفوف الاحتلال بواقع 407 قتيلاً، أي ما نسبته 47% من إجمالي عدد القتلى الإسرائيليين و 2389 جريحاً بنسبة 44,6% من إجمالي عدد الجرحى، في حين احتلّت كتائب الأقصى الجناح العسكري لحركة فتح، المركز الثاني بواقع 174 قتيلاً وهو ما نسبته 20,1% من إجمالي عدد القتلى و 1166 جريحاً بنسبة 21,8% من إجمالي عدد الجرحى، تليها سرايا القدس بواقع 91 قتيلاً وهو ما نسبته 10،5% من إجمالي عدد القتلى و 667 جريحاً بنسبة 12،5% من إجمالي عدد الجرحى، ونُسِبَ عدد القتلى المتبقي من الإسرائيليين إلى باقي الفصائل الفلسطينية.[214]

انعكس الشعور بعدم الأمن والاستقرار في المجتمع الإسرائيلي على واقع الهجرة إلى إسرائيل، حيث أوجدت حالة التدهور الأمني والاقتصادي ومشاهد الدمار الناتجة عن العمليات واقعاً منفراً، ليس فقط للمهاجرين الجدد بل للمستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال الذين لم يعودوا يتقبلون فكرة الهجرة إلى داخل إسرائيل. في تقرير لصحيفة معاريف الإسرائيلية، أفاد بأن معدلات الهجرة الروسية إلى إسرائيل تقلصت في الأعوام الأولى لانتفاضة الأقصى بنسبة 75%، ففي الوقت الذي كان فيه عدد المهاجرين إلى داخل إسرائيل حوالي 67 ألفاً في العام 1999، انخفض

[214] حصاد الانتفاضة الفلسطينية بلغة الأرقام، http://www.alhesbah.bz/v/show3.php?t=20

العدد إلى 52 ألفاً في العام 2000، وفي العام 2001 انخفض العدد إلى 35.5 ألف مهاجر، وإلى 18.5 ألفاً في العام 2002، حتى وصل إلى 12.5 ألف مهاجر في العام 2003.[215]

هذا وقد أكد سالي مريدور رئيس الوكالة اليهودية التي تعنى بتهجير اليهود إلى فلسطين " أنه لولا حدوث بعض الاضطرابات في بعض الدول التي يعيش بها اليهود كما حدث في الأرجنتين لكانت نسبة انخفاض الهجرة اليهودية إلى إسرائيل أكبر بكثير مما هي عليه الآن".[216]

وفي المقابل ارتفعت نسبة الهجرة المعاكسة من إسرائيل إلى الخارج، فقد أظهرت الإحصائيات أنه ومنذ العام 1948 وحتى العام 2000 غادر إسرائيل 527 ألف مهاجر، بالمقابل فإنه ومنذ العام 2000 وحتى نهاية العام 2003 هناك 123 ألف مهاجر غادروا إسرائيل. ولم يقتصر الأمر على هجرة اليهود بل تبعها هجرة قطاع المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال، حيث أنه ما بين العامين 2001- 2002 غادر أكثر من 850 مستثمراً إسرائيلياً يملكون من رؤوس الأموال ما يفوق مجموعها العشرين مليار دولار.[217] وقد أفادت تقارير إسرائيلية رسمية أنّ ما بين 700 ألف إلى مليون يهودي غادروا إسرائيل نهائياً؛ بسبب عدم إحساسهم بالأمن جراء الانتفاضة والعمليات الاستشهادية التي تقوم بها كلٌّ من حماس والجهاد الإسلامي وكتائب الأقصى.[218]

ذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية في تقريرٍ لها، أن العام 2006 شهد انخفاضاً نسبياً في عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل، وأن نحو 50000 من المهاجرين الروس ممن قدموا

---

[215] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات. (2004). انتفاضة الاستقلال، العام الثالث. ط 1. بيروت:شركة التقدم العربي، ص 212.

[216] مريدور، سالي. القناة الأولى في التلفزيون الإسرائيلي، 13/1/2003.

[217] قاروط، مصدر سبق ذكره، ص 386.

[218] انتفاضة الأقصى في عامها الرابع.
www.vahdet.com.tr/filistin/dokuman/kitap/kitap11/01.html

للاستيطان بإسرائيل غادروا عائدين إلى بلادهم الأصلية روسيا، على خلفية تدهور الأوضاع الامنية والاقتصادية في الأراضي الفلسطينية، وأفاد التقرير بأن معدلات الهجرة الروسية تقلصت إلى الكيان الصهيوني في الأعوام الخمسة الأخيرة بمقدار (75%).[219]

هذا وقد أدى تزايد عدد العمليات في ظل الانتفاضة إلى تقلّص الاستثمارات الأجنبية والمشاريع والعوائد المالية من المرافق السياحية والتصدير إلى 25% بحسب بيانات نشرها بنك إسرائيل المركزي،[220] إضافة إلى إغلاق العديد من المصانع والفنادق لا صيما تلك التي تقع في أماكن تعتبر مقصداً للسياح مثل بيت لحم والقدس وإلى تسريح الآلاف ممن يعملون في تلك القطاعات، مما أدى إلى ارتفاع دراماتيكي في معدل البطالة بحسب مكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي، حيث بلغت نسبة البطالة عام 2000 حوالي 8.8%، وارتفعت في العام 2001 إلى 9.9%، وفي العام 2002 إلى 10.5%[221]وبلغت في العام 2003 حوالي 10.9%[222]، وقد انعكست نسبة البطالة العالية على مستوى المعيشة للفرد الإسرائيلي التي تراجعت بتراجع المداخيل وسوق العمل وباتساع دائرة الفقر، فأصبح الشعور باليأس والإحباط والقلق الوجودي سمة توحد الإسرائيليين وتدفع باتجاه الهجرة العكسية.

---

[219] المنتدى، الحوار السياسي انخفاض في أعداد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل في 2006. http://www.paldf.net/fourm/shoethread.php?t=102009.

[220] مقداد، سامي محمد.(2002). "الاقتصاد الإسرائيلي أضواء على مشروع موازنة". رؤية. عدد 18: ص 135.

[221] قاروط، مصدر سبق ذكره، ص 257.

[222] صحيفة هآرتس الإسرائيلية، 4/8/2003.

كتب ميشيل فروند تحت عنوان ماذا يعني العيش في إسرائيل؟ قائلاً: "إن الحياة داخل إسرائيل أصبحت لا معقولة، كلُّ عمل بسيط لا بد أن تفكر فيه أكثر من مرة حتى تفعله، كلُّ مشوار إلى السوبرماركت أو المراكز التجارية فيه مجازفة".[223]

وهنا لا يمكن تجاهل ما عكسته الانتفاضة والعمليات التفجيرية على وضع المستوطنين في الضفة وقطاع غزة والبالغ عددهم حوالي 200 ألف مستوطن، فقد هجر العديد منهم مستوطناته وفضّل الإقامة داخل إسرائيل، مما شكل عبئاً اقتصادياً وأمنياً إضافياً على الحكومة الإسرائيلية التي كانت ملزمة بتوفير إقامة للذين هجروا مستوطناتهم، وبتوفير حراسة وأمن لمن آثر البقاء فيها، فقامت بتوفير حماية عسكرية لهم ولأبنائهم الذين أصبحوا غير قادرين على التحرك والتنقل إلاّ عبر باصات مصفّحة وحماية عسكرية، مما حذا بالعديد من السياسيين الإسرائيليين أمثال يوسي سريد، زعيم المعارضة الإسرائيلية، وأوري أفنيري بالإضافة إلى أنصار السلام مطالبة الحكومة بضرورة حل مشكلة المستوطنات، التي من وجهة نظرهم تشكّل عقبة ومشكلة سياسية في طريق إحلال السلام وإقامة دولة مستقلة في الضفة وغزة، وقد صرّح وزير الخارجية الأسبق (شلومو بن عامي) بمحاضرة ألقاها في بروكسل أمام المركز اليهودي العلماني قائلاً: "إن المشكلة الأساسية تكمن في وجود المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية والقطاع، ولا يمكن التوصل إلى سلام إذا ظلّت، وعلينا أن نُخْلِيَ الأراضي الفلسطينية التي احتُلّت عام 1967".[224]

تداعيات العمليات على الجانب الفلسطيني:

---

[223] http://www.islamonline.net.7/7/2002

[224] عبد الله، أحمد فارس محمد، مصدر سبق ذكره، ص 139.

لم يكن الوضع الفلسطيني أفضل حالاً من الوضع الإسرائيلي، فكانت تداعيات العمليات في حساب الربح والخسارة أكثر قساوةً وأشدُ تأثيراً على الشعب الفلسطيني من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبشرية. فقد بدا الموقف السياسي الفلسطيني متخبطاً منذ البدايات الأولى لانتفاضة الأقصى، لعدم امتلاك القيادة الفلسطينية برنامجاً سياسياً ونضالياً واضحاً تتسلح به، لمواجهة المخططات والمشاريع الإسرائيلية الرامية إلى تركيع الشعب الفلسطيني وقيادته، وتمّ فرض تسويات تنازلية عليه والإبقاء على حالة التبعية الفلسطينية للجانب الإسرائيلي اقتصادياً وسياسياً، يتضّح ذلك من خلال:

أولاً– الناحية الاقتصادية: اتجهت الآلة العسكرية الإسرائيلية منذ بداية الانتفاضة إلى تدمير البنية التحتية للمجتمع الفلسطيني، وضرب أية محاولة فلسطينية من شأنها تشكيل مقومات شخصية فلسطينية مستقلة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، في الوقت الذي عجز فيه الجانب الفلسطيني ممثلاً بالسلطة الوطنية الفلسطينية عن التصدي لممارسات الاحتلال، لعدم وجود برامج وخطط اقتصادية تنموية من شأنها تعزيز صمود الشارع الفلسطيني أمام الهجمة الإسرائيلية، حيث بدت السلطة الوطنية عاجزة إلا عن الاستنجاد والاستغاثة بالمجتمع الدولي، لإنقاذ عملية السلام والضغط على إسرائيل لوقف مسلسل العنف المتصاعد ضد الشعب الفلسطيني، فاقتصر دورها على إحصاء وتسجيل الخسائر الفلسطينية بشرياً واقتصادياً جراء الاجتياحات الإسرائيلية لمناطق السلطة وعمليات القصف والاغتيال والحصار ومصادرة الأراضي، دون أن يكون لها دورٌ فاعلٌ في إيجاد بدائل أو حلول لتخفيف العبء عن المواطن الفلسطيني، الذي تقطّعت سُبُل العيش أمامه إمّا

بهدم بيته، أو مصادرة أرضه، أو اقتلاع أشجاره وإغلاق الطرق المؤدية إلى عمله بالحواجز العسكرية والسواتر الترابية، أو بسبب إقامة جدار الفصل العنصري.

انعكس ذلك على تردّي أوضاعه الاقتصادية والمعيشية، كيف لا والاحتلال يهيمن على مجمل الثروات الوطنية للشعب الفلسطيني ويتحكم بكافة نواحي الحياة، من خلال سيطرته على المياه والكهرباء والوقود والتجارة الداخلية بين المدن الفلسطينية والخارجية عبر الحدود والمعابر.

وقد تبين خلال انتفاضة الأقصى مدى تبعية وهشاشة الاقتصاد الفلسطيني المرتبط بالكامل بالاقتصاد الإسرائيلي وسياساته وإجراءاته، يتضح ذلك من خلال العلاقات التجارية الفلسطينية–الإسرائيلية، حيث بلغ حجم التبادل التجاري مع إسرائيل 77% من حجم التجارة الخارجية الفلسطينية، كذلك من خلال استيعاب سوق العمل الإسرائيلي لفائض العمالة الفلسطينية، حيث بلغت النسبة الإجمالية لمجموع القوى العاملة من أبناء الضفة والقطاع في خدمة الاقتصاد الإسرائيلي حوالي 61%[225] من الأيدي العاملة الفلسطينية، وكذلك من خلال اعتماد السلطة الوطنية الفلسطينية على الإيرادات الجمركية، وتلك الناتجة عن المعاملات التجارية مع إسرائيل والتي تشكل 60% من إجمالي الإيرادات العامة في الموازنة الفلسطينية.[226]

ويتحكم الجانب الإسرائيلي بهذه الإيرادات كيفما يريد ويتخذ منها في أحيان كثيرة ورقة ضغط على الجانب الفلسطيني لتقديم تنازلات، فكثيراً ما يتم تجميدها أو مصادرتها أو تأخيرها تبعاً للمزاجية الإسرائيلية، فعلى سبيل المثال، قامت المحكمة الإسرائيلية بإصدار قرار يتم بموجبه حجز 250 مليون شيكل من أموال السلطة الفلسطينية لصالح شركة (إيغد) للمواصلات، التي

---

[225] قاروط، مصدر سبق ذكره، ص 194.

[226] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات.(2005). انتفاضة الاستقلال العام الرابع. ط 1. شركة التقدم العربي، ص 205– 206.

رفعت دعوى في 20 تشرين الثاني عام 2002 حمَّلت فيها السلطة الوطنية الفلسطينية مسؤولية الوقوف وراء تنفيذ خمسين عملية تفجيرية في باصات (إيغد)، قُتل خلالها 113 إسرائيلياً وجُرح 594 آخرون.[227]

ومن الجدير بالذكر أن سياسة تجميد وحجز الأموال المستحقة للسلطة الفلسطينية، هي من ضمن العقوبات المتبعة إسرائيلياً تجاه الفلسطينيين منذ البدايات الأولى للانتفاضة، فخلال الأسابيع السبعة الأولى للانتفاضة قامت إسرائيل بتحويل 30 مليون شيكلاً للسلطة من أصل 400 مليون شيكلاً من عائدات الضرائب، مما أدى إلى تأخير دفع رواتب موظفيها البالغ عددهم 110 آلاف موظف إلى حين حصولها على تبرعات من الاتحاد الأوروبي بقيمة 53 مليون دولار.[228]

ونظراً لسيطرة الجانب الإسرائيلي على الحدود والمعابر والحواجز التي تربط القرى والمدن الفلسطينية ببعضها وتربطها بإسرائيل، فقد أدت سياسة الإغلاق والحصار وعمليات القصف للمنشآت الصناعية ومصادرة وتجريف الأراضي الزراعية، إلى تراجع سوق العمل الفلسطيني، وتوقُّف المشاريع الإنتاجية، واتساع نسبة العاطلين عن العمل في صفوف الفلسطينيين، خاصة في ظل إغلاق سوق العمل الإسرائيلية أمام العمال الفلسطينيين، فقد أشارت الإحصائيات إلى أن عدد العاملين الفلسطينيين في إسرائيل بلغ 125 ألفاً، استطاع منهم نحو 10 آلاف فقط من المحافظة على عملهم في حين خرج حوالي 115 ألفاً من سوق العمل الإسرائيلي، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نسبة البطالة بين الفلسطينيين من 11% في العام 2000 إلى 65% في العام 2003، مما

---

[227] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات. انتفاضة الاستقلال العام الثالث. مصدر سبق ذكره ص 216.

[228] التقرير.(2001). انتفاضة الأقصى تعيد النظر بمستقبل الكيان الصهيوني. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، عدد 14 و 15: ص 152.

زاد من معدل الفقر الذي ارتفع من 21% إلى 60% في الفترة المذكورة نفسها، ووصل معدل الفقر إلى أكثر من 80% في قطاع غزة.[229]

وبحسب الإحصاءات فقد بلغ مجمل الخسائر المباشرة السنوية في الاقتصاد الفلسطيني نحو 3908 مليون دولار،[230] ويعود ذلك إلى انخفاض الناتج المحلي المرتبط بانخفاض إنتاج القطاعات الفلسطينية الاقتصادية في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة والنقل والمواصلات، وتراجع النشاط السياحي والفندقي وارتفاع معدل البطالة في صفوف الفلسطينيين الناتج عن سياسة الاجتياحات والتوغلات وعمليات القصف الإسرائيلية .

وهناك الخسائر غير المباشرة الناجمة عن قصف وهدم الآلاف من المنازل الفلسطينية، حيث أفادت دائرة العلاقات القومية والدولية في منظمة التحرير الفلسطينية، أنه خلال ثماني سنوات من الانتفاضة تم هدم 8300 منزلاً فلسطينياً على أيدي الاحتلال، بينها 900 منزلاً في القدس المحتلة هدمت بحجة عدم الترخيص، وألحق الضرر بأكثر من 70 ألف منزل آخر خلال الاجتياحات الإسرائيلية،[231] كذلك فقد تم تدمير معظم الورش الصناعية والتجارية، وتدمير الثروة الزراعية الناتجة عن تدمير واقتلاع الأشجار المثمرة، ومصادرة آلاف الدونمات الزراعية لإقامة بؤر استيطانية جديدة أو لشق طرق التفافية أو لبناء جدار الفصل العنصري.

ثانياً- التداعيات على المستوى السياسي: إن ما يؤخذ على المقاومة الفلسطينية عدم قدرتها على الاستفادة من تجاربها وخبراتها السابقة، وعدم قراءتها للوقائع والمتغيرات على الساحة الدولية قراءة صحيحة في ظل تداعيات أحداث 11 أيلول والحرب على الإرهاب، حيث شكّلت هذه

---

[229] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات، مصدر سبق ذكره، ص 199- 200.

[230] المصدر السابق، ص 201.

[231] http://www.fatehnews.net/forums/showthread.php?t=42826

المتغيرات نقطة تحوّل هامة في نظرة المجتمع الدولي للمقاومة الفلسطينية الذي لم يعد يتسامح مع العمليات التي تمس بالمدنيين، وفي الوقت ذاته لم تقم المقاومة الفلسطينية بمراجعة نقدية لأساليب النضال التي وصفت بردات الفعل العشوائية، لعدم وضوح أهدافها وعدم وجود أجندة سياسية قادرة على توحيد فصائل المقاومة حول خيار واحد، وقد كان من أهم التداعيات السياسية على الجانب الفلسطيني ما يلي:

1. إلصاق تهمة الإرهاب بالمقاومة الفلسطينية

المفارقة أن العمليات التفجيرية التي استخدمتها المقاومة ضد الاحتلال، والتي من المفترض أن يكون الجانب الفلسطيني هو المستفيد منها والقادر على جنْي ثمار تضحياته جرّاءها، استطاعت إسرائيل برغم تضررها من تلك العمليات، تجييرها لصالحها من النواحي السياسية والاستراتيجية. إذ تمكنت عبرها من فرض حالة من العزلة والحصار الدولي على الفلسطينيين قيادة وسلطة وشعباً، واستطاعت بدعم أمريكي فرض عقوبات اقتصادية وسياسية على الفلسطينيين، تمثلت في تجفيف مصادر الدعم المادي المقدم للسلطة ومؤسساتها الأمنية والمدنية، وعدم التعامل مع السلطة الوطنية ورئيسها المنتخب.

فمنذ اللحظة الأولى لأحداث 11 سبتمبر عكف الإسرائيليون على ربط المقاومة الفلسطينية وعملياتها بالإرهاب والمنظمات الإرهابية، دون تفريق بين ما يتم تنفيذه ضد الجنود والمستوطنين على الأراضي المحتلة عام 1967 وعلى الأراضي المحتلة عام 1948، وتحولت إسرائيل من دولة تمارس الإرهاب المنظم والمستمر ضد شعب بأسره، ترتكب بحقه الجرائم وتصادر أراضيه وتستعمره استعمارا استيطانياً إلى ضحية للإرهاب الفلسطيني.[232]

[232] أبو شريف، بسام." النقد الذاتي طريق إعادة الزخم للانتفاضة الشعبية". صحيفة القدس الفلسطينية. 15/10/2004.

وقد أحدثت عملية الخلط بين المقاومة والإرهاب، وعدم وجود توافق فلسطيني داخلي حول أهداف المقاومة وأشكالها المفترضة جدلاً واسعاً وانقساماً في الساحة الفلسطينية حول جدوى الاستمرار في المقاومة المسلحة.

وفي إحدى الندوات التي عُقدت في قطاع غزة وتناولت البُعْد التقييمي للانتفاضة الفلسطينية وأساليب العمل فيها بعد أحداث 11 سبتمبر، برز تناقضٌ واضحٌ بين عدد من القادة السياسيين حول هذه المسألة، ففي الوقت الذي رأى فيه د.عبد العزيز الرنتيسي القيادي في حماس، أن استغلال إسرائيل لأحداث 11 سبتمبر والحرب على الإرهاب وما تبعه من إدراج فصائل المقاومة الفلسطينية على لائحة الإرهاب، لم يكن له تأثير كبير على المقاومة الفلسطينية، اعتبر ذياب اللوح عضو المجلس الثوري لحركة فتح أن العمليات التفجيرية أثرت سلباً على الشعب والقضية الفلسطينية، حيث فتحت الأبواب على مصراعيها للخلْط بين الإرهاب والمقاومة المشروعة ضد الاحتلال، وبات شعبنا يسدد فاتورة هذا الخلط وهذه الأحداث. في حين قال جمال زقوط عضو المكتب السياسي لحركة فِدا، بأن شارون وبدعم أمريكي استغل هجمات سبتمبر لوصْم النضال الفلسطيني المشروع بالإرهاب، داعياً إلى وقف بعض أنواع المقاومة التي تستهدف المدنيين لتفويت الفرصة على شارون والإدارة الأمريكية في تشويه المقاومة الفلسطينية المشروعة. أما محمد الهندي القيادي عن حركة الجهاد الإسلامي فيقول: إن شارون حاول وضع نفسه في خانة المحاربين للإرهاب ووصم المقاومة الفلسطينية بذلك بعد أحداث 11سبتمبر، وعلى الرغم من ذلك فقد صمدت المقاومة الفلسطينية رغم دعوات بعض المثقفين والسياسيين وحتى بعض رجال الدين لوقفها.[233]

---

[233] صحيفة القدس الفلسطينية، 12/9/2002، ص 1-22

وقد كان من الآثار الهامة التي خلفتها عملية الخلط المتعمد بين الإرهاب والمقاومة، الانقسام في القاعدة الشعبية الفلسطينية بحد ذاتها حول الخيارات المتعلقة بالانتفاضة وأساليب عملها، وإزاء الاختيار بينها، فبعض من هذه القاعدة كان قد خوّن الدعوة إلى تعليق الانتفاضة أثناء التفاوض، كما خوّن من انتقد استراتيجية المضي بالمساريْن الانتفاضي والتفاوضي معاً، والبعض الآخر وجد في تلك الاستراتيجية انتحاراً فلسطينياً أجّجته العمليات الانتحارية ضد المدنيين الإسرائيليين.[234]

في المقابل ساهمت هذه العمليات في توحيد المجتمع الإسرائيلي خلف قيادة شارون في مواجهة الفلسطينيين، حيث أظهرت العديد من الاستطلاعات انحياز الجمهور الإسرائيلي لبرامج وخطط شارون المتطرفة العدوانية تجاه الفلسطينيين، يؤكد ذلك استطلاع للرأي العام الإسرائيلي أوردتهُ صحيفة هآرتس الإسرائيلية في 5/8/2003 حول إقامة جدار الفصل العنصري أظهر أنّ 80% ممن شملهم الاستطلاع يؤيدون إقامة الجدار.[235]

2. تقويض شبكة واسعة من القيادات ونشطاء المقاومة.

يقول جورج حاوي تعليقاً على العمليات التفجيرية:" إن واجب الاستشهاد والاستعداد للاستشهاد ينبغي أن يتوافر لدى كل مناضل، إلا أن الاستشهاد ليس هدفاً والبطولة ليست في أن تجري التضحية بقوى الثورة بمقاييس وبحجم أكبر من الخسائر التي تنزل بالعدو، بل في أن تتمكن القوة الثورية من أن تنزل بالعدو خسائر أكبر بكثير من تلك التي تضطر لدفعها.[236]

وكان الاحتلال قد اتخذ من العمليات التفجيرية ذريعة لتنفيذ حملة من الاعتقالات والاغتيالات الواسعة، ضد نشطاء المقاومة ورموزها الوطنيين من القياديين السياسيين والعسكريين دون

---

[234] خنفر، مصدر سبق ذكره، ص 108.

[235] صحيفة هآرتس الإسرائيلية، 5/8/2003.

[236] الأنصاري، حمزة.(1997). حرب العصابات في لبنان. ط 1. بيروت: دار الفارابي، ص 294 .

تفريق، أمثال د. عبد العزيز الرنتيسي والشيخ أحمد ياسين وأبو علي مصطفى وصلاح شحادة وإسماعيل أبو شنب وغيرهم من القيادات ونشطاء المقاومة الذين كان لهم دوراً بارزاً على الساحة الفلسطينية، بغض النظر عن انتماءاتهم وتوجهاتهم السياسية، وليس مستغرباً أن تتم عمليات الاغتيال لمعظم نشطاء وقادة المقاومة في أوقات الهدوء وفترات وقف إطلاق النار.

وتجدر الإشارة إلى أن سهولة وصول الاحتلال إلى هذا الكم الكبير من القادة والنشطاء الميدانيين الذين تم اغتيالهم، يعود بالدرجة الأولى إلى تخلي المقاومة عن الطابع السري منذ مرحلة ما بعد أوسلو، مما سهل على المخابرات الإسرائيلية بمساعدة العملاء الذين يمثلون جزءاً لا يتجزأ من الحرب الإسرائيلية ضد المقاومة، من سهولة التعرف عليهم والوصول إليهم، خاصة في ظل تراخي السلطة الوطنية وتقصير الأجهزة الأمنية في محاربة ظاهرة العملاء، واللامبالاة في التعامل فلسطينياً مع التهديدات الإسرائيلية حتى بعد نشر قائمة بأسماء المطلوبين للتصفية بشكل علني عبر الصحف، أضف إلى ذلك أن التوسع في تجنيد المتطوعين للعمل العسكري الفلسطيني سهّل على المخابرات الإسرائيلية زرع عملائها داخل حركات المقاومة،[237] فمن يتابع الوضع الفلسطيني سرعان ما يكتشف أن التجنيد كان يفوق متطلبات العمل المقاوم نفسه، وهذا بحد ذاته شكّل عبئاً على المقاومة وعلى قدرتها على حماية نفسها وقيادتها، وسهل على الاحتلال اكتشاف خلايا المقاومة وتفكيكها.

أكدت مؤسستا لجان العمل الصحي والحق الفلسطينيان في مؤتمر صحفي لهما، أن قوات الاحتلال الإسرائيلي قتلت في الثماني سنوات الماضية 5389 شهيداً وأصابت 32720 فلسطينياً، وتسببت بـــ 3530 إعاقة دائمة، و كان بين الشهداء 194 امرأة و 995 طفلاً، في حين استشهد

---

[237] النعامي، صالح محمد. "العمل الفلسطيني المقاومة مكامن الخلل". http://www.aljazeera.net

492 فلسطينياً جراء قصف قوات الاحتلال منازلهم في وقت جرى استهداف 746 فلسطينياً بعمليات اغتيال، إضافة إلى 233 مواطناً تصادفَ وجودُهم في مسرح عمليات الاغتيال التي نفذتها قوات الاحتلال، كما وأكد البيان أن عدد الأسرى في الانتفاضة بلغ 65 ألفاً لا يزال قرابة 11 ألفاً منهم في سجون الاحتلال، وأن عدد الحواجز الإسرائيلية ارتفع إلى 630 حاجزاً.[238]

وفي إحدى الدراسات الإحصائية تم عرض العدد الإجمالي للشهداء الفلسطينيين منذ بداية انتفاضة الأقصى في الربع الأخير من العام 2000 وحتى العام 2007، وقد بينت الدراسة أنه في العام 2001 استشهد 900 فلسطينياً، وفي العام 2002 استشهد 1115 فلسطينياً، وفي العام 2003 سقط 693 شهيداً، وفي العام 2004 سقط 912 شهيداً، وشهد العام 2005 سقوط 240 شهيداً فلسطينياً، في حين سجل العام 2006 سقوط 692 شهيداً، والعام 2007 شهد سقوط 412 شهيداً.[239]

ويعود هذا الارتفاع الكبير في عدد الشهداء والجرحى، إلى انجرار الفلسطينيين إلى المجال العسكري الذي تحقق فيه إسرائيل تفوقاً نوعياً واستراتيجياً على الفلسطينيين. يقول هاني المصري الكاتب والمحلل السياسي الفلسطيني: "إن الانتفاضة وقعت في أخطاء عديدة قاتلة، في مقدمتها اللجوء إلى الميدان الذي تتفوق فيه إسرائيل علينا وهو الحرب والسلاح".[240]

3. صعود حركة حماس مقابل ضعف السلطة

---

[238] دغلس، عاطف." انتفاضة الأقصى الثانية تدخل عامها التاسع مع 5389 شهيداً". 29/9/2008.
www.aljazeera.net/nr/exeres/d9105f11-2fe4-41e4-8185e855716d4934.htm-91k

[239] http://forum.sh3bwahmaktoob.com/157522.html

[240] ضراغمة، محمد." بعد أربع سنوات على اندلاعها، هل وقعت الانتفاضة فريسة الأخطاء الذاتية". 15 تشرين الأول 2004، http://www.amin.org/look/amin/article.

لا شك أن العمليات التفجيرية التي اعتمدتها فصائل المقاومة الفلسطينية وتحديداً حركتي حماس والجهاد الإسلامي، ساهمت وإلى حد كبير في تقوية وصعود شعبية هاتين الحركتين مقابل إضعاف السلطة الوطنية، وإيصالها في مراحل معينة إلى حافة الانهيار، ذلك بسبب اتخاذ حكومة شارون من تلك العمليات ذريعة لشن العدوان تلو الآخر على السلطة ومقراتها وأجهزتها الأمنية، مما أدى إلى تدمير بنيتها التحتية، وصولاً إلى إعادة احتلال كافة المناطق الخاضعة للسلطة بعد عملية السور الواقي عام 2002، تلك العملية التي أظهرت عجز السلطة وضعفها في التصدي لجيش الاحتلال مما أفقدها مصداقيتها وشعبيتها أمام الفلسطينيين.

وفي الحقيقة كان لحماس دور كبير من حيث أنها كانت تدري أو لا تدري بحجم الضرر الذي كانت تلحقه العمليات التفجيرية ليس فقط بالشعب الفلسطيني بل وبسلطته الوطنية، وكان لها دورٌ يضاف إلى الدور الإسرائيلي في إضعاف السلطة الوطنية، وتقويض مؤسساتها الأمنية وضرب بناها التحتية، ويمكن القول أنها ساعدت شارون كثيراً في عدم إنجاح أي هدنة أو اتفاق بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وساعدته على التملص من الاستحقاقات والالتزامات المترتبة على الحكومة الإسرائيلية، بهذا المعنى تحدّث شمعون بيريز في مقابلة أجراها الصحفي وديع عواودة، الذي حاول الاستفسار عن سبب تعطيل مسيرة البدء بتطبيق خارطة الطريق والتوصل إلى الهدنة، وقد أضاف بيريز على ما سبق بأن شارون لم يعط أبا مازن الفرصة الكافية لتنظيم نفسه، كذلك لعبت حماس الدور نفسه، وبأن حكومة شارون بإقبالها على تصفية شخصيات سياسية

فلسطينية وسط فترات الهدوء، مكررة ما حصل يوم اغتيال يحيى عياش إنما يدل على رغبتها بالهروب من السلام.[241]

4. إطلاق يد شارون للتنكيل بالفلسطينيين بمباركة أمريكية

منذ مجيء شارون إلى السلطة، انتهج سياسة واضحة ضد الفلسطينيين هدفها تقويض عملية السلام، فعمل على تدمير قدراتهم السياسية والاقتصادية وارتكاب كل ما هو محرم ومخالف للأعراف والقوانين الدولية، باستهدافه للمدنيين الفلسطينيين عبر استخدام الطائرات والصواريخ في عمليات القصف وهدم البيوت والاغتيال السياسي لنشطاء المقاومة دون محاكمة، ثم بإعادة احتلال المناطق التي تقع تحت السيطرة الفلسطينية، ومصادرة مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، والاستيلاء على مصادر المياه الجوفية، وإقامة بؤر استيطانية جديدة وتوسيع أخرى وبناء جدار الفصل العنصري. كان ذلك من أجل تنفيذ الخطط والمشاريع الإسرائيلية المتمثلة بالسيطرة على أكبر مساحة من الأراضي الفلسطينية، لقتل أي أمل لدى الفلسطينيين بإقامة دولة مستقلة من ناحية، وفرض شروط ومطالب تعجيزية عليهم من ناحية أخرى كان أهمها:

أ.مطالبة الفلسطينيين بوقف المقاومة في وقت كانت تعمل فيه حكومة شارون على التصعيد من وتيرتها العدوانية تجاه الفلسطينيين بشراً وشجراً وحجراً، كذلك المطالبة بإيجاد قيادة بديلة للشعب الفلسطيني واستحداث منصب رئيس الوزراء، في الوقت الذي تم فيه محاصرة وعزل الرئيس عرفات في مقره بمقاطعة رام الله، على الرغم من أنه الرئيس المنتخب للشعب الفلسطيني، في تدخل سافر في الشؤون الداخلية الفلسطينية.

---

[241] بيريز، شمعون." شارون وحماس لعبا دوراً حاسماً في اغتيال خارطة الطريق". المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار. عدد 31: الثلاثاء، 17/6/2003.

ب. مطالبة السلطة بنزع سلاح المقاومة واعتقال نشطائها، فقد ذكرت القناة الثانية في التلفزه الاسرائيلية، أن انتوني زيني طلب أن يتولى الإشراف شخصيا ليس فقط على عمليات الاعتقال، بل وضمان إجراء عمليات تحقيق ناجعة مع المعتقلين الفلسطينيين للحصول على معلومات استخباراتية تفيد في تقليص قدرة المقاومة على شن عمليات استشهادية في المستقبل،[242] فالمطلوب إسرائيلياً من الحكومة الفلسطينية إشهار حرب أهلية،[243] وهذا ما استطاعت الحصول عليه مؤخراً بفعل الاقتتال الداخلي بين حركتي حماس وفتح.

ج. تدمير البنية التحتية للحركات الاسلاميه المقاومه وتجفيف مصادر دعمها، أكد "جدعون ساعر"سكرتير الحكومة الاسرائيلية، أن هذا يعني إغلاق المؤسسات الخيرية والاجتماعية والثقافية التي تديرها حماس على وجه الخصوص في الضفة وغزه، وسحب رخص المؤسسات النقدية والخيرية الخارجية العاملة في مناطق السلطة التي تزعم إسرائيل والولايات المتحدة أنها على علاقة بحركات المقاومه، وقد قدمت الادارَه الامريكيَه طلبا للسلطة بالحجز على أموال بنك الأقصى وإقفال فروع مؤسسة الارض المقدسة؛ بدعوى أنها تكفل أبناء الشهداء، إضافة إلى تشديد القبضة على المساجد ومنع أنشطة حماس فيها، إلى جانب فرض رقابه على الخطب ودروس الدين ومنع التحريض ضد إسرائيل،[244] كذلك عدم تضمين مناهج التعليم الفلسطينية آيات قرآنية تتعرض لليهود بسوء.[245]

---

[242] النعامي، صالح محمد. "السلطه و المقاومه في مفترق طرق". http://www.eslamonline.net

[243] كيالي، ماجد. "بعد تقويض اتفاق أوسلو هل يتملص شارون من خارطة الطريق". السنة الأولى، عدد 29: الثلاثاء 3/6/2003، www.almash-had.org/com

[244] كيالي، ماجد، المصدر السابق.

[245] نافيه، داني. وزير الدولة الاسرائيلي، التلفزيون الإسرائيلي، القناة الأولى 16/12/2001

والمفارقة أنه في الوقت الذي كانت تطرح فيه حكومة شارون هذه الشروط كانت تصعِّد من عدوانها تجاه الفلسطينيين، وتصرّ على رفض وقف الأنشطة الاستيطانية وعمليات الاغتيال، وبالطبع فإن هناك عوامل محلية ودولية ساعدت حكومة شارون على انتهاج سياسة متعنتة تجاه الفلسطينيين كان أهمها: سيادة الفوضى والعشوائية في عمل الانتفاضة؛ نتيجة للتجاذبات السياسية على الساحة الفلسطينية المنقسمة على نفسها بين مؤيد للمقاومة العسكرية ومعارض لها، وانهيار معسكر السلام الإسرائيلي المؤيد لعملية التسوية مع الفلسطينيين لصالح القوى اليمينية المتطرفة،[246] كذلك تغير المناخ الدولي بعد أحداث 11 / سبتمبر، وهو ما انعكس سلباً على المقاومة الفلسطينية في ظل الحرب الدولية على الإرهاب، والتي حاولت إسرائيل مدعومة أمريكياً من استغلالها لضرب المقاومة الفلسطينية بعد وصفها بالإرهاب، كذلك تغير البيئة الإقليمية التي لم تكن في صالح القضية الفلسطينية إثر التحضيرات الأمريكية لاحتلال العراق بعد احتلالها لأفغانستان، وما نجم عنه من ضعف وتفكك عربي استمر حتى اللحظة.

وقد صرّح اللواء عمر سليمان مدير المخابرات المصرية في إحدى اجتماعاته بممثلي الفصائل الفلسطينية قائلا:" العمليات الانتحارية في مرحلة الانتخابات الإسرائيلية ومرحلة التحضير لضرب العراق، تلحق أضرارا واسعة بالأمن المصري والأمن القومي العربي، بجانب الأضرار الكبيرة التي تلحقها يوميا بالفلسطينيين شعبا وسلطة ومعارضة"،[247]ونصح اللواء سليمان ممثلي الفصائل الفلسطينية إدراك حجم المخاطر الكبيرة التي تحيط بشعبهم في هذه المرحلة، وبضرورة التخلص بكل السبل من تهمة الإرهاب التي لحقت بالحركة الوطنية، ونبههم إلى الأبعاد

---

[246] كيالي، ماجد. بعد أوسلو هل يتملص شارون من خارطة الطريق، السنة الأولى، عدد 29: الثلاثاء 3/6/2003 www.ahmash-had.org/com

[247] نوفل، ممدوح.(2003)." ليس من حق أنصار العمليات الانتحارية توريط الآخرين في ما يجب تفاديه". صامد الاقتصادي، عدد 132: ص 72 – 73

المأساوية التي قد تلحق بهم وبقضيتهم في حال وقوع الحرب على العراق وهم متلبسون بهذه التهمة الخطيرة،[248] مضيفاً أنّ هناك ضرورة لعمل الفلسطينيين على توحيد صفوفهم وتجاوز خلافاتهم والاتفاق على برنامج نضالي لصون الحقوق الوطنية، وبلورة رؤية واقعية تقلص الخسائر البشرية والاقتصادية التي يلحقها الاحتلال يوميا بالفلسطينيين.

5.تعميق الانقسام والخلاف الداخلي الفلسطيني

في الواقع كان ثمن المواجهة الإسرائيلية للعمليات التفجيرية باهظاً جداً على الصعيد الفلسطيني، ففي الوقت الذي عملت فيه على تلاحم المجتمع الإسرائيلي والتفافه حول حكومته المتطرفة وخياراتها العدوانية تجاه الفلسطينيين، أدت في المقابل إلى انقسام سياسي على الساحة الفلسطينية لعدم وجود توافق داخلي على نهج العمليات التفجيرية، فمن جهة آثرت السلطة الوطنية الاتجاه نحو الخيار السياسي التفاوضي، في حين اتجهت حركات المقاومة الإسلامية نحو خيار المقاومة، فقامت بزج معظم قواها في المواجهة المسلحة التي لم تكن أبداً في صالح المقاومة والقضية الفلسطينية، ليس فقط بسبب الاختلال الواضح في موازين القوى لصالح الاحتلال، بل أيضاً سبب اختلاف الظروف الدولية بعد أحداث 11أيلول/ سبتمبر والحرب على الإرهاب، حيث تغيرت المفاهيم واختلطت المعايير في الحكم على الأمور، فلم يعد المجتمع الدولي قادراً على التمييز بين المقاومة المشروعة والإرهاب في ظل إعلام أمريكي إسرائيلي مسيطر، استطاع تشويه الحقائق، وقلب الأمور، وإلغاء الفوارق بين هذين المفهومين، مما أدى إلى تعقيد الموقف الفلسطيني على الساحة الدولية.

---

[248] المصدر السابق

واللاّفت أن إسرائيل من خلال ضغطها المتواصل على السلطة عبر تدمير أجهزتها ومؤسساتها الأمنيه وحصارها للرئيس عرفات، حاولت إيهام السلطة والمجتمع الفلسطيني بأن ما يحدث إنما هو نتيجة العمليات التفجيرية التي تقوم بتنفيذها حركات المقاومه الاسلاميه، في حمله تحريضية هدفها إحداث انقسام داخلي يؤدي إلى ضرب الوحدة الوطنية التي هي أساس استمرار وتواصل الانتفاضة، هذا بالاضافه إلى أنها ومن خلال تحريضها للسلطة على ملاحقة واعتقال عناصر حركتي حماس والجهاد الإسلامي كانت تحاول تصفية الانتفاضة بأيد فلسطينية.

لقد شكلت التباينات حول برنامج المقاومة مدخلاً استغلته الإدارة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر، لتعميق الفجوة بين الفصائل الفلسطينية عبر تصنيف بعضها بالمعتدلة وبعضها بالإرهابية مع دعم هذا الطرف على حساب ذاك، ازداد بعد الانتخابات التشريعية الفلسطينية وفوز حركة حماس بأغلبية المقاعد، حيث باشرت بفرض حصار سياسي واقتصادي خانق على الشعب الفلسطيني بهدف الوصول به إلى حالة من الصراعِ الداخلي المدمر.

وقد ترتب عن الانقسام السياسي على الساحة الفلسطينية، انقسام في الكيان بين الضفة وغزة، ما أفاد إسرائيل وسهل عليها الاستفراد بالشعب الفلسطيني على مرأى ومسمع من المجتمع الدولي، بذريعة أن الفلسطينيين ليسوا مؤهلين لإدارة أوضاعهم، وأنهم غير محل ثقة في عملية السلام في ظل الاقتتال فيما بينهم.[249]

ثالثاً- على المستوى الإقليمي: عند الحديث عن ردود الأفعال العربية والإسلامية لابد من التمييز بين الحكومات الرسميـــة وشعوبها، ففي حين تكون الحكومات مقيدة بجملة من الاتفاقات

---

[249] كيّالي، ماجد. "بين فتح وحماس إلى أين ستذهب الساحة الفلسطينية".
http://www.amin.org/look/amin/article

والمعاهدات الموقعة والمحكومة بالضغوط الدولية، مما يجعلها أكثر تحفظا ودقة في قراراتها وتصريحاتها، تتسم ردود أفعال الشارع العربي عادةً بالتلقائية والعفوية دون الالتفات إلى ضغوط خارجية أو داخلية. فقد شهد الشارع العربي في بداية الانتفاضة نهوضاً ملحوظاً عبر تنظيم فعاليات ومهرجانات شعبية، تمثلت بالمسيرات والمظاهرات والتصريحات المنددة بالعدوان الإسرائيلي، والمطالِبة بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع إسرائيل، ومقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية إضافة إلى جمع التبرعات المادية والعينية للفلسطينيين.

على المستوى العربي الرّسمي أدت الممارسات والاعتداءات الإسرائيلية والإجتياحات المتكررة لمناطق السلطة وإعادة احتلالها، إلى وقف العديد من الدول العربية أنشطة التعاون الاقتصادي والإقليمي مع إسرائيل، فقد أدانت القمة العربية التي عُقدت في عمّان بتاريخ (28/ آذار 2001) في بيانها الختامي الاعتداءات على الشعب الفلسطيني واعتبرتها جرائم ضد الإنسانية، وطالبت بتفعيل المقاطعة العربية ضد إسرائيل والتوقف عن إقامة أي علاقات أو أنشطة في مجال التعاون الاقتصادي والإقليمي معها، في المقابل دعت الفلسطينيين إلى وقف الانتفاضة والعودة لطاولة المفاوضات، وكانت كل من سلطنة عمان وتونس والمغرب وقطر، قد أعلنت عن إغلاق مكاتب التمثيل التجاري الإسرائيلي في عواصمها، وقامت كذلك مصر بسحب سفيرها من إسرائيل احتجاجاً على إفراطها في استخدام العنف ضد الفلسطينيين، كان ذلك في 21/11/2000 ومن ثم كانت العلاقات العربية الإسرائيلية في أدنى مستوياتها مع دخول العام 2001 ولم يشذ عن

الإجماع العربي سوى موريتانيا التي رفضت تطبيق توصيات القمم العربية المتعاقبة في أكتوبر 2000 ومارس 2001.[250]

لم تأخذ إسرائيل هذه الإجراءات على محمل الجد لإدراكها بأنها عادةً ما تأتي نتيجة للضغط الشعبي على الحكومات العربية، التي سرعان ما تتراجع عنها بعد أن يعود الهدوء للشارع العربي، في هذه الأثناء شهدت الساحة الفلسطينية تحركاً أمريكياً عبر إطلاق توصيات ميتشل الدّاعية لوقف الانتفاضة مقابل وقف الاستيطان، ثم جاءت ورقة جورج تينيت الدّاعية إلى وقف الانتفاضة بالقوة والعودة لطاولة المفاوضات، وإرجاء مسألة وقف الاستيطان.

في ظل هذه التطورات السياسية شهد الشارعُ العربيّ والرسميُّ تراجعاً ملحوظاً في فعالياته ونشاطاته الداعمة للانتفاضة، ثم جاءت أحداث 11 سبتمبر لتربك العديد من الدول العربية والإسلامية، بعد إطلاق الولايات المتحدة ما أسمته الحرب على الإرهاب ورفعها لشعار (من ليس معنا فهو ضدنا). دفع ذلك العديد من الدول العربية إلى تحاشي أي تصرف أو تصريح من شأنه إغضاب الولايات المتحدة، فأصبحت في حالة دفاع مستمر عن النفس تجنباً لإلصاق تهمة الإرهاب بها، إضافة إلى أن التّحركات الرسمية العربية في معظمها كانت تنطلق للتهدئة ولتحريك مشروعات الحل والتسوية، بعد أن تبلغ التضحيات الفلسطينية حداً لافتاً.[251]

أدّى ذلك إلى تراجع الاهتمام بالملف الفلسطيني عربياً ودولياً؛ لتطغى أحداث 11 سبتمبر على الساحة الّدولية والإعلامية، وتعالت الأصوات العربية الرسمية الدّاعية لوقف الانتفاضة والعودة مجدداً إلى طاولة المفاوضات والالتزام بمقترحات (ميتشل وتينت)، مذكِّرة بالمتغيرات

---

[250] التقرير الاستراتيجي العربي. إسرائيل والانتفاضة معادلة الأمن المطلق.
http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/rirbq.htm

[251] هيلانه، مصدر سبق ذكره، ص 103.

المُستَجَدّة على الساحة الدّولية في أعقاب أحداث 11/ أيلول والحرب على الإرهاب، أما القمم العربية فلم تكن لتتعدى بيانات الشجب والاستنكار دون اتخاذ أي موقف أو قرار رسمي مؤثر، مما شجّع الجانب الإسرائيلي على التمادي في قهر الجانب الفلسطيني، عبر تقديم لائحة للسلطة الوطنية تحوي أسماء نشطاء فلسطينيين تطالب باعتقالهم ومحاكمتهم بارتكاب عمليات إرهابية ضد إسرائيل.

رابعاً- على المستوى الدولي: يمكن القول أن العمليات التفجيرية أضرّت بشرعيّة وأخلاقية المقاومة الفلسطينية بكافة أشكالها، فبعدما كان هناك ثمة تفهّم وقبول للعمليات التي تنفذ في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 ضد المستوطنين وجنود الاحتلال، شوشت العمليات التفجيرية ضد المدنيين الإسرائيليين على التعاطف الدولي بشأن المقاومة، حيث شكلت نقطة الاحتكاك بين الفلسطينيين والرأي العام الغربي، ليس رفضاً لفكرة التضحية بالذات من أجل الوطن، وإنما لأن هذه العمليات موجهة ضد المدنيين، فتفجير أشخاص وهم يتناولون طعامهم في أحد المطاعم أو يشترون حوائجهم من الأسواق أو يستقلون الحافلات للوصول إلى أماكن عملهم، لم يكن مقبولاً خاصة بعد أحداث 11/ سبتمبر، ولم يكن من السهل أن يصنف في العقل الغربي على أنه نضال وطني،[252] خاصة وأن إسرائيل ومنذ اللحظة الأولى لأحداث 11/ سبتمبر كانت جاهزة إعلامياً؛ لاستغلال هذا الحدث في تشويه صورة المقاومة الفلسطينية أمام الرأي العام الدولي، وخلق واقع معاكس ومغاير للحقيقة.

فقد استطاعت الخلط بين المقاومة الفلسطينية ونضالها المشروع، وبين الإرهاب والمنظمات الإرهابية، وقد سجلت نجاحاً كبيراً في هذا الشأن بعد أن تم إدراج العديد من فصائل المقاومة

---

[252] سواحل، مصدر سبق ذكره ، ص 187.

الفلسطينية، وتحديداً حركتي حماس والجهاد الإسلامي ثم كتائب الأقصى على لائحة المنظمات الإرهابية، ممّا وفر لإسرائيل مساحة واسعة لتقويض السلطة وشن حرب تدميرية على مؤسساتها وأجهزتها الأمنية لتدمير بنيتها التحتية.

وقد فاجأ الموقف الأوروبي الفلسطينيين بعد أن طالب السلطة بتفكيك منظمتي حماس والجهاد الإسلامي الذي اعتبرهما منظمتان إرهابيتان، رابطاً استجابة السلطة لهذه الاملاءات بمستقبل علاقتها مع دول الاتحاد الأوروبي الذي يعمل على تمويل أكثر من 50% من مؤسسات السلطة، كان ذلك في ظل حملة إسرائيلية غير مسبوقة استهدفت البنى التحتية ورموز السلطة الوطنية طالت الرئيس عرفات. [253] وكان الاتحاد الأوروبي بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ضمن 16 دولة صوتت ضد قرار لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، والقاضي بتشكيل لجنة تحقيق حول انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان في فلسطين، مقابل 19 من أعضاء اللجنة ال 53 الذين صوتوا لصالح القرار وامتناع 17 عضو عن التصويت. [254]

في الحقيقة أوجدت العمليات التفجيرية واقعاً مغايراً لما أراده وأمله القائمون عليها، فبدلاً من أن تكون وسيلة ردع للاحتلال، عملت على إطلاق يده في عمليات الاغتيال والاعتقال والتدمير دون حسيب أو رقيب في ظل استهانة دولية بمعاناة الشعب الفلسطيني، في حين كان يتحول جرح أو قتل مستوطن أو جندي جراء عملية تفجيرية، إلى عنوان رئيسي في نشرات الأخبار وأساسا للتحرك السياسي الأوروبي والأمريكي والأمم المتحدة، وبدلاً من أن تمنح الفلسطينيين مزيداً من التعاطف الدولي ساهمت في وقف الدعم المادي والسياسي للسلطة الوطنية الفلسطينية، بعد أن تم

---

[253] المقادمة، إبراهيم." متى توقف حماس عملياتها الإستشهادية".13/9/2002. (نسخة الكترونية) http://www.alarabnews.com/alshaab/glf/13-09-2002/palestine4.htm

[254] التقرير، مصدر سبق ذكره، ص 184.

التشكيك في نواياها وبصدق توجهها نحو العملية السياسية، وتحميلها مسؤولية دعم وتمويل العمليات التي تنفذ داخل إسرائيل.

فقامت الولايات المتحدة وتبعها الاتحاد الأوروبي بحملة تحريضية ضد الجمعيات الأهلية والخيرية، التي تحمل هوية إسلامية سواء في الغرب أو في الدول العربية ممن تكفلت بدعم أسر الشهداء، وقامت بمحاصرة ومطاردة مصادر التمويل والتبرعات الإنسانية الموجهة إلى أهالي الشهداء الفلسطينيين، كما واشترطت وقف عمليات المقاومة الفلسطينية مقابل استمرار الدعم المادي للسلطة والشعب الفلسطيني، ونجحت إسرائيل بفرض عزلة دولية على الفلسطينيين قيادة وشعباً.

في هذا الشأن أشار د. عبد الرحمن[255] رئيس دائرة العلوم السياسية في جامعة أبو ديس، إلى أن العمليات التفجيرية أضعفت من التعاطف الدولي مع القضية الفلسطينية وتحديداً بعد هجمات 11 أيلول/ سبتمبر، فللمرة الأولى في تاريخ القضية الفلسطينية أصبح يُنظر للفلسطينيين كجزء من محور الشر وأصبح النضال الفلسطيني يوصف بالإرهاب، ويرى د.عبد الرحمن بأن للإعلام الإسرائيلي تأثيره وسطوته بحيث استطاع رسم صورة مشوهة للنضال الفلسطيني والتشكيك في شرعية نضاله، عبر تسليط الضوء على العمليات التفجيرية تحديداً وإظهارها على أنها جاءت بهدف القتل وليس التحرير، مساوياً بذلك بين التفجيرات التي تُنفّذ ضد المدنيين الإسرائيليين داخل الحافلات والمقاهي والمطاعم وبين تفجيرات 11 أيلول/ سبتمبر، التي استهدفت برجيْ التجارة العالميين، على اعتبار أنه في الحالتين كان الضحايا من المدنيين، ويضيف أنه ومن خلال تلك العمليات استطاع الاحتلال إيجاد المبررات والذرائع الكافية إزاء عمليات الإغتيال التي نُفّذت ضد

[255] مقابلة بتاريخ 30/7/2008.رام الله.

قادة ونشطاء المقاومة على مرأى ومسمع من المجتمع الدولي، رافعاً شعار محاربة الارهاب والدفاع عن النفس ضد هجمات فلسطينية محتملة.

آراء النخب السياسية الفلسطينية حول تداعيات العمليات التفجيرية

لا يمكن تجاهل أنّ حالة الانقسام السياسي والجغرافي الذي خلّفته تداعيات المقاومة المسلحة وتحديداً العمليات التفجيرية على الساحة الفلسطينية، أوجد شرخاً في الصف الفلسطيني، الأمر الذي استدعى وجود العديد من الكّتاب والمحللين السياسيين ممن كان لهم وجهات نظر متباينة حول أثر تلك العمليات، حاولت الباحثة تسليط الضوء على بعضها من خلال استطلاع لآراء البعض منهم عبر الإنترنت والصحف وإجراء بعض المقابلات.

في هذا السياق يرى الدكتور أحمد مجدلاني عضو المكتب السياسي لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، أن المستفيد الأول من العمليات التفجيرية هي إسرائيل، إذ تمكنت من جر المقاومة الفلسطينية إلى ملعبها الذي تمتلك فيه تفوقاً استراتيجياً، وفي المقابل جرّدت المقاومة الفلسطينية من قوة التفوق الأخلاقي والمبدئي وقيم الحرية التي كان من الممكن أن يستخدمها في استقطاب الدعم الدولي لصالح القضية الفلسطينية، حيث استطاع شارون توحيد الشارع الإسرائيلي خلف قيادته المتطرفة وضم قوى سياسية كبيرة إلى ائتلافه مما أضعف قوى السلام الإسرائيلية، وأصبح الشعب الفلسطيني يدفع خسائر بشرية هائلة بعد كل رد إسرائيلي على العمليات التفجيرية، وهذه الخسائر لا يمكن مقارنتها مع ما تحدثه العمليات التفجيرية من خسائر في إسرائيل، هذا إضافة إلى تدمير البنية التحتية والاقتصاد والممتلكات الخاصة وما إلى ذلك، وقد اعتبر مجدلاني الحديث عن توازن الرعب بين الطرفين وهماً يراه من لا يقرأ السياسة، حيث أن هذه العمليات لا يمكن أن

تغير القرار السياسي الإسرائيلي أو نظرة المجتمع الإسرائيلي إيجاباً نحو القضية الفلسطينية، بل على العكس من ذلك، فقد تعزز التيار القومي والديني الذي لا يريد حقوقاً وطنية للشعب الفلسطيني.[256]

ويتفق الكاتب والمحلل السياسي هاني المصري مع ما جاء به أحمد المجدلاني حول أضرار العمليات التفجيرية، التي من وجهة نظره استطاعت توحيد المجتمع الإسرائيلي واتجاهاته العدوانية التوسعية والعنصرية، حيث أصبح هناك إجماع إسرائيلي على محاربة الشعب الفلسطيني بكل قوة، وقد جاء هذا الإجماع في ظل ما يسمى بالحرب الأمريكية على الإرهاب، وفي ظل التوافق الدولي مع هذه الحرب، مضيفاً بأن العمليات دفعت الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي إلى معركة سياسية وعسكرية فاصلة ذات حسم سريع، وهذا أضر بالمقاومة لأن أي شعب يقاوم الاحتلال من مصلحته أن يخوض معارك استنزاف طويلة تديم الصراع وترهق العدو.[257]

اللواء إسماعيل جبر (الحاج إسماعيل) يرى أنه لا يمكن إغفال بعض الجوانب أو الجزئيات الإيجابية التي حققتها العمليات في فترات معينة، والمتمثلة بزعزعة الاستقرار المجتمعي والأمني الإسرائيلي، إلا أنها في المقابل نفّرت المجتمع الدولي من القضية الفلسطينية حيث استطاعت إسرائيل استخدامها كمبرر للاستمرار في عمليات الاغتيال لنشطاء المقاومة، وفي إعادة احتلال المناطق الخاضعة للسلطة وإلغاء الفروق بين مناطق (أ، ب، ج) وإنهاء كامل العملية السلمية، إضافة إلى إقامة الجدار الفاصل الذي خُطِّطَ له بترتيب مسبق، حيث كان الإسرائيليون بانتظار الذريعة والفرصة لإقامته، والذي كان من أهم انعكاساته: مصادرة أجزاء كبيرة من الأراضي

---

[256] سمير كشك، تغريد.(2006). إشكالية المقاومة الفلسطينية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، رسالة ماجستير غير منشورة، بيرزيت، ص 130، مقابلة قامت بإجرائها الطالبة مع الدكتور أحمد مجدلاني بتاريخ 3/7/2005.

[257] المصري، هاني. برنامج الاتجاه المعاكس، قناة الجزيرة الفضائية، 20/8/2002.

الفلسطينية وتهجير المواطنين، وتعزيز المستوطنات بإقامة بؤر استيطانية كبيرة في وقت شُلّت فيه كامل الأجهزة الأمنية الفلسطينية؛ نتيجة إعادة احتلال وتدمير مقارها ومؤسساتها الأمنية.[258] فيما يرى العميد ماجد فرج، مدير الاستخبارات العسكرية في الضفة الغربية، أن إسرائيل استطاعت استغلال هذه العمليات تحديداً بعد أحداث 11 سبتمبر؛ لتشويه صورة النضال الفلسطيني أمام المجتمع الدولي، الذي أخذ يتعامل مع الطرف الفلسطيني كطرف إرهابي وليس شريكاً في عملية السلام والمفاوضات، مما أعطى إسرائيل تبريراً كافياً لاستخدام القوة العسكرية في تدمير مؤسسات السلطة وبناها التحتية وفي حصارها للرئيس عرفات، والقيام بعملية السور الواقي والاجتياحات المتكررة والاغتيالات والاعتقالات وبناء جدار الفصل العنصري ومصادرة الأراضي وبناء المستوطنات. من هنا يرى أن العمليات التفجيرية التي قامت بها كل من حماس والجهاد الإسلامي كانت لأهداف سياسية وليست نضالية، حيث كانت تهدف وبشكل أساسي إلى إلغاء المفاوضات وإسقاط اتفاق أوسلو، وإثبات أن السلطة الوطنية بزعامة الرئيس ياسر عرفات عاجزة عن السيطرة على الأوضاع، وأن على العالم أن يتحدث مع حماس التي طرحت نفسها ومازالت بديلاً لِ(م.ت.ف).[259]

أمّا ناصر أبو عزيز، عضو المجلس الوطني الفلسطيني وعضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية، فيرى أن الحكم على العمليات التفجيرية وانعكاساتها على القضية الفلسطينية والمشروع الوطني، يجب أن يكون مرتبطاً بما تم تحقيقه على صعيد الثوابت الفلسطينية، المتمثلة بحق العودة والدولة الفلسطينية والقدس ورؤية الحقائق والمتغيرات على الأرض وهنا يقول: "لا يعقل أن يكون

---

[258] مقابلة بتاريخ 18/6/2008 . رام الله.

[259] مقابلة بتاريخ 24/1/2009. رام الله.

مصير ونتاج الفعل الكفاحي لسنوات يساوي مزيداً من الاستيطان، وبناء جدار الفصل العنصري الذي التهم آلاف الدونمات من الأراضي الفلسطينية، وعودة الاحتلال المباشر ووضع الحواجز وتقسيم الوطن إلى كانتونات"، ويضيف:" إن الفيصل في تحديد أدوات الكفاح والمقاومة في كل مرحلة يرتبط برؤية ميزان القوى وفي حساب الربح والخسارة، وهذا يقودنا إلى قراءة نتائج العمليات التفجيرية التي حدثت إبان المواجهة في الانتفاضة، فعملية تفجيرية (كعملية نتانيا في 27 آذار 2002) كانت سبباً في اجتياح شامل وتدمير ممنهج لمؤسسات ومقرات السلطة الوطنية ولكل مكونات الشعب الفلسطيني، وتشريع عمليات القتل والاجتياح للأرض والإنسان الفلسطيني وإعادة الاحتلال العسكري لأراضي السلطة الوطنية، هي بالتأكيد لا تخدم الأهداف النضالية للشعب الفلسطيني"، لذا يؤكد أبو عزيز على ضرورة الحرص على اختيار أساليب الكفاح التي تتناسب وكل مرحلة، وهذا يستدعي وجود أجندة وطنية وليست فئوية، فالتجربة أثبتت بأن مصالح هذا التنظيم أو ذاك في مرحلة معينة هي التي تقرر شكل وأدوات الكفاح بغض النظر عن النتائج والانعكاسات على الصعيد الوطني، وعليه فإن وحدة الأداة الكفاحية والشراكة الوطنية هي شرط من شروط الانتصار".[260]

أما ناصر أبو خضير أستاذ العلوم السياسيه في جامعة أبو ديس، فيرى أن العمليات التفجيرية حققت آثارا ايجابية على الأقل في مراحلها الأولى، حيث أثرت سلبا على مقومات المجتمع الاسرائيلي عملاً بمبدأ الحرب النفسية التي هي جزء أساسي في أدوات الحرب وصولا إلى حاله من توازن الرعب، ويرى أنها لعبت دورا ايجابيا من زاوية هامه تتعلق بكونها جاءت تعبيرا واضحا عن أعلى وأسمى درجات الاستعداد للتضحية من قبل شعبنا، إلاّ أنه في مراحل لاحقه

[260] مقابلة بتاريخ 22/9/2008، رام الله.

أصاب هذا الجانب خللٌ رئيسيٌ اثر سلبا على الانتفاضة والوضع الفلسطيني عموما وعلى النتائج المتوخّاه، الخلل الأول تمثّل بتركيز معظم فصائل المقاومه على هذا الجانب النضالي وإغفال الجوانب النضالية الأخرى، خاصة المقاومه الشعبيه المتعددة الأوجه؛ لتشكل في النهاية مساراً وحيدا لوجود أو عدم وجود مقاومه، مما سهّل على الاحتلال وعلى أجهزته الامنيه تحشيد واستنفار وتركيز كامل إمكانياته وقواه العسكرية لملاحقة وحصار هذا الشكل من المقاومه، وهذا كان أحد أسباب تراجعها في الآونة الاخيره، أما الخلل الثاني فتمثّل في شكل وأسلوب تنفيذ هذا الجانب، وتحديداً فيما يتعلق بلجوء بعض القوى في مرحله لاحقه إلى استخدام الأطفال في تنفيذ العمليات، وهو ما أعطى سلاحاً معنويا وسياسيا قويا لتشويه المقاومة والهجوم عليها إعلاميا. ويضيف أبو خضير قائلا: قد يكون مسموحا أن يتغلب شكل محدد من المقاومة على الأشكال الأخرى، ولكن من غير المسموح أن ينحصر النضال وتتمحور المقاومه حول شكل واحد لأنه حتما سيؤثر سلبا على الجوانب الأخرى، مما يضعف من الحالة التعبوية العامة للجماهير ويفقد القيادة القدرة على الحراك.[261]

فيما يرى حسام خضر القيادي في حركة فتح، أن العمليات التفجيرية كانت سلاحاً ذو حدين، فهي بقدر ما خدمت قضية النضال الفلسطيني أضرّت بقضيتنا الوطنية، فالارتجال والتسابق في تنفيذها أفقدها عنصر الرّدع الذي يمكن استخدامه عند الضرورة، فهي وإن أظهرت مدى الاستعداد الشعبي والوطني للتضحية والفداء، فإنها أكّدت قدرة شعبنا على إبداع أساليب نضالية عظيمة خلاّقة، قادرة على ضرب العدو في عمقه الآمن وزرع الرعب في أوساط مجتمعه مما دفع بالعديد منهم للهجرة، ولكن بالمقابل فقد عملت على توحيد المجتمع الإسرائيلي خلف قيادة

[261] مقابلة بتاريخ 30/10/2008، القدس

متطرفة، ممّا أضعف حركات السلام ورفع وتيرة القتل، كان بالإمكان الاستعاضة عن هذه العمليات بأخرى ضد جنود الاحتلال والمستوطنين، مما كان سيحمّل الاحتلال أثمانا باهظة ويخلخل وحدته الداخلية، ويطرح مسألة جدوى استمرار تواجد الاحتلال على الأراضي المحتلة عام 1967.[262]

في المقابل يرى خالد مشعل مدير المكتب السياسي لحركة حماس، أن العمليات التفجيرية أثرت على الأمن والاقتصاد وعلى كل مستويات المجتمع الإسرائيلي، ومن خلال هذه التأثيرات التي تم رصدها، ازدياد نسبة البطالة إلى 14% وارتفاع معدل الذين يفكرون بالهجرة إلى 40% حسب الاستطلاعات.[263]محمود الزهار القيادي في حماس يرى أن نجاعة هذه العمليات تكمن في ضرب واحدة من أهم ثلاث أسس للكيان الإسرائيلي: الأمن القومي، أمن الاحتلال والأمن الفردي.

فبرنامج المقاومة نجح إلى حد ما في تهديد الكيان الصهيوني في الأمن الفردي للمواطن، وإلى تدمير الواقع الاقتصادي والاجتماعي والمعنوي للاسرائيلين، فأصبح 50% من المواطنين لايرتادون المجمعات الاستهلاكية، وتقلصت نسبة القادمين من الخارج إلى أقصى درجة منذ قيام دولة الكيان، مضيفا أن القضية ليست في حجم الضربات المتبادلة ولكن في حجم تأثيرها.[264]

وفي السياق نفسه فإن محمد نزّال عضو المكتب السياسي لحركة حماس، يرى أنه بالإضافة إلى إيجابيات العمليات المتمثلة بقدرتها على ضرب الإقتصاد والأمن الإسرائيليين، فقد عملت على تعويض النقص التسلحي أمام الشعب الفلسطيني، الذي لا يملك خيارات كثيرة أمام الترسانة العسكرية الضخمة التي يتمتع بها الاحتلال غير سلاح العمليات التفجيرية، فهو السلاح الأكثر

---

[262] مقابلة بتاريخ 20/12/2008،القدس.

[263] مشعل، خالد. "الظاهرة الاستشهادية، برنامج حوار مفتوح ، 20/6/2002. الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net

[264] http://islamonline.net/arabic/news/2001-08/01/article7.shtml

فاعلية والقادر على إحداث أكبر قدر من الخسائر في صفوف الاحتلال،[265] ويرى نزال أن الانسحاب الإسرائيلي من غزة يمثل ثمرة سياسية للمقاومة، وبداية لاندحار المشروع الصهيوني ويدل على عمق الأزمة التي يعيشها، وأن جدار الفصل العنصري استطاع تعرية الاحتلال سياسياً وأخلاقياً والكشف عن حقيقته المخزية، وضرب مصداقية الشعارات التي قام عليها الاحتلال والتي تستند إلى الديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها من الشعارات.[266]

لا يكفي أن تكون محقاً بل يجب أن تكون حكيماً، والحكمة تقتضي تقييم مستمر لإيجابيات وسلبيات الأدوات النضالية، والأخذ بعين الاعتبار كافة التحولات والمتغيرات على الساحة الدولية وهذا ما تجاهلته المقاومة الفلسطينية، مما أسهم في عزلها وتشديد الخناق عليها ووصمها بالإرهاب ثم إدراج بعض فصائلها على قائمة المنظمات الإرهابية.

ليس المقصود هنا وجود خلاف أو جدال على عدالة وشرعية وأخلاقية المقاومة، فمقاومة الاحتلال حق مشروع لكل الشعوب الخاضعة له، إلا أنه ليس حقاً مطلقاً، فلا بد من معرفة كيفية استخدام هذا الحق في خدمة هدف إزالة الاحتلال، وقد أثبتت تجارب حركات التحرر أنّه وحتى تؤتي المقاومة بثمارها يجب أن تخضع لظروف الزمان والمكان وانتقاء أشكال المقاومة والهدف بعناية، وأن تخضع لمعايير محددة أهمها: أن تركز على الاحتلال وترتبط بالهدف السياسي الواضح والمعلن وتراعي موازين القوى وقدرة الشعب على التحمل، وتساهم في تأجيج التناقضات بين المحتلين وتكسب تعاطف المجتمع الدولي، وأيضاً أن تمارس الكفاح بوسائل مشروعة

---

[265] نزال،محمد. برنامج الاتجاه المعاكس، قناة الجزيرة الفضائية، 20/8/2002. الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net.

[266]

وأخلاقية تتناسب مع القضية النبيلة التي يجري التضحية من أجلها، وذلك لإظهار العدو على حقيقته كدولة استعمارية عنصرية تمارس القوة للإبقاء على الاحتلال.[267]

وهذا ما افتقدت إليه المقاومة الفلسطينية في انتفاضة الأقصى ولا زالت، فقد عانت من التّشتت والتناقضات في تصريحاتها وبرامجها النضالية، فلكل فصيل برنامجه وأجندته الخاصة الذي حاول إثبات ذاته من خلالها، دون التطلع إلى حجم الضرر الذي يحيق بالقضية والمجتمع الفلسطيني الذي تم تحييده وتهميشه من أي فعاليات شعبية، إذ أدت العمليات إلى تحميله أكثر مما يحتمل في مواجهة غير مدروسة ومحسوبة النتائج، مما أدى إلى خلق واقع معاكس، وبدلاً من أن تكون العمليات التفجيرية قوة رادعة لإسرائيل ساهمت في زيادة عمليات القتل والتدمير، وبدلاً من أن تمنح الفلسطينيين تعاطفاً دولياً، ساهمت في عزلهم والتشكيك في عدالة قضيتهم وشرعية مقاومتهم وتمت محاصرتهم سياسياً واقتصادياً، وأوجدت وقائع جديدة على الأرض لم تكن إسرائيل لتجرؤ على القيام بها قبل انتفاضة الأقصى، مثل جدار الفصل العنصري، والانسحاب أحادي الجانب، وعزل ومحاصرة مدينة القدس.

من هنا يتضح أن تداعيات العمليات التفجيرية وانعكاساتها السلبية على الشعب الفلسطيني فاقت إيجابياتها بعشرات المرات، فمنذ انطلاق انتفاضة الأقصى وتغليبٍ الطابع العسكري على المقاومة الفلسطينية، كان هناك ثمة فجوة كبيرة بين ما دأبت الفصائل الفلسطينية على طرحه من شعارات وبين إمكانياتها، حيث فاقت ردود الفعل الإسرائيلية وحجم العدوان قدرة المقاومة والشعب الفلسطيني على التحمل، سواء على صعيد الخسائر البشرية أو الاقتصادية أو السياسية أو

---

[267] كيالي، ماجد. "العمليات التفجيرية إلى متى وإلى أين؟". 3/3/2005 الموقع الإلكتروني : http://.old.amin.org/views/majed-kyali/2005/mar3.html

المعنوية، ولم يكن هناك تناسب في حجم المعاناة والتضحيات الفلسطينية وبين الإنجازات، حتى أن المرء يكاد يجزم بعد ثماني سنوات من التضحيات في ظل الانتفاضة، أن إنجازات المقاومة العسكرية تكاد تكون معدومة إلا من سفك الدم الفلسطيني، ليس فقط على أيدي الاحتلال بل بأيدي فلسطينية.

إن نظرة سريعة على ما آلت إليه الأمور على الساحة الفلسطينية من انقسام جغرافي وسياسي وتناحر فصائلي على السيادة والسلطة الوهمية، في ظل سيطرة إسرائيلية كاملة على مجريات الأمور، توضح أن الشعب والقضية الفلسطينية أصبحا يسيران في نفق مظلم بحكم المزاجية والفوضوية في إدارة العمل الفلسطيني، وتغليب المصالح الحزبية الضيقة على المصالح الوطنية، في ظل وجود قيادة غير قادرة على أن تعي الظروف الاستثنائية والمعقدة التي تمر بها القضية الفلسطينية.

لذا يمكن القول أن مشكلة المقاومة كانت في أنها لم تقم بدراسة حقيقية للواقع المعقد، والمتغيرات على الساحة الدولية، والبناء على الإمكانيات والقياس على الإنجازات، أي الجدوى من المقاومة عموماً والعمليات التفجيرية خصوصاً، بل أسست نفسها على الشعارات وشحذ العواطف وتقديس التضحيات وعدم المساءلة ونبذ العقلية النقدية وتغييب الطابع المؤسسي والديمقراطي في إدارة بناها وعلاقاتها الداخلية، فالتجربة الفلسطينية في المقاومة لم تكتسب ملامح حصينة ولم تجر أي عملية تأْصيل لها، وإنها خضعت غالباً لأغراض الدعاية الإعلامية والمنافسات الفصائلية، وجرت المبالغة بها وبتأثيراتها على إسرائيل.[268]

---

[268] كيالي، ماجد. "تجربة الكفاح بين بريق الشعارات وواقع الإحصائيات". 30 كانون الثاني 2008 الموقع الإلكتروني: http://www.amian.org/look/amian/article

الفصل الرابع.

قراءة تحليلية لواقع العمليات التفجيرية.

- تحليل جداول العمليات التفجيرية منذ العام 1993-2008.
- أسباب تراجع العمليات التفجيرية.
- أثر العمليات التفجيرية على المسار السياسي التفاوضي.

قراءة تحليلية لواقع العمليات التفجيرية منذ العام 1993-2008

يتناول هذا المبحث إحصاءً لعدد العمليات التفجيرية وتحليلاً لها منذ العام 1993 وحتى 2008، حيث عملت الباحثة على إعداد قوائم بتلك العمليات تضمنت تاريخ العملية وأسماء وأعمار وأماكن سكن منفذيها، والأماكن المستهدفة، والجهات التي تبنتها، والخسائر التي أحدثتها في صفوف الاحتلال.

وقد قامت الباحثة بتوزيع العمليات التفجيرية على مرحلتين، حيث اشتملت المرحلة الأولى على العمليات التي نفذت منذ العام 1993 وحتى العام 1999 في ظل عملية السلام، وتم جمعها في جدول واحد، أما المرحلة الثانية فهي الممتدة منذ العام 2000 وحتى 2008، حيث قامت الباحثة بجمع عمليات كل عام من الأعوام الثمانية في جدول خاص ليسهل تحليلها.

ومن الجدير بالذكر أن الجداول التي تم إعدادها تناولت العمليات التفجيرية بالأحزمة الناسفة، وتلك التي تنفّذ بواسطة حقائب مليئة بالمتفجرات يقوم الاستشهادي بحملها وتفجيرها في أماكن تواجد الاحتلال، ولم تتناول عمليات التفجير عن بُعْد بواسطة السيارات المفخخة والعبوات الناسفة، أو تلك التي تضمنت عمليات اقتحام واشتباك لمواقع عسكرية أو اقتحام لمستوطنات الاحتلال، ذلك أن احتمالية النجاة في مثل هذه العمليات تكون واردة، إما باعتقال أو إصابة المقاوم، وهي بهذا تختلف عن العمليات التفجيرية بالأحزمة الناسفة والتي تكون فيها احتمالية النجاة معدومة، لأن نجاحها يتوقف على تفجير الاستشهادي لنفسه أولاً كشرط لإحداث أي نوع من الخسائر في صفوف الاحتلال، وهذا لا ينفي أنّ التّضحية بالنّفس تكون واردة في الحالتين؛ لأن كل من يقوم بها يكون مقبلاً على الموت بكامل وعيه وإرادته.

وقد حاولت الباحثة الحصول على معلومات دقيقة وتقديمها بحياد وموضوعية، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي الإشارة إلى أن بعض العمليات قد شابها نوع من التضارب، خاصة فيما يتعلق بعدد القتلى والجرحى في صفوف الاحتلال جرّاء تلك العمليات والجهة المتبنية لها، لذا تم اعتماد المعلومات التي تناقلها أكثر من مصدر، وتكررت عبر الإنترنت ومراكز التوثيق والمعلومات، وتنوّه الباحثة إلى أن هناك بعض العمليات التي تعذّر ذكر تفاصيل كاملة حولها لنقص في المصادر التي تم استقاء المعلومات منها.

من خلال الجداول التي تم خلالها رصد أهم وأبرز العمليات التفجيرية منذ العام 1993 وحتى العام 2008، تم التوصل إلى ما يلي:

– أظهر الجدول رقم (1) أنه منذ توقيع اتفاقية أوسلو للسلام عام (1993 – 1999) تم تنفيذ قرابة 19 عملية، أسفرت عن 178 قتيلاً إسرائيلياً كان أعنفها عام 1994 رداً على مذبحة الحرم الإبراهيمي من خلال أربع عمليات، تبّنت حماس ثلاثاً منها وواحدة تبنتها حركة الجهاد الإسلامي. حيث أسفرت هذه العمليات عن 40 قتيلاً إسرائيلياً من مجمل أعداد القتلى الإسرائيليين في تلك الفترة، وقرابة 127 جريحاً، وكان أعنف هذه العمليات تلك التي قام بتنفيذها صالح عبد الرحيم صوي في تل أبيب والتي أسفرت عن 23 قتيلاً و 47 جريحاً. وقد استمرت وتيرة العمليات بالارتفاع في العام 1995 حيث سقط 47 قتيلاً إسرائيلياً، وكانت العملية المزدوجة التي قام بتنفيذها صلاح عبد الحميد وأنور سكر في تل أبيب من أعنف العمليات في تلك السنة، حيث أسفرت عن مقتل 22 إسرائيلياً و 64 جريحاً. أما العام 1996 فقد شهد تصاعداً في موجة العمليات التي جاءت رداً على اغتيال الشّهيد يحيى عيّاش، من خلال أربع عمليات كان أعنفها

عملية مجدي أبو وردة في القدس والتي أسفرت عن 24 قتيلاً بينهم 14 جندياً إسرائيلياً و 50 جريحاً، وكانت العمليات الأربعة قد حصدت 59 قتيلاً.

من الملاحظ اقتصار العمليات طوال الفترة الممتدة من العام (1993 – 1999)، على حركات المقاومة الإسلامية من خلال 15 عملية تبنتها حركة حماس و 4 عمليات تبنتها حركة الجهاد الإسلامي، وقد غابت الجبهتان الشعبية والديمقراطية وحركة فتح عن مسرح العمليات، تأكيداً على تمسكهم بخيار التسوية السلمية، كذلك تبيّن أنه من أصل 19 عملية تفجيرية نفذت 12 عملية في كل من القدس وتل أبيب، وتوزعت باقي العمليات على كل من عسقلان والعفولة وبيسان وغزة ورام الله.

في حين يوضح الجدول رقم (3) أن العام 2001 شَهِد 35 عملية تفجيرية أسفرت عن مقتل 137 إسرائيلياً، وأن تلك العمليات بقيت حصراً على حركتي حماس والجهاد الإسلامي، نُفِّذت معظمها في العمق الإسرائيلي وبخاصة في كل من تل أبيب والقدس ونتانيا، وتراوحت أعمار منفذي العمليات ما بين 18 و 28 عاماً، باستثناء محمد شاكر حبيشة (48) عاماً، والذي مثّل أول انضمام لفلسطينيي الأراضي المحتلة عام 1948 إلى خط العمليات التفجيرية، أما أعنف العمليات في العام 2001 فقد قام بتنفيذها عز الدين المصري في القدس الغربية حيث أسفرت عن مقتل 19 إسرائيلياً و 180 جريحاً، تليها العمليتان اللتان قام بتنفيذهما كل من سعيد الحوتري في تل أبيب والتي أسفرت عن 18 قتيلاً و 100 جريح إسرائيلي، وماهر حبيشة في حيفا وأسفرت عن 18 قتيلاً و 180 جريحاً، وقد مثّل الشمال الفلسطيني أعلى نسبة من منفذي العمليات في العام 2001 بواقع 21 عملية من أصل 35 توزعت على باقي مناطق الضفة الغربية.

– أما العام 2002 فقد كان الأعنف من حيث عدد العمليات التفجيرية وحجم الخسائر البشرية في صفوف الاحتلال الإسرائيلي، ويعود ذلك في جزء منه إلى دخول كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح على خط العمليات التفجيرية، فلم تعد تلك العمليات حكراً على حركتي حماس والجهاد الإسلامي، ولم يعد نشاط كتائب شهداء الأقصى مقصوراً على الأهداف العسكرية للجنود والمستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة، بل تعداها ليشمل المناطق المحتلة عام 1948 التي بقيت ولفترة طويلة حكراً على حركتي حماس والجهاد الإسلامي. فقد شهد هذا العام كما يوضح الجدول رقم (4) مصرع حوالي 297 إسرائيلياً جرّاء تنفيذ 62 عملية تفجيرية كان أعنفها في شهر آذار عام 2002 بواقع 15 عملية، وكانت العملية التي قام بتنفيذها عبد الباسط عودة في مدينة نتانيا في السابع والعشرين من شهر آذار عام 2002 من أكبر العمليات التفجيرية من حيث عدد القتلى، حيث أوقعت 30 قتيلاً إسرائيلياً وقرابة 120 جريحاً، في حين حصدت عملية حمزة سمودي في 5/6/2002 أكبر عدد من القتلى في صفوف الجنود الإسرائيليين بعد أن قام بتفجير نفسه في حافلة للجنود، مما أدى إلى مقتل 23 جندياً إسرائيلياً وجرح 50 آخرين، كذلك سجل العام 2002 تاريخ أصغر استشهادي فلسطيني وهو (عيسى عبد ربه) البالغ من العمر 16 عاماً، حيث أسفرت عمليته في ريشون ليتسيون عن مقتل 3 إسرائيليين وجرح قرابة 40، كما شهد هذا العام تاريخ أول دخول للمرأة الفلسطينية على خط العمليات التفجيرية منذ توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993، بعد أن قامت أربع نساء فلسطينيات بتنفيذ أربع عمليات تفجيرية أعلنت كتائب شهداء الأقصى مسؤوليتها عن جميعها، وسجلت وفاء إدريس في 28/1/2002 أول عملية تفجيرية

نسائية، في حين سجلت آيات الأخرس البالغة من العمر 16 عاماً في 29/3/2002 أصغر استشهادية فلسطينية على الإطلاق.

كما ويشير الجدول رقم (4) أن معظم العمليات التفجيرية في العام 2002 نفذت في مدينتي القدس وتل أبيب، بواقع 17 عملية في القدس و 15 عملية في تل أبيب، أي 32 عملية من أصل 62 عملية من العام 2002، و توزّعت باقي العمليات على كل من حيفا والخضيرة ونتانيا وأم الفحم والعفولة، وشهدت مدينة غزة خمس عمليات أسفرت عن قتيلين إسرائيليين وعدد من الجرحى، وبقي الشمال الفلسطيني محافظاً على أعلى نسبة من منفذي العمليات بواقع 31 عملية.

– شهد العام 2003 انخفاضاً في عدد العمليات التفجيرية مقارنة بالعامين السابقين، حيث بلغ مجمل العمليات في هذا العام 26 عملية أسفرت عن مقتل 149 إسرائيلياً، كان أبرزها من حيث الخسائر البشرية في صفوف الاحتلال العملية المزدوجة التي تبنتها كتائب شهداء الأقصى وقام بتنفيذها كل من براق خلفه وسامر النوري في تل أبيب في 5/1/2003، والتي أوقعت 23 قتيلاً إسرائيلياً وقرابة 100 جريح، كذلك العملية التي قام بتنفيذها رائد مسك في القدس بتاريخ 19/8/2003 والتي أسفرت عن 23 قتيلاً وقرابة 150 جريحاً.

وقد مثّل العام 2003 أول دخول للمرأة الفلسطينية التابعة للحركات الإسلامية على خط العمليات التفجيرية، بعد تبني حركة الجهاد الإسلامي للعمليتين التفجيريتين التي قامت بتنفيذهما كل من هبة دراغمة وهنادي جرادات، وقد مثّل ذلك تحولاً في فكر حركات المقاومة الإسلامية التي كانت ترفض في السابق تنفيذ المرأة لهذا النوع من العمليات، وتجدر الإشارة هنا إلى أن

العملية التي نفذتها هنادي جرادات والتي أوقعت 21 قتيلاً و 60 جريحاً، كانت الأقوى والأشد بين العمليات التي نفذت على أيدي إستشهاديات فلسطينيات.

وحول أكثر الأماكن استهدافاً بالعمليات في العام 2003، يوضح الجدول رقم (5) أن مدينة تل أبيب حصلت على النصيب الأكبر من العمليات بواقع 9 عمليات، في حين جاءت مدينة القدس وغزة في المحطة الثانية بواقع 4 عمليات في كل منهما، وتوزعت باقي العمليات على كل من حيفا ونتانيا والعفولة وبيسان وكفار سابا بواقع عملية أو اثنتين لكل منها، وبقي الشمال محافظاً على أعلى نسبة من منفذي العمليات كما في العامين السابقين.

– في العام 2004 سجلت العمليات التفجيرية انخفاضاً آخراً في عددها وحجم الخسائر في صفوف الاحتلال، وبحسب الجدول رقم (6) فقد تم تنفيذ 16 عملية تفجيرية أسفرت عن مقتل 57 إسرائيلياً تقريباً، كان أعنفها العملية المزدوجة التي قام بتنفيذها كل من أحمد القواسمي ونسيم الجعبري في بئر السبع والتي أسفرت عن 17 قتيلاً و 100 جريح إسرائيلي.

وشهد العام 2004 إقبال أول امرأة فلسطينية تابعة لحركة حماس على تنفيذ عملية استشهادية، بعد أن قامت ريم الرياشي بتفجير نفسها في 14/1/2004 على معبر إيريز في غزة مما أدى إلى مقتل 4 جنود وإصابة 12 آخرين بجروح.

وقد سجلت مدينة غزة أعلى نسبة من العمليات بعد أن نفذت فيها 7 عمليات، في حين وقعت في القدس 4 عمليات، وتوزعت باقي العمليات على كل من بئر السبع وميناء أشدود وحواجز عسكرية في شمال الضفة الغربية.

واصلت العمليات انخفاضها في العام 2005 بشكل ملحوظ كما يوضّح الجدول رقم (7) حيث سُجِّل 6 عمليات تفجيرية أسفرت عن مقتل 17 إسرائيلياً، و تبنّت حركة الجهاد الإسلامي خمس منها في حين غابت حركة حماس عن مسرح العمليات فلم تقم بتنفيذ سوى عملية واحدة. وتوضح الجداول رقم (8، 9، 10) تراجع العمليات إلى أدنى مستوى لها منذ انتفاضة الأقصى في الأعوام الثلاثة الأخيرة، بواقع 4 عمليات عام 2006 وعملية واحدة عام 2007 وواحدة حتى حزيران عام 2008 أسفرت جميعها عن 22 قتيلاً إسرائيلياً.

وحول دور المرأة فقد أظهرت حضوراً فاعلاً في انتفاضة الأقصى، هذا ما يظهره الجدول رقم (11) حيث أشار إلى أن عدد العمليات التفجيرية التي نُفّذت على أيدي فلسطينيات بلغت اثنتي عشرة عملية، كان من بينها خمس عمليات تبنتها كتائب شهداء الأقصى، وثلاث لسرايا القدس وعمليتان تبنتهما كتائب عز الدين القسام، في حين كان هناك عمليتان لم تتبناهما أي جهة (مبادرات شخصية)، الأولى قامت بتنفيذها إلهام الدسوقي أثناء اقتحام منزلها في مخيم جنين خلال الاجتياحات عام 2002، والأخرى قامت بها سناء عبد الهادي أثناء اقتحام منزلها في غزة.

في المحصلة النهائية، ومن خلال ما تم الإشارة إليه عبر تحليل الجداول المتعلقة بالعمليات التفجيرية منذ العام 1993 وحتى العام 2008 تم الوصول إلى ما يلي:

بلغ عدد العمليات التفجيرية منذ انتفاضة الأقصى وحتى نهاية العام 2008 تاريخ تحليل هذه الجداول، حوالي 154 عملية تفجيرية، كان أعنفها في العام 2002 وتحديداً في شهر آذار، وإذا ما أضفنا العمليات التي نفذت ما بين الأعوام (1993–1999) والبالغة 19 عملية يصبح المجموع الكلي للعمليات حتى العام 2008 حوالي 173 عملية تقريباً. وقد تبين أن العمليات

التفجيرية أخذت بالانحسار في العامين 2003 و 2004 مقارنة بالعامين السابقين، وتراجعت بشكل ملحوظ في العام 2005 إلى 6 عمليات، ثم أصبحت شبه غائبة في الأعوام الثلاثة الأخيرة، بواقع 6 عمليات، وقد مثلت هذه الأعوام الأكثر أمناً بالنسبة لإسرائيل، والجدول أدناه يوضح مدى التراجع في العمليات خلال الأعوام الأربعة الأخيرة لانتفاضة الأقصى.**(انظر الرسم البياني أدناه)**

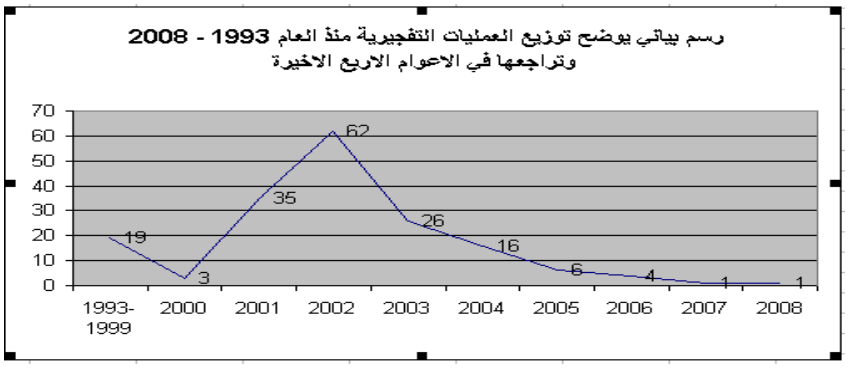

نشرت صحيفة القدس الفلسطينية بتاريخ 12/1/2008 دراسة أعدتها رئاسة الوزراء والمخابرات الإسرائيلية، تناولت معطيات إحصائية حول عدد القتلى من الإسرائيليين وعدد العمليات التفجيرية والعمليات المختلفة منذ العام 2001–2007، أشارت خلالها إلى أن عدد العمليات بلغ 151 عملية تفجيرية كان أعنفها في العام 2002، وبأن الأعوام الثلاثة الأخيرة شهدت انخفاضاً ملحوظاً في عدد العمليات وفي حجم الخسائر البشرية في صفوف الاحتلال، فلم يسجل عام 2007 سوى عملية واحدة،[269] والجدول أدناه يوضّح تفاصيل إحصائية حول ما نشرته الدراسة الإسرائيلية، وهذا يتفق مع ما أشارت إليه الباحثة في تحليلها السابق للجداول الذي تناولت فيه عدد العمليات وتراجعها.

[269] صحيفة القدس الفلسطينية. 12/1/2008، الأربعاء، ص:6.

جدول يوضّح معطيات إحصائية حول عدد العمليات لدراسة إسرائيلية.

التاريخ	عدد القتلى الإسرائيليين	العمليات التفجيرية	العمليات المختلفة
2001	201	35	5633
2002	426	60	5371
2003	199	26	4439
2004	109	15	4849
2005	50	8	3073
2006	24	6	2955
2007	13	1	2946
المجموع	1022	151	

وحول التوزيع الجغرافي للعمليات أفادت الجداول بأن المناطق المحتله عام 1948 كانت الأكثر استهدافاً بالعمليات التفجيرية تليها الضفة الغربية، وأن مدينتي القدس وتل أبيب شكلتا هدفاً مفضلاً لتلك العمليات، مما يشير إلى أن النسبة الأكبر من القتلى الإسرائيليين وقع في هاتين المدينتين، حيث تعرّضت تل أبيب لأكبر عدد من العمليات بواقع 33 عملية منذ اندلاع انتفاضة الأقصى وحتى عام 2008، وإذا ما أضفنا العمليات التي نفذت في المدينة نفسها منذ العام 1993 وحتى العام 2000 يصبح المجموع الكلي للعمليات في تل أبيب حوالي 40 عملية. أما من حيث توزيع العمليات التي نفذت على أيدي فصائل المقاومة الفلسطينية في نفس المدينة منذ عام 1993 وحتى عام 2008، فيتضح أن حركة حماس جاءت في المرتبة الأولى حيث قامت بتنفيذ 15 عملية، تليها الجهاد الإسلامي 13 عملية، ثم حركة فتح 8 عمليات، والجبهة الشعبية عمليتان، وبقيت عمليتان دون أن تتبناهما أية جهة.

وقد جاءت مدينة القدس في المرتبة الثانية من حيث عدد العمليات بعد مدينة تل أبيب، حيث سُجّل فيها 29 عملية تفجيرية منذ بداية الانتفاضة وحتى العام 2008، كانت كتائب شهداء

الأقصى الجناح العسكري لحركة فتح في المرتبة الأولى من حيث عدد العمليات التي نفذت فيها في تلك الفترة، حيث سجلت 14 عملية، فيما سجلت حماس 13 عملية والجهاد الإسلامي عمليتان. في حين لم يتم تسجيل أي عملية تفجيرية في القدس ما بين الأعوام 2005 وحتى 2008، وإذا ما أضفنا العمليات التي نفذت في مدينة القدس منذ العام 1993 وحتى اندلاع انتفاضة الأقصى، يصبح العدد الإجمالي للعمليات التفجيرية في القدس حتى العام 2008 حوالي 36 عملية، وجاءت حماس في الصدارة بواقع 19 عملية، في حين جاءت حركة فتح في المرتبة الثانية بواقع 14 عملية، أما الجهاد الإسلامي فقد سجل 3 عمليات.

في دراسة إحصائية صادرة عن المركز العربي للبحوث والدراسات قام بإعدادها إسماعيل الأشقر ومؤمن بسيسو، تبين أن الأراضي المحتلة عام 1948 قد استحوذت على النصيب الأكبر من عدد القتلى الإسرائيليين بواقع 383 قتيلاً أي بنسبة 38.3%، فيما حلّت الضفة الغربية في المرتبة الثانية بواقع 282 قتيلاً أي بنسبة 28.2%، وجاءت مدينه القدس في المرتبة الثالثة بواقع 203 قتيلاً وهو ما نسبته 20.3%، وجاء قطاع غزة في المرتبة الرابعة والأخيرة بواقع 133 قتيلاً أي بنسبة 13.2%، من إجمالي عدد القتلى الإسرائيليين.[270] فيما بيّنت دراسة إسرائيلية أخرى تناولت أماكن حدوث العمليات التفجيرية منذ أبريل 2000 حتى ديسمبر 2005، أن هناك 100 عملية تفجيرية وقعت داخل الأراضي المحتلة عام 1948 حصدت 507 من الإسرائيليين، بينما وقعت 46 عملية في الضفة الغربية وقطاع غزة.[271]

---

[270] الأشقر، اسماعيل ومؤمن بسيسو. "حصاد الانتفاضة الفلسطينية بلغة الأرقام". المركز العربي للبحوث والدراسات مارس 2005 الموقع الإلكتروني:. http://www.fm-m.com/2005/mar2005/story8.htm

[271] حصاد العمليات في خمس سنوات. الموقع الإلكتروني: http://www.ikhwanonline.com/article.asp?artid

ويرجع سبب استهداف مدينة القدس بهذا العدد الكبير من العمليات التفجيرية للمكانة الرمزية الخاصة التي تتمتع بها في نفوس وقلوب الفلسطينيين كعاصمة أبدية لدولتهم ومركز ديني هام، لذا سعت إسرائيل منذ البداية إلى عزلها عن محيطها وإعاقة الفلسطينيين من الوصول إليها فأحاطتها بالحواجز العسكرية، وعملت على تعزيز الاستيطان ومصادرة الأراضي وهدم البيوت وإقامة طرق التفافية بديلة، تمنع الفلسطينيين من المرور عبر القدس للوصول إلى المدن والقرى المحيطة بها، ونظراً لما تتمع به مدينه القدس من أهمية دينية وتاريخية وسياحية، فإن تنفيذ أية عملية تفجيرية فيها يكون له صدى وتأثير أكثر من أي مدينة أخرى حتى وإن لم توقع العملية أيّ إصابات، لذا فإن الحكومة الإسرائيلية تحاول باستمرار الإبقاء عليها في حالة هدوء واستقرار بعيدة عن أعمال الشغب والعنف، خاصة وأن النسبة الأكبر من اليهود بعد مدينة تل أبيب يقطنون فيها. وهذا ما يفسر حالة الاستنفار والتواجد العسكري المكثف والدائم فيها. وقد كان لقربها من التجمعات السكّانية الفلسطينية دوراً في سهولة وصول منفذي العمليات وارتفاع عددها، كان ذلك قبل إقامة جدار الفصل العنصري الذي حدّ وأحبط الكثير من العمليات التي كان من المُفترض تنفيذها داخل القدس، يوضح ذلك حقيقة عدم تنفيذ أية عملية تفجيرية داخلها طيلة السنوات الأربعة الأخيرة من عمر انتفاضة الأقصى، أي منذ العام 2005 حتى العام 2008.

أمّا مدينة تل أبيب فيعود السبب في استهدافها على اعتبار أنها من أكبر المدن الإسرائيلية من حيث التجمع السكاني، ولاحتوائها على الكثير من الأهداف وأماكن الترفيه الأكثر استقطاباً بالنسبة لمنفذي العمليات، حيث كانت الأسواق والمطاعم والحافلات وأماكن الترفيه المختلفة من الأهداف المفضلة لتنفيذ عمليات تفجيرية لازدحامها بالإسرائيليين.

وهذا ما يفسر حقيقة أنّ معظم القتلى جراء العمليات التفجيرية هم من المدنيين، فقد أشارت الإحصائيات الصادرة عن الجيش الإسرائيلي أن الخسائر في صفوف المدنيين أكبر بضعفين من الخسائر العسكرية، حيث قتل في الفترة الواقعة بين شهر أيلول 2000 وآب 2002 حوالي 614 إسرائيلياً كان بينهم 428 مدنياً مقابل 186 عسكرياً، وبلغ عدد الجرحى من المدنيين 3203 مقابل 1311 شرطياً أو جندياً، أما عدد القتلى والجرحى جراء العمليات الاستشهادية خلال نفس الفترة المذكورة فقد بلغ 251 قتيلاً من بينهم 227 من المدنيين و 24 من الجنود.[272]

ترى الباحثه أن السبب في استهداف المقاومة للمدنيين يعود في جزء منه إلى وجود قناعه لدى منفذي العمليات بأن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري، وأنّ بث الرعب وإشاعة جوّ من عدم الاستقرار وعدم الشعور بالأمن والأمان في أوساط المجتمع الإسرائيلي سيدفع باتجاه الهجره، خاصةً في ظل إدراك المقاومة بأن العمليات في الأراضي المحتلة عام 1967، لن يكون لها نفس حجم الضرر من حيث الخسائر البشرية والاقتصادية والأمنية كما في المناطق المحتلة عام 1948، إضافة إلى أنّ المقاومة راهنت على استخدام المدنيين كورقة ضغط يمكن خلالها إجبار الحكومة الإسرائيلية على تغيير سياساتها العدوانية تجاه الفلسطينيين، عبر إيصال رسالة مفادها أن استهداف المدنيين الفلسطينيين يستدعي الرد بالمثل أي باستهداف المدنيين الإسرائيليين.

وحول الفئة العُمريّة لمنفذي العمليات، فنظرة سريعة إلى الجداول توضح أن النسبة الأكبر من الإستشهاديين كانوا من فئة الشباب ممن تراوحت أعمارهم ما بين **17- 25** عاماً، واستشهاديان فقط كانا في الأربعينيات من العمر هما محمد شاكر حبيشة 48 عاماً، وداوود علي

[272] قاروط، مصدر سبق ذكره، ص 123.

أبو صوي 43 عاماً، إضافة إلى سيّدة واحدة في الخمسينيّات من العمر، ويتّضح أن النّسبة الأكبر من منفذي العمليات هم من الضفة الغربية وخاصة من منطقة الشمال الفلسطيني ممـــن يقطنـــون المخيمات في كل من جنين وطولكرم ومخيم عسكر، ثم تأتي المدن الفلسطينية بيت لحم ونـــابلس والخليل، أما النسبة الأقل فكانت من غزة.

ويرى العميد سامح عبد المجيد[273] من المخابرات العامة، أنّ السبب في ارتفاع نسبة العمليات التفجيرية في المحافظات الشمالية، يعود إلى قربها من الخط الأخضر ومعرفة ســكّانها بالطبيعــة الجغرافية للمنطقة مما سهّل عليهم اختيار أهدافهم بإتقان، كذلك يرى بأن المحافظات الشمالية من أكثر المناطق تضرراً بسبب الاجتياحات المتكررة وما رافقها من عمليات اغتيال وتــدمير للبنـــى التحتية، وخير مثال على ذلك ما حدث في مخيم جنين من قتل وتدمير كامل للمخيم، هذه الظروف مجتمعة دفعت بعدد كبير من الشباب المقاوم للالتحاق بصفوف المقاومة والتطوع للاستشهاد.

وقد توصّل يوسف أبو راس في دراسته بعنوان"سمات ودوافع الاستشهاديين من وجهة نظر أسرهم" إلى أن الفئة العمرية ما بين **17– 24** عاماً مثّلت النسبة الأعلى من منفذي العمليات بنسبة 68,87%، تليها الفئة العمرية من **25– 30** عاماً بنسبة 28,33%، والفئة العمرية من **31** فأكثر مثلت 2,29% من عينة الدراسة، كما وأشارت الدراسة نفسها إلى أن 42,19% من منفذي العمليات هم من سكان المخيمات، وأنّ 39,88% من سكان المدن و 17,99% هم مـــن ســـكان القرى.[274]

---

[273] مقابلة بتاريخ 20/1/2009. رام الله.

[274] أبو راس، مصدر سبق ذكره، ص 158.

وفي دراسة قام بها كاتبان إسرائيليان هما شاؤول كمحي وشموئيل إيفن بعنوان "من هم انتحاريو الإرهاب الفلسطيني"، توصلا إلى أن 81% من منفذي العمليات التفجيرية الفلسطينية كانوا من فئة الشباب ممن تراوحت أعمارهم ما بين **17- 23** عاماً، وأن معظم الانتحاريين جاؤوا من الضفة الغربية بنسبة 84%، وأن ما نسبته 15% جاؤوا من غزة، و 93% من الانتحاريين من غير المتزوجين، و 7% فقط هم من المتزوجين.[275]دراسة أخرى قام بها روبرت بيب بعنوان (موت في سبيل النصر) استمرت عشرين عاماً منذ (1983-2003) جمع خلالها 315 عملية انتحارية من كل دول العالم، وقد كشفت الدّراسة أنّ معدل أعمار من يقومون بتنفيذ هذه العمليات تراوح ما بين **22-30** عاماً.[276] كما وأشار يعقوب بيري رئيس جهاز الشاباك أن معظم الاستشهاديين كانوا ممن تراوحت أعمارهم ما بين **18-24** عاماً، وكان هناك تمثيلٌ كبيرٌ من قطاع غزة وجنين وقلقيلية ورام الله.[277]

بناءً على ما تقدّم يمكن التأكيد على أنّ معظم منفذي العمليات هم من فئة الشباب، ومن وجهة نظر الباحثة فإن هذا لا ينطبق على المقاومة الفلسطينية فحسب، فتاريخ الحروب الوطنية يُشيرإلى أنّ معظم الثورات التحررية يبرز فيها الشباب كعنصر أساسي، حيث تكون الحماسة الوطنية والاستعداد للتضحية من أجل الوطن عالية، خاصة وأن معظمهم من غير المرتبطين أو المتزوجين ممن ليس لديهم التزامات أُسرية أي ليس لديهم زوجات أو أطفال. كذلك إن فئة الشباب عادةً ما تكون هي الفئة الأكثر استهدافاً من قبل الاحتلال سواء عبر الاغتيالات أو الاعتقالات،

---

[275] Kimhi Shaul and Shamuel Even. (2004). "Who are the Palestinian Suicide Terrorists? Jaffe Centre for Strategic Studies, Israel. http://www.tau.ac.il/jcss/sa/v6n2p5kim.html.

[276] بيب، روبرت.(2005). "موت في سبيل النصر، المنطق الاستراتيجي للإرهاب الانتحاري". الموقع الإلكتروني: http://www.alhaqaeq.net.

[277] بيري، مصدر سبق ذكره، ص 196.

كما أن النسبة الأكبر من ممارسات الاحتلال القهريه من إهانات وإذلال عبر الحواجز غالباً ما تكون من نصيب نفس الفئة الشبابية، إن هذا الواقع المرير الذي يعيشه الشباب الفلسطيني يجعل الحياة تتساوى مع الموت مما يخلق لديهم دافعاً قوياً لتنفيذ عمليات تفجيريه.

أما من وجهة نظر الدكتور محمد بريغيث فيرى أن الفئة العُمْرية الأكثر ميلا للاستشهاد هي من المراهقين، حيث تتميز هذه المرحلة النمائيه التطوريه بتغيرات وتقلبات متسارعه، تغلب عليها العواطف الإنفعاليه والشعور بنشوة الظهور وإبراز الذات بشتى الطرق، لا سيما حينما تجد من يتعامل معها بطريقه ايديولوجيه ضمن نهج غسيل الدماغ، الذي يركز لدى المسلم على الربط بين السمو متمثلاً بضمان الجنّة والاستشهاد كطريقه للوصول إلى الجنّة هذا من جهة، أما من جهه أخرى فنحن نعلم أن المجتمع الفلسطيني مجتمع فتيّ شاب، حيث نسبة الشباب تصل إلى 60%، وفي المقابل هذا الجيل الفتيّ لا يحصل على المقومات الأساسية مثل حقه في التوظيف ورسم مستقبله بما يضمن له حياة كريمَه، وبالتالي يترتب على ذلك مشاعر الإحباط والاغتراب والشعور بالدّونية؛ مما يشكّل دافعاً إذا ما استُغل يصبح الشاب بين خيارين إما البقاء على هذا الحال (ضيق أفق، بطالة، عدم وضوح رؤية مستقبليه....)، وإما أن يقدم نفسه ضحيةً لتحرير فلسطين من المغتصب ويكون سبباً في إسعاد غيره، وبالتالي مضمون له الجنة فهنا يختار من كلا الخيارين الصعبين الخيار الثاني.[278]

أما عن الانتماء السياسي لمنفذي العمليات، فرغم قناعة الباحثة المطلقه بأن لا فـــرق بيـــن المقاومين الفلسطينيين الذين يُقدمون على تنفيذ هذه العمليات وبين انتماءاتهم الحزبية، لأن ذلك من

[278] بريغيث، محمد عمر. أخصائي نفسي اكلينيكي ، مقابلة بتاريخ 14\12\2008.

وجهة نظرها يؤدي إلى تحجيم عملهم البطولي الوطني وحصره بانتماءاتهم السياسية، وهم أعظم وأسمى من ذلك بكثير، فإقبالهم على المْوت بكامل وعيهم وإرادتهم يؤكد أن انتماءهم هو لفلسطين وطناً وشعباً بالدرجة الأولى، وعملياتهم الموجهة للاحتلال ورموزه هدفها تحرير فلسطين ودحر الاحتلال، هذا ما أكدته رسائلهم ووصاياهم التي تركوها وهي أكبر معبِّر عن صدق مشاعرهم وتوجهاتهم.

وتأتي الإشارة إلى الانتماءات السياسية للإطلاع على حجم انخراط كل فصيل من فصائل المقاومة في تنفيذ هذا الشكل من العمليات، والتي أظهرت الجداول أن النسبة الأعلى من منفذيها هم من المنتمين لحركة حماس بواقع 72 عملية تفجيرية، تليها حركة الجهاد الإسلامي بواقع 46 عملية، أي أنّ مجموع ما قامت به الحركات الإسلامية حوالي (118) عملية، في حين قامت حركة فتح بتنفيذ 36 عملية، والجبهة الشعبية 5عمليات. وقد أظهرت الجداول أن هناك سبع عمليات مشتركة تبناها أكثر من فصيل وسبع عمليات لم يقم بتبنيها أي من فصائل المقاومة، وبهذا يكون العدد الإجمالي للعمليات التفجيرية منذ العام 1993- 2008، كما توضح الجداول حوالي 173 عملية تفجيرية، والرسم البياني التالي يوضّح توزيع العمليات تبعاً للتوجهات السياسية:

جدول يوضح توزيع العمليات التفجيرية تبعاً للتوجهات السياسية لمنفذيها منذ العام 1993-2008

السنة	كتائب القسام	كتائب الأقصى	سرايا القدس	كتائب أبوعلي مصطفى	عمليات مشتركة	عمليات لم يتبناها أحد	المجموع

19	–	–	–	4	–	15	1993 -1999
35	–	–	–	11	1	23	2001
62	3	1	4	16	23	15	2002
26	–	1	1	7	7	10	2003
16	3	2	–	1	5	5	2004
6	–	1	–	4	–	1	2005
4	–	–	–	2	1	1	2006
1	–	1	–	–	–	–	2007
1	–	1	–	–	–	–	2008
173	6	7	5	46	37	72	المجموع

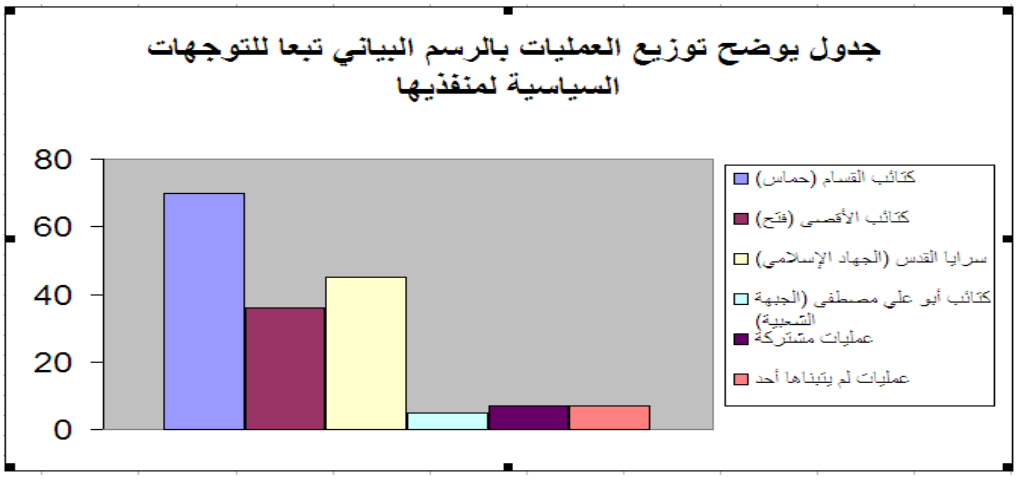

من الواضح أن هناك تقارباً بين ما توصّلت إليه الباحثة حول ارتفاع عدد العمليات التي نفذّت على أيدي المقاومة الإسلامية، وبين ما توّصل إليه أبو راس في دراسته والتي أشار خلالها إلى أن الإسلاميين (حماس والجهاد الإسلامي) مثّلوا النسبة الأعلى بتنفيذ العمليات بواقع 72,83% من عيّنة الدراسة، والفتحاويين 21,96 %، أما اليساريّون فقد مثّلوا ما نسبته 5,20% من عيّنة الدراسة.[279]

[279] أبو راس، مصدر سبق ذكره، ص 151

كما أشارت دراسة إسرائيلية تناولت ظاهرة العمليات التفجيرية منذ إبريل 2000 وحتى ديسمبر 2005، إلى أن حماس وراء تنفيذ 58 عملية أي ما نسبته 40%، والجهاد الإسلامي وراء تنفيذ 39 عملية أي ما نسبته 27%، وكانت فتح بأجنحتها العسكرية وراء تنفيذ 33 عملية أي ما نسبته 23%، في حين وقفت الجبهة الشعبية وراء تنفيذ 8 عمليات.[280]

من وجهة نظر الباحثة يعود تدنّي نسبة العمليات المنسوبة لكتائب شهداء الأقصى الجناح العسكري لحركة فتح مقارنة مع حركتيْ حماس والجهاد الإسلامي، إلى التزام حركة فتح منذ توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993 وحتى بداية العام 2002 بالعملية السياسية ولازالت، حيث كانت تلك العمليات حكراً على حركات المقاومة الإسلامية الرافضة لاتفاقية السلام والتي اتخذت من تلك العمليات نهجاً لإفشالها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وفي الوقت الذي اتخذت فيه حركتا حماس والجهاد الإسلامي من العمليات التفجيرية شكلاً نضالياً موحداً نُفّذت معظمها في المناطق المحتلة عام 1948، لاعتبارات أيديولوجية ترى بموجبها ضرورة عدم التفريق بين المناطق المحتلة عام 1967 والمناطق المحتلة عام 1948، على اعتبار أن جميعها أراضٍ فلسطينية خاضعة للاحتلال، قامت كتائب الأقصى بالتّنويع في أساليبها النضالية في الضفة الغربية وقطاع غزة، باستهدافها للمستوطنين وجنود الاحتلال عبر إطلاق النار والاشتباكات وعمليات التسلل ونصب الكمائن، ولم تلجأ إلى العمليات التفجيرية على الرغم من الإعلان عن تشكُّلها بعيد اغتيال حسين عبيات في 9/11/2000، إلا أن عملية اغتيال رائد الكرمي قائد كتائب شهداء الأقصى في طولكرم بتاريخ 14 كانون الثاني من العام 2002، كانت بمثابة الفاصل بين مرحلتين، حيث

[280] حصاد العمليات الاستشهادية في خمس سنوات. الموقع الإلكتروني: http://www.ikhwanonline.com

انخرطت كتائب شهداء الأقصى بتنفيذ عمليات تفجيرية في المناطق المحتلة عام 1948، والتي كانت سابقاً محل رفض واستنكار حركة فتح منذ توقيع اتفاقية أوسلو وحتى العام 2002.

أسباب تراجع وتيرة العمليات التفجيرية في السنوات الأخيرة.

شهدت العمليات التفجيرية مداً وجزراً، صعوداً وهبوطاً في انتفاضة الأقصى، فمن خلال نظره سريعة لجداول العمليات التفجيرية الفلسطينية يتبين أنها في الأعوام الأربعة الأخيرة شهدت تراجعاً ملحوظاً في عددها مقارنة بالأعوام السابقة، حيث نفّذ في الأعوام 2006، 2007، 2008 ست عمليات فقط، وبإضافة العمليات التفجيرية في العام 2005 يصبح المجموع الكلي للسنوات الأربعة الأخيرة من انتفاضة الأقصى حوالي اثنتي عشرة عملية تفجيرية أسفرت عن 22 قتيلاً إسرائيلياً، وقد كان هناك عدة أسباب أو عوامل ساعدت على انحسار أو تراجع ظاهرة العمليات أهمها:

1. فوز حماس في الانتخابات التشريعية وجنوحها لخط الهدنة:

المفارقة أن الأعوام الأربعة الأخيرة التي شهدت انخفاضاً ملموساً في عدد العمليات التفجيرية وعدد القتلى الإسرائيليين، شهدت بالمقابل صعوداً كبيراً لحركة المقاومة الإسلامية حماس إلى سدّة الحكم على أساس معارضتها للتّسوية والحل السلمي وتمسكها بالمقاومة المسلّحة القائمة على العمليات التفجيرية تحديداً، فعلى الرغم من رفض حركة حماس لكافة الجهود الوطنية والوساطات الإقليمية والدولية الداعية إلى التهدئة ووقف العمليات التفجيرية في السابق، اتجهت بعد وصولها إلى السلطة وفوزها بالانتخابات التشريعية في العام 2006 نحو التهدئة، وصرّحت أكثر من مرة عن استعدادها لوقف العمليات التفجبرية والعسكرية

مقابل هدنة طويلة الأمد مع الاحتلال، مما يؤكد أن حركة حماس كانت قد اتخذت من تلك العمليات ورقة ضغط على الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي على حد سواء، واستطاعت أن توصل الجانبين إلى قناعة مفادها عدم قدرتهم على المضي قدماً في العملية السياسية وتحقيق أي تقدم على الساحة الفلسطينية بمعزل عنها، وأنه لا يمكن تجاهلها كطرف قوي ومؤثر قادر على إنجاح وإفشال أي تسوية أو هدنة تعقد بين الطرفين، خاصة في ظل ما كانت تتمتع به من اتساع في القاعدة الشعبية جرّاء تزايد عدد المؤيدين والداعمين لبرنامجها السياسي القائم على المقاومة، الذي تزامن مع تزايد شراسة الاحتلال وتصعيد عدوانه في وقت عانت فيه السلطة الوطنية الفلسطينية من ضعف وشلل تام بفعل استهداف الاحتلال لبنيتها التحتية.

في هذا الإطار يقول اللواء "الحاج إسماعيل" في معرض إجابته عن سؤال حول سبب إصرار حركة حماس منذ العام 1993 وفي ظل انتفاضة الأقصى، على المضي قدماً بالعمليات التفجيرية رغم الإدانة الدوليه الواسعة لها، ورغم الوساطات والجهود المبذولة من قبل السلطة الوطنية لإقناعها بالعدول عن العمليات التفجيرية، على الأقل في الأراضي المحتلة عام 1948 فكانت إجابته: أنّ السبب في ذلك يعود إلى رغبة حركة حماس في إفشال اتفاق أوسلو وعملية التسوية السلمية، والقضاء على كافة الجهود المبذولة من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية الدّاعية إلى التهدئة والعودة إلى المسار السياسي والعملية السلمية؛ كخيار أول ضمن البرنامج السياسي لحركة فتح الطامحة إلى إقامة دولتين تتعايشان سلمياً جنباً إلى جنب، مضيفاً أنه بالنظر إلى العديد من العمليات التفجيرية التي قامت بها عناصر تابعة لحركة حماس، يلاحظ أنها تزامنت مع الإعلان عن هدنة أو عن تقدم في العملية السلمية أو حتى عن

لقاء مرتقب بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي من أجل تفعيل العملية السلمية. وحول أسباب تراجع العمليات التفجيرية في الأعوام الأربعة الأخيرة من انتفاضة الأقصى تحديداً، أشار الحاج اسماعيل إلى أن حركة حماس استطاعت بداية استقطاب الجمهور الفلسطيني من خلال عملياتها التي تزامنت مع عمليات الاغتيال والاجتياح والقصف الإسرائيلي، مما أدى إلى ارتفاع شعبيتها مقابل انخفاض شعبية فتح، وفي الوقت ذاته عملت على تنفير المجتمع الدولي من القضية الفلسطينية، إلاّ أن حركة حماس التي كان هدفها الأساسي الوصول إلى السلطة السياسية وفرض نظامها السياسي، اتجهت نحو التهدئة بعد فوزها بالانتخابات التشريعية وسيطرتها على قطاع غزة، وسعت جاهدة من أجل ذلك حيث أنه رغم عمليات القتل والقصف والاغتيال في غزة، لم تقم حماس بعمليات تفجيرية سوى إطلاق بعض الصواريخ التي لم يكن لها أي تأثير جدي يذكر.[281]

وقد أرجع طلال عوكل الكاتب الفلسطيني والمحلل السياسي السبب في تراجع فعل المقاومة، إلى الفوضى في وسائل المجابهة وغياب التنسيق بين القوى مما أضعف الرد، منوّهاً إلى ضرورة أن تقوم هذه القوى بترميم أوضاعها وإعادة ترتيب أوراقها لمواجهة الواقع الجديد."[282] في حين يرى د. محمود الزهار أن تراجع المقاومة يعود إلى عدم وجود توازن في الموقف الدولي مما يجري على الساحة، وعدم وجود موقف عربي مساند والذي مست فيه قضية هامة كالقدس، حيث كان رد الفعل العربي منعدما، كل ذلك يعني أن تتأثر أجواء المقاومة.[283]

---

[281] مقابلة بتاريخ 18/6/2008، رام الله

[282] http://www.islamonline.net/arabic/news/2001-08/article7.shtm

[283] المصدر السابق.

2. ظاهرة الفلتان الأمني:

يبدو أن الفكر الفصائلي والفئوي والعدوان المستمر على الشعب الفلسطيني من قبل الاحتلال، إضافة إلى الحصار السياسي والاقتصادي الذي فُرض على الفلسطينيين عربياً ودولياً في انتفاضة الأقصى، أفرز حالة من الاحتقان الداخلي والانقسام السياسي أدى إلى ظاهرة الاقتتال والتعصب الفصائلي والتخبط السياسي والوطني، نجم عنه انقسام جغرافي أضيف إلى الانقسام السياسي، حيث شهد الوضع الفلسطيني الداخلي منذ العام 2005 انقساماً داخلياً أدى إلى حدوث نوع من الحرب الأهلية الفلسطينية، بعد أن حاولت كل من حركتي حماس وفتح فرض وجودهما من خلال السيطرة على الأوضاع الداخلية في غزة، حتى وصل الأمر بالطرفين الاتجاه نحو الحسم العسكري، مما أدى إلى سقوط ضحايا من المدنيين الفلسطينيين بأيدٍ فلسطينية من الجانبين، ففي العام 2005 سقط حوالي (176) فلسطينياً، وفي العام 2006 (345) فلسطينياً أما العام 2007 فقد شهد مصرع أكثر من (500) فلسطينياً.[284]

وقد كان لفوز حركة حماس في الانتخابات دورٌ رئيسيٌ في تفاقم الأزمة الداخلية، فلم تعد السلطة الفلسطينية تساوي (حركة فتح)، حيث حماس ترأس الحكومة وحركة فتح ترأس السلطة (الرئاسة) وقسم كبير من المؤسسات المدنية يدين لحركة فتح. وبدأت حركة حماس منذ اللحظة الأولى من تسلّمها الحكومة في عزل موظفين تابعين لحركة فتح وتعيين آخرين بدلاً منهم يدينون لها، حتى الأجهزة الأمنية تم توسيعها من خلال إضافة (القوة التنفيذية) التي تتشكل من عناصر تابعة لحماس بلغ عددها حتى العام 2006 حوالي 5700 عنصراً.[285]

---

[284] كيالي، ماجد. "تجربة الكفاح المسلح بين بريق الشعارات وواقع الإحصائيات". الموقع الإلكتروني: http://www.amin.org/look/amin/article

[285] إرشيد، سامر عبد الحميد محمود.(2007). تأثير اتفاق أوسلو والانتفاضة الثانية على حركة فتح والسلطة الفلسطينية. رسالة ماجستير غير منشورة.بيرزيت، فلسطين، ص 147.

وقد أدى فوز حماس في الانتخابات التشريعية بأغلبية المقاعد، إلى وجود تناقضات حول البرامج السياسية لكل من حركة فتح ممثلة بالرئيس محمود عباس، الذي دعا منذ وصوله للسلطة إلى وقف عسكرة الانتفاضة ووقف كافة أشكال العمل المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي، سواء في مناطق الضفة الغربية أو قطاع غزة أو المناطق المحتلة عام 1948، وحركة حماس ممثلة بالحكومة المسيطرة على أغلبية المقاعد في المجلس التشريعي، والتي بقيت ترفع شعار المقاومة دون أن يكون لها وجود فعلي مؤثر على أرض الواقع، الأمر الذي انعكس سلباً على القضية الفلسطينية التي أُدخلت في متاهات ومخاطر بعد عملية الانقلاب السياسي والحسم العسكري الذي قامت به حركة حماس، مما أدى إلى انفصال غزة عن الضفة الغربية جغرافياً وسياسياً وبشرياً في ظل وجود حكومتين متصارعتين وفي ظل تناحر الفصائل الفلسطينية، وتحديداً حركتي حماس وفتح اللتين لا زالتا منهمكتين في نزاع دموي وإعلامي هدفه استقطاب الشارع الفلسطيني وفرض كل منهما رؤيته وأفكاره السياسية، فلم يعد هناك حديث عن مقاومة أو عمليات بل عن هدنة وفتح للمعابر وإزالة للحواجز وإطلاق لسراح بعض الأسرى، وما إلى ذلك من أمور لاتوازي ولا تقارن بحجم التضحيات الفلسطينية.

3. إنجاز مقاطع كبيرة من جدار الفصل العنصري:

كان لجدار الفصل دور كبير في الحد من العمليات التفجيرية؛ لتعذر وصول منفذيها إلى داخل المناطق المحتلة وبالتالي تراجع عدد القتلى الإسرائيليين، وقد نقل موقع "عرب 48" عن تقرير أعده جهاز الأمن العام الإسرائيلي "الشاباك" أن عدد العمليات الفلسطينية ضد إسرائيل

تراجع، حيث قتل في العام 2007 (13) إسرائيلياً مقابل 24 في العام 2006، و 50 في العام 2005، كما أشار التقرير إلى وقوع عملية تفجيرية واحدة فقط في العام 2007 قتل فيها 3 إسرائيليين بالمقارنة مع 6 عمليات في العام 2006، وأن العام 2002 شهد أعلى نسبة من العمليات بواقع 60 عملية.

وبحسب الشاباك الإسرائيلي فإن تراجع عدد العمليات لم ينجم عن تراجع المحفزات والدوافع الفلسطينية لتنفيذ عمليات تفجيرية، وإنما نتيجة لنجاح قوات الأمن الإسرائيلية في إحباط العديد من هذه العمليات، حيث أشار التقرير إلى إحباط 29 عملية تفجيرية في العام 2007 مقابل 37 عملية في العام 2006، كان ذلك نتيجة إقامة جدار الفصل العنصري وحرية العمل التي أتيحت للجيش الإسرائيلي في اعتقال المطلوبين حيث تم اعتقال 4000 فلسطيني خلال العام 2007.[286]

4. الاغتيالات السياسية:

طالت عمليات الاغتيال الإسرائيلية الواسعة العديد من كوادر وقيادات ونشطاء المقاومة السياسيين والعسكريين، ممن تتهمهم إسرائيل بدعم وتأييد العمليات التفجيرية وخصوصاً ممن ينتمون لحركة حماس، مثل د. عبد العزيز الرنتيسي والشيخ أحمد ياسين والقائد العسكري صلاح شحادة. وقد أشار د.غازي محمد رئيس تحرير صحيفة الرسالة الأسبوعية إلى فقدان القوى الفلسطينية الكثير من قادتها عبر سياسة الاغتيال قائلا:" إن العديد من الكوادر العسكرية في القوى المجاهدة تعرّضت للتصفية وجزء منها من العقول المدبرة والمخططة، وهذا أثّر على قدرة

[286] تقرير صادر عن جهاز الأمن العام الإسرائيلي "الشاباك". الموقع الإلكتروني: http://news.bdr130.net/news102.htmi

الفصائل على تنفيذ العمليات".[287] كذلك كان لحملة الاعتقالات الواسعة لنشطاء المقاومة وكوادرها وقادتها السياسيين والعسكريين الذين اتهمتهم إسرائيل بالضلوع في إعداد ودعم العمليات التفجيرية دوراً في تراجعها.

5. الإجراءات الأمنية المشددة:

تمثّلت بالحواجز العسكرية المقامة على مداخل ومخارج المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، والتي وصلت إلى حوالي (630) حاجزاً حتى العام 2008، كان لها دور كبير في الحد من حركة نشطاء المقاومة وعدم نجاحهم في الوصول إلى أهدافهم، بعد اكتشاف أمر العديد ممن حاولوا تفجير أنفسهم أو تهريب بعض الأحزمة الناسفة عبر الحواجز. ويرى د.معتصم الناصر أستاذ العلوم السياسية في جامعة أبو ديس، أنّ تراجع العمليات التفجيرية يعود إلى عدم قدرة التنظيمات على الاستمرار في هذا النهج بسبب الاجراءات الاسرائيلية المشدّدة، وليس نتيجة قرار تم اتخاذه بإيقاف تلك العمليات.[288] وفي تقرير للمخابرات الإسرائيلية رأى واضعوه أنه في العام الثالث للانتفاضة انخفضت نجاحات ما أسموه "الإرهاب الفلسطيني" بسبب عمليات الإحباط المكثفة للمخابرات والجيش والشرطة، وبسبب إقامة المقاطع الأولى لجدار الفصل التي وضعت مصاعب في وجه "الإرهاب" وتسلل المقاتلين نحو مناطق 1948، ويرى التقرير أن العام 2003 شهد انخفاضاً في الخسائر البشرية الإسرائيلية كما شهد انخفاضاً بأكثر من 50% بالنسبة للعمليات التفجيرية، ذلك أن عدد الإنذارات بوقوع عمليات وما يرافقها من اضطرابات أمنية واستعدادات بلغ يومياً 40 إنذاراً.[289]

---

[287] http://www.islamonline.net/arabic/news/2001-08/01/article7.shtml

[288] مقابلة بتاريخ 7/11/2008. رام الله.

[289] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات،انتفاضة الاستقلال العام الثالث، مصدر سبق ذكره، ص 208.

6. رحيل الرّئيس ياسر عرفات:

شكّل رحيل الرّئيس عرفات في الحادي عشر من تشرين الثاني عام 2004، والذي كان يتمتع بصلاحيات واسعة كرئيس لدولة فلسطين وللّجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس لحركة فتح، منعطفاً بالغ الأهمية في تاريخ الكفاح الفلسطيني المعاصر؛ لأنه يمثل علاقة فاصلة بين مرحلتين وجه الخلاف بينهما أكثر من وجه التشابه، فبرحيله انتهى عهد القائد الرمز الذي يستطيع الإمساك بكل الخيوط ويحرّكها كيفما يشاء، حماس بدورها أدركت أن عليها استغلال اللحظة وتثبيت موقعها كشريك في القرار السياسي، فلم تكن لتدير ظهرها للتغيير الإقليمي والدولي الواسع الذي ارتبط بوفاة الرّئيس عرفات، وأهم مركّباته انتفاء الذرائع الإسرائيلية والأمريكية بعدم وجود شريك فلسطينيى للتفاوض معه، خاصة وأن الشخص البديل هو أبو مازن الذي كان يبدي استعداداً لوقف المقاومة المسلحة والدخول في العملية السلمية.[290] أدى ذلك إلى إحداث فراغ سياسي وحالة من التخبط والإرباك ساهم في تفاقم أوضاع حركة فتح وتمزقها السياسي بين أكثر من اتجاه، فالبعض آثر المقاومة المسلحة ضد الاحتلال حرصاً على مكانة الحركة في الشارع الفلسطيني في ظل ارتفاع شعبية حماس، والبعض اتجه نحو التسويات التنازلية بما في ذلك الاشتراك في أنشطة سياسية شكلت استفزازاً للحالة الشعبية بكل اتجاهاتها، على غرار اشتراك بعض قيادات فتح الشابة وعدد من رموزها ذات النفوذ الواسع في محادثات جنيف/ البحر الميت،[291] مما أدى إلى تشتيت جهود المقاومة في ظل غياب الكادر الموجه لها.

7. انخفاض مؤيدي العمليات التفجيرية:

---

[290] العجرمي، أشرف.(2005). "حماس والانتخابات". تسامح، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، عدد 8: ص 43

[291]. المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات. انتفاضة الاستقلال العام الرابع للانتفاضة، مصدر سبق ذكره، ص 29.

أظهر استطلاع للرأي العام الفلسطيني أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في الفترة ما بين 10-12 آذار عام 2005، حصول تغيير جوهري في موقف الرأي العام الفلسطيني من العمل المسلح بشكل عام والعمليات التفجيرية بشكل خاص، حيث هبطت نسبة المؤيدين لهذا النوع من العمل المسلح إلى أدنى مستوى لها، مما يعكس التأييد الشعبي الواسع لاستمرار الوقف المتبادل للعنف والعودة للحياة الطبيعية وإعطاء الرئيس أبو مازن فرصة لإحياء المسيرة السلمية، ويظهر الاستطلاع انخفاضاً كبيراً في حجم التأييد للعمليات التفجيرية، من خلال عَرْضه مُقارنةً لبعض العمليات التي حدثت في سنوات مختلفة، حيث كانت نسبة التأييد لعملية تل أبيب في شباط عام 2005 تصل إلى 29% مقارنة ب 77% للعملية التفجيرية التي جرت في بئر السبع في أيلول عام 2004 والتي قام بها الاستشهاديان أحمد القواسمي ونسيم الجعبري، و 75% للعملية التفجيرية في مطعم مكسيم في حيفا والتي قامت بتنفيذها هنادي جرادات في تشرين الأول عام 2003، حيث وصلت نسبة المعارضين لعملية تل أبيب التفجيرية في العام 2005 إلى 67%،[292] كذلك أظهر الاستطلاع أن المعارضة للعمليات التفجيرية تزداد في قطاع غزة حيث بلغت 70%، مقارنة بالضفة الغربية والتي وصلت فيها المعارضة إلى 65%.[293]

مما يشير إلى أن توجهات الرأي العام الفلسطيني تغيّر حول جدوى العمليات التفجيرية، في ظل عدم وجود أجندة واضحة ذات أهداف سياسية محددة وواضحة للعمل العسكري عموماً والعمليات التفجيرية خصوصاً، ويؤكد ذلك واقع إحصائية قام بنشرها تلفزيون فلسطين في التاسع عشر من

---

[292] استطلاع للرأي العام الفلسطيني أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في الفترة ما بين 10-12 آذار / 2005 الموقع الإلكتروني: http://www.pcpsr.org/arabic/survey/pools/2005/p15ul.html

[293] المصدر السابق.

حزيران عام 2008، أظهرت أنّ نسبة من يؤيدون التهدئة مع إسرائيل بلغت 83% من الشعب الفلسطيني.

أثر العمليات التفجيرية على المسار السياسي التفاوضي.

لا يمكن القول بأن العمليات التفجيرية كانت سبباً مباشراً في العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، فإسرائيل لم تكن بحاجة إلى مبررات وذرائع لتنفيذ مخططاتها وجرائمها ومجازرها بحق الفلسطينيين، فلطالما قامت بذلك دون أن يكون هناك أية مقاومة أو عمليات تفجيرية، ذلك أن انحسار العمليات في السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة من عمر انتفاضة الأقصى لم يوقف العنف الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني.

هنا لا بد من الإشارة أيضاً إلى أن سياسات شارون تجاه الفلسطينيين، لم تكن مجرد ردّات فعل على العمليات التفجيرية بقدر ما كانت وسيلة ومبرراً لتنفيذ العديد من المخططات والبرامج الإسرائيلية المعدة والمدروسة مسبقاً. في المقابل فقد أضرت العمليات كثيراً بالجانب الفلسطيني خاصة وأن العديد منها أخطأ المكان والزمان والهدف، وأصبحت مجرد ردات فعل عشوائية لا تحمل في طياتها أية رسالة واضحة أو هدف سياسي محدد.

انعكس ذلك سلباً على صورة النضال الفلسطيني في المحافل الدولية، وأضعف من الموقف الفلسطيني الرسمي الذي اتهم بالعجز وعدم القدرة على السيطرة على الساحة الفلسطينية، خاصة بعد دخول كتائب شهداء الأقصى على خط العمليات التفجيرية، ممّا أحرج السلطة التي بدت عاجزة حتى عن ضبط كوادرها.حاولت الباحثة عرض بعض النماذج لعمليات تفجيرية والقيام

بتحليلها، وتسليط الضوء على الظروف التي أحاطت بها والتوقيت والرد الإسرائيلي عليها، لمعرفة مدى تأثيرها على المسار السياسي الفلسطيني.

شهدت عملية ملهى الدولفيناريوم في 1/6/2001، إدانة إقليمية ودولية واسعة لتزامنها مع زيارة كل من تيري رد لارسن مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة، ويوشكا فيشر وزير الخارجية الألماني،[294] اللذيْن كانا يسعيان لإحياء عملية السلام وإيجاد صيغة لوقف إطلاق النار بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.

وقد شكّلت تلك العملية إحراجاً للسلطة الوطنية، فيما أكّد الرئيس الراحل ياسر عرفات في مؤتمر صحفي بحضور كل من لارسن وفيشر على إدانته للعملية، موضحاً أنه يدين كل العمليات التي تؤدي لقتل مدنيين إسرائيليين أو فلسطينيين،[295] وأعلن عن موافقة كافة الفصائل الفلسطينية على وقف إطلاق النار، وكانت إسرائيل بفعل الضغوط الأمريكية قد علّقت خطة الاجتياح التي كانت معدة للرد على العملية، وفي الوقت ذاته واصلت عدوانها على الشعب الفلسطيني وفق خطة مدروسة وضعها موفاز هدفها إفشال الهدنة.

وقد شكّل اغتيال القياديْن عن حماس جمال منصور وجمال سليم في 31/7/2001 عبر قصف مركز الدراسات والإعلام التابع لحماس، إعلاناً عن استئناف العمليات التفجيرية مجدداً بعد حوالي 40 يوماً من التزام الفصائل الفلسطينية بالهدنة الداعية لوقف إطلاق النار لم تدخر إسرائيل خلالها جهداً لإفشالها، جاء رد المقاومة على عملية الاغتيال في 19/8/2001 بتنفيذ عملية

---

[294] نوفل، ممدوح.(2002). الانتفاضة انفجار عملية السلام. ط 1. الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، ص 265

[295] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات، انتفاضة الاستقلال العام الأول،مصدر سبق ذكره، ص 61

(سبارو) في القدس الغربية، لتسارعَ إسرائيل بالإعلان عن إغلاق بيت الشرق الذي كان يمثل رمزاً لسيادة السلطة الفلسطينية في القدس.

ومثّلت عملية الإغلاق هذه جزءاً من المخططات الرامية إلى تهويد القدس وعزل المسجد الأقصى، فزادت من عدد الحواجز العسكرية ونقاط التفتيش على الطرق المؤدية إليها، وصعّدت من عدوانها ومن عمليات الاغتيال كان أبرزها اغتيال الأمين العام للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى في 27/8/2001، لترد الجبهة الشعبية في 17/10/2001 باغتيال رحبعام زئيفي وزير السياحة الإسرائيلي آنذاك، وعلى إثر عملية الاغتيال قامت إسرائيل بإعادة احتلال العديد من مناطق السلطة، وقام الاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، بإطلاق مبادرة دبلوماسية لتهدئة الوضع يتم بموجبها انسحاب إسرائيل من المناطق التي أعاد احتلالها، وقبل إتمام الانسحاب بثلاثة أيام قام الاحتلال باغتيال محمود أبو هنود قائد كتائب عز الدين القسام، كان الهدف من عملية الاغتيال واضحاً، وهو جرّ المقاومة الفلسطينية إلى ردود فعل يستطيع الاحتلال خلالها تبرير بقائه وعدم انسحابه من المدن التي أعاد احتلالها، وبفعل عشوائية وعدم نضج المقاومة كان الرّد عبر تنفيذ ثلاث عمليات في الأول والثاني والخامس من شهر كانون الأول عام 2001، اثنتان في القدس وواحدة في حيفا.

اتخذ شارون من العمليات الثلاثة ذريعة لاستباحة كافة مناطق السلطة بالتزامن مع إعلان الولايات المتحدة بأن إسرائيل تمتلك كل الحق في الدفاع عن نفسها، فيما اعتبر إشارة لإطلاق يد شارون في حربه على الفلسطينيين،[296] ومنذ ذلك الحين، أي في 5/12/2001 حوصِرالرئيس

[296] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات.(2003). انتفاضة الاستقلال العام الثاني.ط 1. بيروت: دار التقدم العربي، ص 47

بمقره في المقاطعة ومنِعَ من مغادرة رام الله، وتم اعتبار السلطة جزءاً من بنية الإرهاب،[297] مما دفع قيادة السلطة الوطنية إلى التحرك بصورة أكثر جدية، لمراجعة أشكال العمليات المسلحة وخصوصاً العمليات التفجيرية التي تستهدف المدنيين الإسرائيليين، بعدما اتخذت منها إسرائيل ذريعة ومبرراً لاستمرار عدوانها مستفيدةّ من الأوضاع الدولية غير العادلة وغير المتوازنة التي أفرزتها أحداث 11/سبتمبر، والتي كان أبرزها الحرب على الإرهاب مساوية بين ما تعرضت له الولايات المتحدة من هجوم إرهابي، وبين ما تتعرض له إسرائيل كدولة احتلال من مقاومة مشروعة على أيدي حركات التحرر الفلسطيني.

استطاعت السلطة إدراك خطورة الوضع الدولي، فقامت بإقناع فصائل المقاومة بضرورة التهدئة، وقد أبدت المقاومة بدورها تفهماً لطبيعة المرحلة التي يمر بها المجتمع الدولي، فقامت كل من حركتي حماس والجهاد الإسلامي وانضمت إليهما كتائب الأقصى بإصدار بيان في 10/12/2001 أعلنت خلاله وقف العمليات التفجيرية، أعقبه إعلان للرئيس عرفات في السادس عشر من الشهر نفسه بوقف إطلاق النار.[298]

إلاّ أن الاحتلال الذي لم يكن ليترك فرصة لأي هدنة أو تسوية سلمية بالنجاح، استمر في سياسته العدوانية من خلال قيامة بعملية "الرحلة الملونة" والتي استمرت من 28/2– 19/3 2002، قام خلالها الجيش الإسرائيلي باجتياحات واسعة وغارات جوية ضد المدن والقرى والمخيمات التابعة للسلطة الوطنية، حصد خلالها قرابة 237 شهيداً واعتقل أكثر من 2500

---

[297] كيالي، ماجد. (2002). "الانتفاضة المقاومة والعمليات الإستشهادية التأثيرات والإشكاليات". مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 52: ص 52

[298] المصدر السابق، ص 50

فلسطينياً ودمّر وأصاب حوالي 1800 منزلاً،[299] في هذه الأثناء قام الاستشهادي عبد الباسط عودة بتنفيذ عملية نتانيا في (27/3/2002) حصد خلالها 30 قتيلاً إسرائيلياً وقرابة 100 جريح، لتتخذ إسرائيل من العمليه ذريعة لتنفيذ عملية " السور الواقي" في التاسع والعشرين من آذار عام 2002 والتي شكلت منعطفاً خطيراً في العلاقات الفلسطينية– الإسرائيلية، بعد أن تم إلغاء الفوارق بين مناطق (أ، ب، ج) وأصبحت كافة المناطق تخضع للسيطرة العسكرية الإسرائيلية بشكل مباشر.

وكانت الحكومة الإسرائيلية قد أعلنت أن هدف العملية عزل الرئيس عرفات المحتجز في المقاطعة في رام الله، وضرب معنويات الفلسطينيين لإجبارهم على القبول بالمطالب الإسرائيلية واعتقال نشطاء المقاومة وتدمير بنيتهم التحتية، وقد صرّح (جدعون ساعر) سكرتير الحكومة الاسرائيلية قائلاً:" نحن نهدف من وراء الحصار تهميش دور عرفات إلى الحد الأدنى الذي يمكن معه إيجاد قيادة فلسطينية بديلة".[300]

إلا أنّ وقائع العدوان أكدت أن الهدف الرئيسي هو العمل على تدمير وتفكيك البنى التحتية لمجمل الحالة الفلسطينية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، خاصة وأن عملية السور الواقي قد تركزت ضد عناصر السلطة الوطنية ومؤسساتها في الضفة الغربية، وامتنعت عن الدخول إلى قطاع غزه الذي تتواجد فيه القوه الرئيسية لتنظيمي حماس والجهاد الإسلامي،[301] وقد كان من نتائج هذه العملية مقتل 250– 320 فلسطينياً و 32 جندياً إسرائيلياً، واعتقال أكثر من 5000

---

[299] إسبوزيتو، ميشيل ك.(2005). "انتفاضة الأقصى العمليات العسكرية والخسائر والهجمات الاستشهادية والاغتيالات خلال الأعوام الأربعة الأولى". الدراسات الفلسطينية، عدد 63: ص 196.

[300] النعامي، صالح محمد."سبتمبر 2002. إسرائيل تمهد لاجتياح غزة وتصفية حماس" شؤون فلسطينية، 1/1/2002 الموقع الإلكتروني: http://www Islamonline.net/Arabic/politics/2002/10/article01.shtmI.

[301] غرينبرغ، مصدر سبق ذكره، ص 484

فلسطيني، وهدم وإصابة 2260 منزلاً بأضرار فادحة، وتفكيك البنية التحتية للسلطة الوطنية الفلسطينية.[302]

عقب عملية "السور الواقي" تنامت الجهود والضغوط الدولية على الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي؛ لاستئناف المفاوضات ووقف إطلاق النار للخروج من دوامة العنف، إلا أن العملية التفجيرية التي تبنتها حركة حماس في القدس في 18/6/2002، أوقفت كل الجهود والوساطات، ومنذ ذلك الوقت أصبحت إسرائيل مطلقة اليدين في الضفة وقطاع غزة.

ومن الضرورة الإشارة إلى أن عملية "السور الواقي" كان لها انعكاسات خطيرة على الشارع الفلسطيني أهمها: فقدان الثقة بالسلطة الوطنية التي أبدت ضعفاً واضحاً في التصدي للاحتلال، ودخولها في اتفاقيات شكلت سابقة خطيرة من وجهة نظر الشارع الفلسطيني، كان أهمها اتفاق المقاطعة الذي قاد إلى تسليم السلطة للمناضلين المتهمين بقتل وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي، ونقلهم مع أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية إلى سجن أريحا برقابة بريطانية-أمريكية، كذلك اتفاق "كنيسة المهد" الذي قاد إلى إبعاد بعض نشطاء المقاومة إلى قطاع غزة ونفي أو إبعاد آخرين إلى الخارج.

وجد الشارع الفلسطيني في هذه الاتفاقيات استسلاماً وخضوعا للضغوط والاملاءات الإسرائيلية والأمريكية، لذا اتجه الشارع الفلسطيني في هذه المرحلة نحو مزيدٍ من التأييد لبرنامج المقاومة الإسلامية القائم على العمليات التفجيرية، مما أدى إلى صعود شعبية حماس واتساع نفوذها مقابل ضعف السلطة وانخفاض نسبة مؤيديها، وبين الفعل ورد الفعل بدت المواجهة بين الفلسطينيين والإسرائيليين كأنها دائرة من العنف الذي لا ينتهي، خاصة وأن الضغوط العربية

---

[302] إسبوزيتو، مصدر سبق ذكره، ص 196-197

والدولية كانت منصبّة على الجانب الفلسطيني، دون أن تمارس نفس الضغوط أو بعضاً منها على الجانب الإسرائيلي، لذا فإن معظم حالات التهدئة باءت بالفشل لأنها لم تقابل بالمثل من الجانب الإسرائيلي.

وفي إطار الجهود الدولية لإحياء عملية السلام وتفعيل خارطة الطريق، أعلنت معظم الفصائل الفلسطينية الوطنية والإسلامية، عن استعدادها للتهدئة من طرفٍ واحد في منتصف حزيران 2003 وتعليق عملياتها التفجيرية لمدة ثلاثة شهور؛ لإعطاء فرصة للجانبين الفلسطيني والإسرائيلي للمضي قدماً في عملية السلام.

إلا أن الهدنة التي قامت على ساق واحدة وليس على ساقين كما يفترض بأي كائن سليم، سارت في طريقها حتى نهايتها، فانهارت تحت جنازير دبابات شارون وموفاز التي واصلت استباحة المدن بحثاً عن مطلوبين لقتلهم أو اعتقالهم،[303] في محاولة لإفشال التهدئة وجرّ الشارع الفلسطيني إلى ردود أفعال تكون مبرراً وذريعة للعودة إلى المربع الأول للصراع، والتهرب من أي استحقاق سياسي تفرضه خارطة الطريق التي كانت هذه الهدنة تهدف إلى إحيائها.

في الحقيقة نجحت إسرائيل في استفزاز المقاومة الفلسطينية، وإخراج حركة حماس مجدداً من العملية السياسية إلى المواجهة العسكرية، وجر الشارع الفلسطيني مجدداً إلى دائرة العنف عبر تنفيذ عمليتين تفجيريتين، الأولى بتاريخ 12/8/2003 في تل أبيب، والثانية في 19/8/2003 في القدس الغربية.

شكّلت هاتان العمليتان طوق نجاة للإسرائيليين؛ للتملّص من الضغوط الدولية الداعية إلى التقدم في العملية السلمية، فكان رد الفعل الإسرائيلي لا ينبع من اعتبارات انتقامية بل من

---

[303] دراغمة، محمد.(2003)." سقوط الهدنة من يملأ الفراغ". المشهد الإسرائيلي، مدار،عدد 2728.

اعتبارات سياسية، حرص خلالها على أن يكون رد الفعل عنيفاً بحيث يقضي على أي أمل في استمرار الهدنة. وقد وجد الاحتلال أن سياسة الاعتقالات والاجتياحات تأتي بردود فعل أقل حدة من عمليات الاغتيال، لذا لجأ إلى اغتيال القيادي البارز في حركة حماس إسماعيل أبو شنب في 21/8/2003، أي بعد يومين من عملية القدس الغربية، وكانت عملية الاغتيال بمثابة الرصاصة الأخيرة على الهدنة التي استمرت 51 يوماً.

من خلال ما تم سوقه من أمثلة ونماذج للعمليات التفجيرية والظروف المحيطة بها، لا يمكن الجزم بأي حال أنّ ما تقوم به الحكومة الإسرائيلية من عدوان مستمر على الشعب الفلسطيني، أنه يأتي في إطار ردود الفعل الانتقامية من المقاومة الفلسطينية وعملياتها التفجيرية، فمن ناحية لم تكن إسرائيل لتترك فرصة لإنجاح هدنة أو اتفاق حول وقف إطلاق النار، دون أن تحاول استباقها وإتباعها بتصعيد وتوسيع عدوانها لجر فصائل المقاومة مجدداً إلى دائرة العنف، التي على ما يبدو لم تكن قناعتها بوقف العمليات ناضجة، إذ سرعان ما كانت تنساق وراء ردود فعل انتقامية وعشوائية غير مدروسة، لا تخدم سوى مخططات شارون الهادفة إلى ضرب أي جهود لإحياء العملية السلمية أو تفعيلها.

فمن الواضح أن عمليات التصعيد الإسرائيلي التي كانت تتزامن مع أي جهود لإحياء عملية السلام، ترافقت مع ازدياد العمليات التفجيرية، فعملية السور الواقي جاءت بعد عملية نتانيا التي تم استخدامها كذريعة سهّلت على شارون وحكومته تبرير عملية الاجتياح، التي كان مخططاً لها منذ العام 1996 وتم إحياؤها عقب اندلاع إنتفاضة الأقصى، وقد تبناها بشكلٍ خاص كل من شاؤول

موفاز ونائبه موشيه يعلون وإسحاق إيتان قائد القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية، حيث جرى اتخاذ قرار عسكري ببدء التنفيذ بعد عملية نتانيا في آذار 2002.[304]

وما من شك أن العديد من العمليات شكلت مخرجاً لإسرائيل من مآزق وضغوطات دولية مورست عليها، إما للانسحاب من مناطق أو لإحياء العملية السياسية، وشكّلت في الوقت ذاته إحراجاً وإدانة للسلطة، ذلك أنها نُفِّذت في ظروف وأوقات لم تكن لتخدم المصلحة الوطنية العليا للشعب الفلسطيني، ولم تكن مدروسة ومحسوبة النتائج، فعملية كتلك التي نفذت في 12/8/2003 تزامنت مع قرار إسرائيلي يقضي بالإفراج عن 69 أسيراً فلسطينياً في نفس يوم التفجير، وتمّ على إثرها تعليق إجراءات الإفراج، بالتأكيد لم تكن في مصلحة الشعب الفلسطيني، كذلك عملية القدس الغربية في 22/4/2004 والتي تزامنت مع انعقاد محكمة العدل الدولية في لاهاي للنظر في إقامة الجدار الفاصل، شكّلت إحراجاً للسلطة وفي الوقت ذاته شكلت مخرجاً لإسرائيل التي سارعت للربط بين العمليات التفجيرية وبين الحاجة لبناء الجدار، بحجة منع منفّذي العمليات من التسلل إلى العمق الإسرائيلي وتنفيذ عمليات تفجيرية.

وقد علّق شارون على العملية قائلاً: " بأنها شكّلت تذكيراً مؤلماً بقساوة الإرهاب الفلسطيني".[305] وقال وزير العدل الإسرائيلي طومي لابيد: " هذه العملية المستهجنة هي ردّنا على الاتهامات الموجهة ضد إسرائيل بشأن الجدار الفاصل، ولو كان ثمة جدار يحيط بالقدس لأمكن منع العملية".[306] أضف إلى ذلك أنه وبالنظر للظروف التي نُفِّذت فيها عمليات تفجيرية، يلاحظ

---

[304] محمود، أحمد إبراهيم.(2002). "الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة الاجتياح الإسرائيلي". السياسة الدولية، عدد 149: ص 95.

[305] أبو غوش، نهاد. المستقبل،عدد 1529: ص 1، 23/ 2/ 2004
الموقع الالكتروني http://www.almustaqbal.com/stories.aspx?storyid=52969

[306] المصدر السابق نفسه.

أنها في معظمها جاءت رداً على سياسة الاغتيالات الإسرائيلية، التي اعتُمدت كاستراتيجية لدى حكومة الاحتلال لتفجير أي هدوء وتعطيل أي جهود من شأنها إنقاذ العملية السياسية.

فاغتيال القيادي في حماس صلاح شحادة بتاريخ 23/7/2002، جاءت لتفجر الهدوء النسبي الذي ساد لأسابيع شهدت خلالها المنطقة تحركات ونشاطات دبلوماسية أوروبية؛ لإطلاق مبادرة يتم خلالها الإعلان عن وقف إطلاق النار من جانب واحد. أما اغتيال القيادي إسماعيل أبو شنب جاء في ظل هدنة التزمت بها فصائل المقاومة 51 يوماً، كذلك اغتيال القياديين جمال منصور وجمال سليم جاء في ظل هدنة التزمت بها الفصائل 40 يوماً.

من هنا يتضّح أن سياسة الإغتيالات لنشطاء المقاومة، كان الهدف منها جرّ الشارع الفلسطيني إلى دائرةٍ من العنف لا ينتهي، عبر جر المقاومة الفلسطينية إلى تنفيذ عمليات تفجيرية، قام الإحتلال عبر وسائله الإعلامية تضخيمها وإظهارها وكأنها تستهدف الوجود الإسرائيلي، لتبرير عنفه الموجه للفلسطينيين وإظهار جرائمه على أنها تأتي في إطار الدفاع عن النفس ضد هجمات فلسطينية محتملة، واضعاً نفسه موضع الضحية الذي يحارب ضد ما أسماه بالإرهاب الفلسطيني.

الخاتمة.

شكّلت العمليات التفجيرية الفلسطينية جزءاً من البرنامج النضالي للشعب الفلسطيني في مرحلة السبعينيات، إلى جانب العمليات الفدائية الأخرى ممثلة بعمليات التسلل والاشتباكات، والتي كان هدفها لفت نظر المجتمع الدولي إلى القضية الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطيني، بالإضافة إلى الضغط باتجاه نزع اعتراف دولي بمنظمة التحرير الفلسطينية، إلا انه وبفعل الضغوط الدولية والعربية التي مورست على المقاومة ابتداءً من السبعينيات بعد حرب أيلول الأسود، وما تمخض عنها من حرمان المقاومة الفلسطينية أهم قواعدها النضالية على الساحة الأردنية، وصولاً إلى اجتياح بيروت في الثمانينات، تمّ استبعاد عناصر المقاومة عن دول الجوار الفلسطيني ومحاصرتها.

فاستبدل العمل الكفاحي المسلح بالعمل السياسي والإعلامي الذي استمر حتى اندلاع الانتفاضة الشعبية عام 1987، كان الحجر سلاحاً وعنواناً لهذه المرحلة وشكلت (م.ت.ف) مظلة لها، فأعادت الاعتبار للقضية الفلسطينية بعد تراجع الاهتمام بها وبرزت مجدداً على سطح الأحداث، وانتهت الانتفاضة الأولى باعتراف دولي ب (م.ت.ف) كممثل شرعي ووحيد للشعب

الفلسطيني، وبتوقيع اتفاقية أوسلو للسلام التي كان أحد إفرازاتها وجود السلطة على جـــزء مـــن الأراضي الفلسطينية المحتلة.

مثّل توقيع اتفاقية أوسلو وجنوح (م.ت.ف) إلى خط التسوية السلمية، مرحلة هامة في تاريخ الشعب الفلسطيني أسدل خلالها الستار عن سنوات من الكفاح المسلح، إلا أن ذلك لم يمنع ظهـــور بعض الفصائل الفلسطينية المعارضة للتسوية السلمية ممثلة بحركات المقاومة الإسلامية، والـــتي عبّرت عن رفضها لأوسلو عبر موجة من العمليات التفجيرية، ازداد إيقاعها واتســـاعها بازديـــاد شراسة الاحتلال وممارساته العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني.

جاءت انتفاضة الأقصى كمرحلة من مراحل الكفاح الفلسطيني، أُسقطت خلالها المفاوضـــات والحلول السلمية كسبيل وحيد لاسترجاع الحقوق الوطنية وإقامة دولة فلسطينية، وشكّلت العمليات التفجيرية عنواناً لهذه المرحلة، فكانت البداية الجدية وليست الأولى لبروزها وتبلورها.

لم تكن تلك العمليات وليدة استراتيجية سياسية ونضالية مدروسة ومتفق عليها من كافة القوى والفصائل الفلسطينية، أدى ذلك إلى غياب مرجعية سياسية واحدة قادرة علـــى ضـــبط العمليـــات والتحكم بأدائها وأشكالها بما يتناسب مع أهدافها، فظهرت عدة اتجاهات متنـــافرة علـــى الســـاحة الفلسطينية: الاتجاه الأول ممثلاً بحركات المقاومة الإسلامية أسقط خيار المفاوضـــات والتســـوية السلمية لصالح المقاومة المسلحة، وتحديداً العمليات التفجيرية في المناطق المحتلة عـــام 1948، كوسيلة وحيدة لدحر الاحتلال وخلق حالة من توازن الرّعب والرّدع في ظل الاختلال الواضح في ميزان القوى لصالح الاحتلال. والاتجاه الثاني المتمثـــل بالســـلطة الوطنيـــة وبعـــض المثقفيـــن والسياسيين، أسقط خيار المقاومة لصالح المفاوضات، وطالب بوقف العمليـــات التفجيريـــة الـــتي

أساءت من وجهة نظره للنضال الفلسطيني ومشروعيته، محذراً في الوقت ذاته من مغبة الانجرار وراء سياسة شارون الهادفة إلى جر الشارع الفلسطيني لمواجهة غير متكافئة، هدفُها التغرير بالمجتمع الدولي وخداعه وتبرير ممارساته الوحشية وإظهار الصراع على أنه بين جيشين متكافئين. أما الاتجاه الثالث الذي ضم أعضاء من حزب فدا وجبهة النضال وأعضاء من حركة فتح، فقد طالب باستمرار المفاوضات والمقاومة جنباً إلى جنب، مع تحفظ هذا الاتجاه على العمليات التي تنفذ في المناطق المحتلة عام 1948 والتي تستهدف المدنيين لما تشكله من إساءة للمقاومة، مؤيداً في الوقت ذاته تلك التي تنفذ ضد جنود الاحتلال ومستوطنيه في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وقد أسهم تجاهل المقاومة للمتغيرات على الساحة الدّولية وخاصة بعد هجمات 11 سبتمبر، التي شكلت نقطة تحوّل في نظرة المجتمع الدولي للمقاومة الفلسطينية، والاستمرار في تنفيذ العمليات التفجيرية إلى عزلها وتشديد الخناق عليها عربياً ودولياً، حيث الزّمان والمكان كانا من أهم الاعتبارات التي تجاهلتهما المقاومة، مما أفقدها الدّعم والتأييد الدّوليين في وقت أصبح المجتمع الدولي لا يفرّق فيه بين العمليات التي تُنفّذ في الأراضي المحتلة عام 1948 ضد المدنيين، وتلك التي تنفذ ضد جنود الاحتلال ومستوطنيه في الاراضي المحتلة عام 1967.

أحدثت تلك العمليات حالة من الجدل والنّقاش الحاد داخل أوساط المجتمع الفلسطيني، حول الجدوى السياسيّة من الاستمرار في هذا النهْج من المقاومة المسلحة، في ظل ظروف دولية غير متوازنة لم تكن في صالح المقاومة والقضية الفلسطينية، وإعلام أمريكي- إسرائيلي مسيطر استطاع تضليل الرأي العام الدولي وتشويه صورة النضال الفلسطيني وكفاحه المشروع، عبر

تصوير الصراع على أنه بين قوتين عسكريتين متكافئتين عدداً وعُدّة، وتشبيه العمليات التفجيرية ضد الاحتلال ورموزه بتفجيرات أحداث 11 سبتمبر.

شكّل الاحتلال وممارساته العدوانية تجاه الفلسطينيين، أهم الدوافع وراء زيادة عدد المقبلين من الشباب الفلسطيني على تنفيذ عمليات تفجيرية، انتقاماً وثأراً لمشاهد القتل والدّمار والاغتيال لنشطاء ميدانيين وقادة سياسيين وعسكريين، ورداً على سياسة الحصار والتجويع والإهانات المتكررة عبر الحواجز العسكرية، يليه الدافع الوطني ممثلاً بالرغبة في تحرير الأرض ودحر الاحتلال، ويأتي الدافع الديني عاملاً مشجعاً ومؤثراً، ولم يكن للدافع الاقتصادي على ما يبدو كبير الأثر في إقبال الاستشهاديين على تنفيذ عمليات تفجيرية، خاصة وأن معظم الدراسات التي تناولت ظاهرة الاستشهاديين، وجدت أن النسبة الأكبر منهم كانوا من فئة المتعلِّمين ومن ذوي الدخل المتوسط والمرتفع ولا يعانون مشاكل صحية أو نفسية أو اقتصادية، مما يؤكد أن ظاهرة العمليات التفجيرية وليدة الاحتلال وممارساته، وأن الإقبال عليها يعود إلى الرّغبة الطبيعيّة والشّرعيّة في التّخلص منة.

يؤخذ على المقاومة الفلسطينية عدم قراءتها للوقائع والمتغيرات التي فرضتها أحداث 11 سبتمبر على الساحة الدولية، حيث شكّلت تلك العمليات مدخلاً لإسرائيل استطاعت خلالها المس بشرعيتها وأخلاقيتها، وسجّلت نجاحاً كبيراً في هذا الشأن بعد أن استطاعت الخلْط بين المقاومة والإرهاب، وإدراج العديد من فصائل المقاومة على لائحة المنظمات الإرهابية، فقام الإحتلال بتسديد ضربات موجعة للفلسطينيين سلطة وقيادة وشعباً، كان أبرزها عزل الرئيس عرفات في مقرِّه برام الله، وشن حرب تدميرية على السلطة ومؤسساتها وأجهزتها الأمنية، فَشُلَّت حركتها

وأُضعفَ من تمثيلها وسيطرتها على الأوضـــاع الفلســـطينية بعـــد تـــدمير قـــدراتها السياســـية والاقتصادية.

وفي هذه الأثناء أصبحت فصائل المقاومة التي اتخذت من العمليات التفجيريـــة نهجـــاً فـــي كفاحها، تتمتع بقوة شعبيّة مكَّنتها من التّحكم بالقرارالسياسي وبمجريات الأمـــور علـــى الســـاحة الفلسطينية، من حيث استمرار التّهدئة والمفاوضات أو إفشالها، فكان يكفي تنفيذ عمليّـــة تفجيريّـــة واحده لضرب كل الجهود الدّاعية إلى التّهدئة ووقف إطلاق النار بين الجانبين، وكيل التهم للسلطة ورئيسها المحاصر وتحميله مسؤولية فشل المفاوضات من قبل إسرائيل والمجتمع الدولي.

وقد أدى تركيز معظم فصائل المقاومة في انتفاضة الأقصى على العمليات التفجيرية، الـــتي أضحت عنواناً لوجود أو عدم وجود مقاومة، وإغفال أشكال الكفاح الأخرى بما فيهـــا المقاومـــة الشعبية إلى الإضرار بالمقاومة، بعد أن تم تركيـــز كـــل إمكانيـــات الاحتلال وقـــواه العســـكرية والإعلامية والدبلوماسية لملاحقة وتشويه هذا الشكل النضالي، الذي اتخذت منه إسرائيل ذريعـــة ليس فقط لتقويض السلطة، بل لتقويض شبكة واسعة من القيادات والكوادر العسكرية والسياسية.

النتائج:

ترى الباحثة أنه من الصعوبة بمكان محاولة الخوض في نقاش حول مدى الشرعية الدينيـــة والأخلاقية لهذه العمليات، لأنه سيبقى ثمة خلاف في وجهات النظر بين مؤيد ومعـــارض، ليـــس حول المقاومة بحد ذاتها والتي هي حق مشروع كفلته كافة الأعراف والقـــوانين الدوليـــة لكافـــة الشعوب الخاضعة للاحتلال، بل حول أساليبها وأشكالها النضالية، لذا من الضرورة الإشارة إلـــى أن العمليات التفجيرية شأنها شأن وسائل المقاومة الاخرى، هي وسيلة لتحقيق غاية أو هدف محدد

يجب أن تخضع لعملية تقويم مستمرة؛ لقياس مدى نجاحها وفشلها في تحقيق أهداف وتطلعات الشعب الفلسطيني، من خلال قياس آثارها السلبية والإيجابية على القضية والمصلحة الوطنية العليا للشعب الفلسطيني.

هنا لا يمكن إنكار أن العمليات التفجيرية كان لها بعض الجوانب الإيجابية، وخاصةً في البدايات الأولى لانتفاضة الأقصى من خلال قدرتها على تهديد الإستقرار الأمني والمجتمعي والإقتصادي للاحتلال، حيث عملت على إيجاد نوع من توازن الرّدع، ونجحت في بثّ الرّعب داخل أوساط المجتمع الإسرائيلي بكافة أطيافه بعد أن وقفت الأجهزة الأمنية والقوة العسكرية الإسرائيلية عاجزة عن التصدي لتلك العمليات.

ومع ذلك تبقى إيجابياتها محدودة قياساً بما أحدثته من آثار سلبية على مجمل الوضع الفلسطيني، خاصةً بعد أن أصبحت شكلاً واحداً للمقاومة وعنواناً لوجودها أو عدم وجودها، فبعد مرور أكثر من ثماني سنوات على اندلاع انتفاضة الأقصى، لم يعد الفلسطينيون أقرب إلى تحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية، وعلى رأسها إقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967 وعاصمتها القدس الشريف.

وعلى الرغم من أن مرحلة أوسلو التي وجد فيها مؤيدو عسكرة الانتفاضة والقائمون على العمليات التفجيرية، بأنها لم تجلب للشعب الفلسطيني سوى المزيد من الويلات والتنازلات، حيث استمرت سياسة الاستيطان ومصادرة الأراضي وعمليات الاعتقال والاغتيال السياسي لقادة وكوادر المقاومة، وتحديداً في صفوف حركتي حماس والجهاد الإسلامي، فالواقع يشير إلى أن ما وصلت إليه الساحة الفلسطينية في ظل انتفاضة الأقصى لم يكن بأفضل حال، فما فشلت السلطة

الوطنية الفلسطينية في تحقيقه على أرض الواقع في ظل العملية السلمية التي كانت عنواناً لأوسلو، فشلت المقاومة المسلحة والعمليات التفجيرية في تحقيقه.

بل وعلى العكس من ذلك فقد ازداد الوضع سوءاً على الصعيد الفلسطيني، فعمليات الاعتقال والقتل ازدادت بدرجة غير مسبوقة، وتم مصادرة مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية بأضعاف مضاعفة عن السابق، ليس فقط بسبب زيادة الاستيطان وشق الطرق الالتفافية فحسب، بل جرّاء بناء جدار الفصل العنصري الذي لم تجرؤ الحكومة الإسرائيلية على إقامته إلا في ظل انتفاضة الأقصى، بحجة منع منفذي العمليّات من الوصول إلى المدن الإسرائيلية.

وقد أدى عدم وجود إجماع فلسطيني حول الجدوى السياسية للعمليات التفجيرية، إلى تنامي الخلافات بين السلطة والمعارضة، نتيجة إصرار الأخيرة على الاستمرار في نهج العمليات رغم الضغوط الدّوليّة والعربيّة على السّلطة المطالبة بإيقافها. أدى ذلك إلى تآكل الدور القيادي للسلطة نتيجة عدم قدرتها من السيطرة على الأوضاع والتحكم بأداء المقاومة وأشكالها، خاصةً بعد قيام الاحتلال بتدمير مؤسساتها وأجهزتها الأمنية. بالمقابل كان هناك صعوداً لحركات المقاومة الإسلامية التي أخذت قاعدتها الشعبية بالاتساع، فأصبحت تسيطر وتتحكم بالقرار السياسي من حيث إفشال أو إنجاح أي هدنه أو مفاوضات.

ترتّب على ذلك انقسام سياسي وتناحر فصائلي على سلطةٍ وهمية، ازداد اتساعاً عقب الانقلاب السياسي في غزة في أواسط حزيران عام 2007، والذي نجم عنه صِدام داخلي كان سبباً في تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني سياسياً وجغرافياً، وفصل مصير الضفة عن غزة، وأصبح الحديث يدور حول حكومتين فلسطينيتين إحداهما في غزة تقودها حركة حماس، والأخرى في

الضفة تقودها حركة فتح، حيث تحوّل الصّراع ضد الاحتلال إلى صراع فصائلي بين الفلسطينيين أنفسهم، مما ينذر بكارثة وطنيّة حقيقيّة لم تشهدها القضيّة الفلسطينيّة من قبل.

فالدّم الفلسطيني الذي كان خطاً أحمراً بالنسبة للفلسطينيين، لم يعد كذلك بعد أن استُبيحَ بأيدٍ فلسطينيّة في ظل التّعصب الفصائلي، ومحاولة كل فصيل إلغاء الآخر وفرض رؤيتة وأيديولوجيتة دون التطلّع إلى مصلحة الشعب الفلسطيني؛ مما استدعى تدخل أطراف خارجية ليس لإصلاح ذات البين بين الأخوة والأشقاء، بل لتقريب وجهات النظر التي لا زالت بعيدة إلا عن العمل من أجل المصالح الشخصية والفئوية والفصائلية، والعمل وفق أجندات خارجية بعيدة كل البعد عن المصلحة الوطنية العليا للشعب الفلسطيني.

أضعف ذلك من تعاطف الرّأي العام الدّولي مع القضيّة الفلسطينيّة، وألحق خسائر فادحة بالفلسطينيين كان أسوأها التراجع في مكانة القضية الفلسطينية، التي باتت تُصوَّر على أنها قضية إنسانية لا قضية تحرر وطني. وقد كان لتجاهل المقاومة للمتغيرات على الساحة الدولية في أعقاب 11سبتمر والحرب على الارهاب، والاستمرار في نهج العمليات التفجيرية دوراً في تبني الحكومات الأوروبية والأمريكية لموقف الحكومة الإسرائيلية من خلال إلصاق تهمة الإرهاب بالمقاومة، وإدراج العديد من فصائلها على قائمة المنظمات الإرهابية، وربط تلك الحكومات إعادة دعمها المادي والسياسي للسلطة بوقف العمليات، فأصبح الفلسطينيون يعانون حصاراً دولياً سياسياً واقتصادياً أُضيف إلى الحصار الإسرائيلي.

شجّع الموقف الدّولي الجانب الإسرائيلي على تنفيذ العديد من مخططاته وبرامجه السياسية، فقام بإعادة احتلال المدن الخاضعة للسلطة وإنهاء الفروق بين مناطق (أ،ب،ج) وإقامة ما يتجاوز

635 حاجزاً، وقام بحملات اغتيال واسعة طالت العديد من كوادر وقـــادة المقاومـــة السياســـيين والعسكريين بحجة (إبطال مفعول قنبلة بشرية).

من هنا ومن خلال نظرة على الواقع وما وصلت إليه الساحة الفلسطينية، تتفق الباحثـــة مـــع العديد من الكُتّاب والمحللين السياسيين ومنهم الكاتب والمحلل السياسي ماجد كيالي، الذي يرى بأن الجهات السياسية التي وقفت وراء العمليات التفجيرية كانت تسعى إلى تعزيز مكانتها على الساحة الفلسطينية، والتعويض عن ضعف مشاركتها بصنع القرار من خلال نوع من الفيتو على توجهات القيادة الفلسطينية والسلطة الوطنية، عبر هذا الأسلوب تحديداً والمتمثل في العمليـــات التفجيريـــة، بمعزل عن الجدوى السياسية وبتجاهل ردّات الفعل القاسية التي تستدعيها تلك العمليّات من قبـــل إسرائيل، التي أمعنت قتلاً وتدميراً في الفلسطينيين بمناسبة هذه العمليات أو بدعوى وضـــع حـــد لها.[307] ويؤكد ذلك واقع انحسار أو تراجع العمليات التفجيرية، بالتزامن مع نجاح حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية وسيطرتها على غزة جراء الانقلاب السياســـي الـــذي أقدمت عليه بعد فوزها في الانتخابات.

بالمحصلة فقد أدى غياب التوافق الداخلي حول برنامج سياسي نضالي موحَـــد، والتعصُـــب الفصائلي وضعف استثمار العمليات التفجيرية سياسياً، إلى عدم قطف ثمار التضـــحيات الجســـام للشعب الفلسطيني، بل على العكس من ذلك، فإن الواقع يشير إلى أن إسرائيل هي من اســـتطاعت استثمار العمليات من خلال اتخاذها مبرراً لتنفيذ مخططاتها العدوانية تجاه الفلسطينيين، ونجاحهـــا

[307] كيالي، ماجد." العمليات التفجيرية إلى متى وإلى أين؟". 3 آذار/ 2005
http://old.amin.org/views/majed-kyali/2005/mar3.html

في تأليب الرّأي العام ضد المقاومة الفلسطينية، وفرض حصار سياسي واقتصادي على الشّـــعب الفلسطيني وسلطته الوطنية.

فقد بدت حركات المقاومة التي اعتمدت العمليات التفجيريه وكأنها تنتهج سياسة عبثية قائمة على التّضحية والاستشهاد دون تحقيق إنجاز يذكر، وعندما حاولت استثمار مقاومتها داخلياً عـــبر المشاركة في الإنتخابات التشريعية، لم تستطع أن تستثمر الفوز والنفوذ الشـــعبي الـــذي حققتـــه لصياغة مشروع سياسي وإحداث اختراق عربي ودولي، بل على العكس من ذلك، فقد تسبب ذلك الفوز في عزلها ومحاصرتها ومعها الشعب الفلسطيني والسلطة الوطنية. وعلى الرغـــم مـــن أن برنامجها السياسي يقوم على الإصلاح والتغيير والمقاومة سبيلاً لتحقيق النصر واستعادة الحقوق، فإن الواقع يثبت عكس ذلك، فلم يعد هناك مقاومة بل أصبح الحديث يدور حول وقـــف المقاومـــة والعمليات التفجيرية والتهدئة طويلة الأمد.[308]

من ناحية أخرى إن تغاضي حركة حماس عن تطورات وأحداث هامة وذات تأثير كبير على الواقع، وعدم إبداء اهتمام وجدية في التعامل معها حال بينها وبين استثمار هذه الأحـــداث، كمـــا حدث في موضوع جدار الفصل العنصري الذي شكل أخطر وأعنف خطوة للاحتلال منـــذ العـــام 1967، حيث ضم الجدار الإسرائيلي 915000 دونم أي ما نسبته 16.3% من مساحة الضـــفة الغربية دون احتساب مساحة القدس الشرقية. كما بلغ عدد الفلسطينيين المتضررين منه 875600 مواطن أي ما نسبته 38% من سكان الضفة الغربية، ولم تتخذ حماس أية خطوات جدية للوقوف في وجه الجدار، مثل عرض مبادرات لوقف عملياتها ولو مؤقتاً مقابل وقـــف بنـــاء الجـــدار، أو

---

[308] عطاونة، أحمد عبد الله محسن.(2007). الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس: 1987–2006. رسالة ماجستير غير منشورة، بيرزيت– فلسطين، ص 101.

محاولة مهاجمة الشركات الداعمة للجدار أو العاملين فيه أو غيرها من خطوات تعبر عـــن إدراك جدي لخطورة هذا الجدار.[309]

المصادر والمراجع.

الكتب والدّوريات:

*القرآن الكريم.

- أبراش، إبراهيم.(2002). "الإرهاب: "اشكاليته في تعريفه لا في محاربته ارهاب الأقوياء ودفاع الضعفاء". **مجلة رؤية**، عدد 17: ص 9-44.
- أبو جابر، إبراهيم وآخرون.(2002). **الانتفاضة تغير معادلات الصراع في المنطقة**. ط 1.عمّان:مركز دراسات الشرق الأوسط.
- أبو عفيفة، طلال. (1998). **الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية**، 1987- 1997. ط 1. بدون دار نشر.
- أحمد، رفعت سيّد.(2002). **من التطبيع إلى الانتفاضة صراع ومقاومة**. ط 1. بيروت: دار الفكر.
- إسبوزيتو، ميشيل ك.(2005)."انتفاضة الأقصى العمليات العسكرية والخسائر والهجمات الاستشهادية والاغتيالات خلال الأعوام الأربعة الأولى". **مجلة الدراسات الفلسطينية**، عدد 63: ص 191-204.
- إسماعيل، قبّاري محمد. (1976). **إيميل دوركهايم مؤسس علم الاجتماع المعاصر نظرياً وتطبيقياً**. الإسكندرية: دار المعارف.

[309] المصدر السابق نفسه، ص 101-102.

- الأشقر، جلبير. (2002). **صِدامْ الهمجيات الإرهاب، الإرهاب المقابل والفوضى العالمية قبل 11 أيلول وبعده.** ترجمة: كميل داغر. ط 1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الأنصاري، حمزة. (1997). **حرب العصابات في لبنان.** ط 1. بيروت: دار الفارابي.
- أُوغستاين، آرشي. (2008). **وجهة نظر مسيحية، تفجيرات انتحارية أم استشهاد.** ترجمة محمد الواكد. صفحات للدراسات والنشر.
- بشارة، عزمي.(2002). **ما بعد الاجتياح في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية.** ط 1. رام الله : مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية.
- البغدادي، مي قاسم. (1993). **الشهادة تأصيل لا استئصال.** ط 1. بيروت: الدار الإسلامية.
- بيري، يعقوب. **القادم لقتلك، مذكرات رئيس الشاباك الصهيوني السابق،** بدون دار نشر، بدون سنة نشر.
- بيريز، شمعون.(2003)." شارون وحماس لعبا دور حاسم في اغتيال خارطة الطريق". **المشهد الإسرائيلي، المدار،** عدد 31.
- الترتوري، محمد عوض وأغادير عرفات جويحان. (2006).**علم الإرهاب – الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب.** ط 1. عمّان. دار الحامد للنشر والتوزيع.
- التقرير الإستراتيجي. (2003). **مفهوم الإرهاب وحق الشعب الفلسطيني في المقاومة.** ط 1. عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط.
- التقرير.(2001). "**انتفاضة الأقصى تعيد النظر بمستقبل الكيان الصهيوني**".عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط عدد 14 و 15.
- التكروري، نوّاف هايل.(2002). **العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي.** ط 2. دمشق: دار الفكر.
- الجرباوي، علي.**(1989). الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة: بحث في النخبة السياسية.** ط 1.بيروت: دار الطليعة.
- حب الله، عدنان. (2003).**الحدث السياسي– قراءة نفسية تحليلية.** ط 1، بيروت: دار العلم.

- حسّونة، خليل.(2002) "بين أحقية عنف المقاومة وعدم شرعية إرهاب الدولة الإسرائيلية، الحالة الوطنية الفلسطينية ". **رؤية**، عدد 17: ص 133-149.
- حواتمة، نايف. (1998). **أُوسلو والسلام الآخر المتوازن** . دمشق: الأهالي.
- حواتمة، نايف. (2004). **أبعد من أوسلو فلسطين إلى أين ؟**. ط 2.القاهرة: دار المحروسة.
- دافيد، ستيفن.(2004). **خيارات قاتلة، سياسة التصفيات الإسرائيلية**. ترجمة محمد الياس نزّال. مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية، مؤسسة باب الواد للإعلام والثقافة.
- الدّجاني، أحمد صدقي.(2001). "ظاهرة الاستشهاد في الواقع الفلسطيني المعاصر". **شؤون عربية**، عدد 107: ص 30-44.
- رويتر، كريستوفر.(2005). **انتحار أم استشهاد-جسدي سلاحاً-حزب الله-القاعده فلسطين-ايران-الشيشان-رؤية غربية**. ترجمة فاطمة نصر. القاهرة: إصدارات سطور.
- سواحل، وجدي عبد الفتّاح.(2003). **القنابل الاستشهادية توازن ردع وبشائر نصر**. ط 1. مصر: مركز الإعلام العربي.
- سويدان، أحمد حسين.(2005). **الإرهاب الدولي في ظل المتغيرات الدولية**. ط 1. بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية.
- شاليف، آرييه.(1993). **الانتفاضة: أسباب، خصائص، انعكاسات**. ترجمة علّيان الهندي. القدس:جمعية الدراسات العربية.

  ص 76-92.
- صالح، محسن محمد.(**2003**).**فلسطين ،دراسات منهجية في القضية الفلسطينية**. ط 1. مصر: مركز الإعلام العربي.
- صايغ، يزيد.(2002). **الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الحركة الوطنية الفلسطينية. 1949 – 1993**. ط 1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الصوفي، أحمد.(2000). " انتفاضة الأقصى، الدوافع والأسباب". **كنعان**، عدد 106: ص 42-52

- ضراغمة، محمد.(2003). "سقوط الهدنة، من يملأ الفراغ". المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، **مدار**، عدد 2728 .
- عامر، أسامة.(2003). "قضايا مثارة حول العمليات الاستشهادية ". **صامد الاقتصادي**، عدد 132.
- عبد الحميد، مهند.(1998)."الإرهاب والعنف وظاهرة العمليات الانتحارية".**السياسة الفلسطينية**، عدد 18: ص 6-22.
- عبد الرحمن، أحمد.(2006). **الرئيس، سنوات مع ياسر عرفات**. ط 1.رام الله: دارالشروق للنشر والتوزيع.
- العبد الله، حميدي وميخائيل معوّض. (2003).**الانتفاضة تحرير فلسطين أمر راهن**. ط 1. بيروت: بدون دار نشر.
- العجرمي، أشرف.(2005). "حماس والانتخابات". **تسامح**، مركز رام الله للدراسات وحقوق الإنسان، عدد 2: ص 39-47.
- عطوان، عبد الباري.(2007). **القاعدة-التنظيم السّري**. بيروت: دار الساقي.
- عليق، ناصر حسن.(2004). **فلسفة الاستشهاد**. بيروت: دار المواسم.
- عماد، عبد الغني.(2002). "المقاومة والإرهاب في الإطار الدولي لحق تقرير المصير". **المستقبل العربي**، عدد 275: ص 24-41.
- العمل الأهلي. "الانتفاضة بين العمل المسلح والمقاومة الشعبية". (11/12/2002). نشرة دورة تصدر عن شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، عدد 37.
- غرينبرغ، ليف.(2007). **سلام متخيَّل-حول الخطاب-الحدود-السياسة والعنف**. ترجمة جواد الجعبري. رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية.
- فاضل، خليل.(1991). **سيكولوجية الإرهاب السياسي**. ط 1. القاهرة: إصدارات خليل فاضل.
- فانون، فرانتز. (1979). **معذبو الأرض**. ترجمة سامي دروبي وجمال الأتاسي. بيروت: دار الطليعة.
- قاروط، عمر وآخرون.(2004). **أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني**.بيروت: باحث للدراسات.

- القضاة، محمد طعمة.(2001).**المغامرة بالنفس في القتال وحكمها في الإسلام(العمليات الاستشهادية).** ط 2.عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- الكوفحي، أحمد.(2006). **بين الجهاد والإرهاب.** ط 1. عمّان: دار عمار للنشر والتوزيع.
- كيّالي، ماجد.(2002). "أضواء على دور فتح في الإنتفاضة، التكامل بين الكفاح السياسي والمقاومة المسلحة".**رؤية**، عدد 18: ص 118–132.
- ـــــــــــ . (2002). "انتفاضة الأقصى تعقيداتها وإشكالياتها".**رؤية**، عدد 20: ص 44–59.
- ـــــــــــ . (2002)."الانتفاضة والمقاومة والعمليات الاستشهادية التأثيرات والإشكاليات". **مجلة الدراسات الفلسطينية**، عدد 52: ص 43–55.
- الكيلاني، هيثم.(1987). **الإرهاب يؤسس دولة، نموذج إسرائيل.** ط 1. القاهرة: دار الشروق.
- محمود، أحمد إبراهيم.(2002). "الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة الاجتياح الإسرائيلي". **السياسة الدولية**، عدد 149.
- المرعشلي، أحمد وآخرون.(1984). **الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية.** ط 1. مج 4، بيروت.
- المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات.(2002). **انتفاضة الاستقلال، العام الأول.** ط 1. بيروت: شركة التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر.
- ـــــــــــ. (2003). **انتفاضة الاستقلال العام الثاني** . ط 1. بيروت: شركة التقدم العربي.
- ـــــــــــ. (2004). **انتفاضة الاستقلال العام الثالث.** ط 1. بيروت: شركة التقدم العربي.
- ـــــــــــ. (2005). **انتفاضة الاستقلال العام الرابع.** ط 1. بيروت: شركة التقدم العربي.
- مركز زايد. (2001). **العام الأول لانتفاضة الأقصى.** دولة الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتنسيق والمتابعة.
- المصري، هاني وخليل شاهين. (2007). " بعد ثمانية أعوام انتفاضة الأقصى في طريقها إلى انتفاضة ثالثة". **الدراسات الفلسطينية**، عدد 72: ص 33–43.

- مصطفى، عبد التوّاب. (2003)." فقه الاستشهاد". **صامد الاقتصادي**، عدد 132: ص 94-116.
- المغربي، فؤاد.(**2002**). **سياسة الولايات المتحدة الخارجية والقطبية الفلسطينية**. ط 1. رام الله: مؤسسة الناشر للدعاية والإعلام.
- مقداد، سامي محمد.(2002). "الاقتصاد الإسرائيلي أضواء على مشروع موازنة 2002". **رؤية**، عدد 18: ص 133-146
- نوفل، ممدوح.(2002). **الانتفاضة انفجار عملية السلام**. ط 1. عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- ـــــــــــ. (2003)."ليس من حق أنصار العمليات الانتحارية توريط الآخرين فيما يجب تفاديه". **صامد الاقتصادي**، عدد 132: ص 71-75.
- ياسين، عبد القادر.(2003). "التجربة اللبنانية في الاستشهاد". **صامد الاقتصادي**، عدد 132: ص 117-133.
- ياهف، دان.(2004). **طهارة السلاح، أخلاق وأسطورة وواقع**. ترجمة جوني منصور. فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية.

رسائل الماجستير والدكتوراة:

- أبو راس، يوسف سلامة.(2006). **سمات ودوافع الاستشهاديين من وجهة نظر أُسرهم**. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة القدس، فلسطين.
- ارشيد، سامر عبد الحميد محمود.(2007). **تأثير إتفاق اوسلو والإنتفاضة الثانية على حركة فتح والسلطة الفلسطينية**. رسالة ماجستير غير منشورة. بيرزيت، رام الله، فلسطين.
- خنفر، نهاد عبد الإله عبد الحميد.(2005). **التمييز بين الإرهاب والمقاومة وأثر ذلك على المقاومة الفلسطينية بين عامي 2001 – 2004**، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة النجاح، نابلس.
- عبد الله، أحمد فارس محمد.(2004). **الانتفاضة الفلسطينية، دراسة تحليلية مقارنة ما بين انتفاضتي عام 1987 – 2000**. رسالة دكتوراه. القاهرة: للبحوث والدراسات العربية.

- عطاونة، أحمد عبد الله محسن.(2007). **الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، 1987-2006**. رسالة ماجستير غير منشورة. بيرزيت، رام الله، فلسطين.
- قاسم، يوسف محمد.(2007). **أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذّات الفلسطينية، انتفاضة الأقصى نموذجاً**. رسالة ماجستير غير منشورة. بيرزيت، رام الله، فلسطين.
- كشك، تغريد سمير.(2006). **إشكالية المقاومة الفلسطينية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001**. رسالة ماجستير غير منشورة. بيرزيت، رام الله، فلسطين.
- هيكل، محمد خير.(1996). **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، رسالة دكتوراه عن الجهاد في صدر الإسلام والفقه الإسلامي والعصر الحديث. جامعة النجاح، نابلس.
- هيلانه، روز يعقوب.(2008). **أثر أحداث 11 سبتمبر على الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية**. رسالة ماجستير غير منشورة. بيرزيت، رام الله.

المقابلات:

- اللّواء إسماعيل جبر(الحاج إسماعيل) مستشار الرئيس للشؤون العسكرية. مقابلة بتاريخ 18/6/2008.
- اللّواء بشير نافع. قائد جهاز الاستخبارات العسكرية في الضفة الغربية سابقاً. مقابلة بتاريخ 25/4/2005
- حسام خضر، قيادي في حركة فتح وعضو مجلس تشريعي سابق. مقابلة بتاريخ 20/12/2008.
- العميد سامح عبد المجيد. المخابرات العامة. مقابلة بتاريخ 20/1/2009. رام الله
- د.عبد الرحمن الحاج. أستاذ علوم سياسية. جامعة القدس(أبو ديس) مقابلة بتاريخ 30/7/2008.
- العميد ماجد فرج. قائد جهاز الاستخبارات العسكرية. مقابلة بتاريخ 24/1/2009. رام الله
- د.محمد بريغيث. أخصائي نفسي إكلينيكي، جامعة القدس المفتوحة، مقابلة بتاريخ 14/12/2008.
- د. معتصم الناصر. أستاذ العلوم السياسية في جامعة القدس(أبو ديس)،مقابلة بتاريخ 7/11/2008 رام الله.

- ناصر أبو خضير، أستاذ العلوم السياسية في جامعة القدس(أبو ديس) وعضو في الجبهة الشعبية. مقابلة بتاريخ 30/10/2008 . القدس
- ناصر أبو عزيز، عضو المجلس الوطني الفلسطيني وعضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية، مقابلة بتاريخ 22/9/2008. رام الله

المقابلات التلفزيزنية:

- نافيه، داني. وزير الدولة الإسرائيلي، التلفزيون الإسرائيلي، القناة الأولى 16/12/2001.
- مريدور، سالي. رئيس الوكالة اليهودية التي تعنى بتهجير اليهود إلى فلسطين، التلفزيون الإسرائيلي، القناة الأولى 3/1/2003.

الصحف:

- صحيفة الأيام الفلسطينية. 23/2/2002.
- صحيفة القدس الفلسطينية. 12/1/2008.
- ـــــــــــــ . 12/9/2002.
- ـــــــــــــ .15/10/2004.
- ـــــــــــــ . 12/1/2008.
- صحيفة هآرتيس الإسرائيلية. 4/8/2003.
- صحيفة يدعوت أحرونوت الإسرائيلية.1/12/2000.

الانترنت:

- أبراش، إبراهيم. "الإرهاب اشكاليته في تعريفه لا في محاربته إرهاب الأقوياء ودفاع الضعفاء" . 12/8/2007 (استرجعت بتاريخ: 5/8/2008).

www.sis.gov.ps/arabic/royal/17/page2.html

- أبو الغزلان، هيثم. "المقاومون وعامل الاستشهاد ضرورة المطلب وانتفاء البديل". 5/7/ 2004. (استرجعت بتاريخ:6/5/2006).

www.inbaa.com/modales.

- أبو غوش، نهاد. المستقبل 23/2/2004، عدد 1529: ص 1.

http://www.almustaqbal.com/stories.aspx?storyid=52969

- انتفاضة الأقصى في عامها الرابع.

www.vahdet.com.tr/filistin/lokuman/kitap/kitap101.gtml

- أورون، يسرائيل. "الاستشهاديون ليسوا انتحاريين". 25/4/2003.(استرجعت بتاريخ: 16/7/2008).

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=7093.

- بن جِدّو، غسّان. "الظاهرة الاستشهادية". برنامج حوار مفتوح. 29/6/2002. (استرجعت بتاريخ: 12/2/2006).

www.aljazeera.net/chanel/archive?archived-9080#li

- بيب، روبرت. "موت في سبيل النصر، المنطق الاستراتيجي للإرهاب الانتحاري". ترجمة مسعد حجازي. راندوم هاوس للنشر 7/8/2005. (استرجعت بتاريخ:27/8/2008).

http://www.alhaqaeq.net/?rqid=2&secid=5&art=32142.

- الترك، عبد الرحمن. "مستقبل الاستشهاد والمقاومة في فلسطين".31 تموز 2002. (نسخة إلكترونية).

http://www.amin.org/views/abdulrahmanalturk/2002/jul31.html.

- الأشقر، اسماعيل ومؤمن بسيسو. "حصاد الإنتفاضة الفلسطينية بلغة الأرقام". المركز العربي للبحوث والدراسات. مارس 2005. (استترجعت بتاريخ 7/6/2007).

http://www.Fm-m.com/2005/mar2005/story8.htm .

- واطسون، بيتر. تعليق على مقال حول العمليات الانتحارية، بعنوان (Want to die for your faith do you). ترجمة وائل عبّاس. 20/9/2004. (نسخة إلكترونية). (استرجعت بتاريخ:14/9/2007).

http://misrdigital.blogspot.com/2004/12/blog-post_110357769061338242.htmI.

- التقرير الاستراتيجي العربي. "إسرائيل والانتفاضة معادلة الأمن المطلق". 1/1/2001. (استرجعت بتاريخ: 5/3/2004).

Http://www.acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/rirbg.htm

- حصاد العمليات في خمس سنوات. 26/12/2005. (استرجعت بتاريخ: 17/9/2006).

http://www.ikhwanonline.com?article.

- دراغمة، محمد." بعد أربع سنوات على اندلاعها، هل وقعت الانتفاضة فريسة الأخطاء الذاتية".

15 تشرين الأول 2004 .

http://www.amin.org

- دغلس، عاطف." انتفاضة الأقصى الثانية تدخل عامها التاسع". 29/9/2008. (استرجعت بتاريخ:

9/12/2008).

www.aljazeera.net.

- راضي، مازن ليلو وكريم مزعل. "الإرهاب والمقاومة في القانون الدولي". (استرجعت بتاريخ

15/9/2008).

www.aladwaa.n1/modules.php

- الرنتيسي، عبد العزيز. "العمليات الاستشهادية هي الحل". مركز الإعلام الفلسطيني. 20/6/2002.

(استرجعت بتاريخ: 14/3/2006)

http://palestine-info/arabic/palstudy/readers/articles/rantese/20-6-2002.htm

- الرنتيسي، عبد العزيز. "لماذا يتنافس الشباب الفلسطيني على العمليات الاستشهادية". 17/7/2002.

(استرجعت بتاريخ:14/3/2006).

http://www.alaljammaa.net/avdetail-khabar2aps?id=14488

- الزعاترة، ياسر. "ظاهرة الاستشهاد، صناعة للحياة وليس للموت". 22/4/2003. (استرجعت بتاريخ:

16/2/2007).

www.qudsway.com/links/quds/1/htm/quds1quds.

- شارون، آرييل. "حديث صحفي بتاريخ 5/3/2002". مجلة الرقيب. عدد 31: السنه السادسة، تشرين

أول 2002. (نسخة الكترونية).

www.phrmg.org/arabic/monitor2002/oct2002.htm.

- الشربيني، هادية، ووفاء الشيشيني. "العمليات الاستشهادية والدولة الفلسطينية، جرائم شارون وراء كل

الأعمال الفدائية". 26 يونيو 2002. (نسخة الكترونية).

www.akhbarelyom.org.eg/akhersaa/issue/3531/DIDI.htmI.

- الشعيبي، حمّود بن عقلاء. "فتاوى العمليات الاستشهادية".(استرجعت بتاريخ: 16/9/2005).

http://www.alsakifah.org/vb/printthread.php

- الصلاحات، سامي. "العمليات الاستشهادية في منظور السياسة الشرعية".القاهرة: مركز الإعلام العربي. 2006. (نسخة الكترونية).

http://www.alqudsonline.com/book_show.asp?topic_id=16

- عكاش، عمار."سيكولوجية الإرهاب في المجتمعات العربية" 20/12/2005. (استرجعت بتاريخ: 17/3/2007).

http://www.ahewar.org/dabat/show.art.asp?aid=52799.

- علّوش، إبراهيم. "حول الحكمة السياسية للقنابل البشرية". الصوت العربي الحرّ. (نسخة الكترونية). (استرجعت بتاريخ: 17/5/2007).

http://www.freearabvoice.org/arabi/magalat/alhikmatulsiyasiya.htm

- علّوش، ابراهيم. "ماذا تعني الحرب على الإرهاب". 12/8/2005 نشرت الدراسة على حلقتين في الملحق الأسبوعي للعرب اليوم الأردنية في 29 /8 و 5/9/2005.

www.freearabvoice.org/arabi/magalat/mathata3neea17ara

- الجولاني، عاطف."العمليات الاستشهادية سلاح فتّاك يهدد وجودنا بالزوال". مجلة المجتمع، 2/7/2002 (استرجعت بتاريخ 21/9/2005). (نسخة الكترونية). (استرجعت بتاريخ: 17/9/2008).

http://www.almugtamaa-_mag.com/detail.asp?inesctionid=1243.

- الموسوعة الحرة–ويكيبيديا. "عملية إنتحارية". (استرجعت بتاريخ: 17/5/2005).

http://www.ar.wikpedia.org.

- عوض الله، حيدر." بانوراما الانتفاضة، الحصاد المرّ". 27/12/2007. (استرجعت بتاريخ: 16/3/2008).

http://fatehforums.com/showthread.php?t=104322.

- فاروق، أحمد. "حركات المقاومة الفلسطينية، أهدافها ونشأتها ورموزها". (استرجعت بتاريخ: 7/8/2007)

http://www.annoormagazin.com/mag/ar/155/ahdath/ahdath-03.

- قانصوة، وجيه." العمليات الاستشهادية وإشكالية المشروعية". 28 أيار 2002.(نسخة الكترونية).

(استرجعت بتاريخ:3/4/2005).

http://www.sanabes.com/fourms/archive/index.php/t-178.html

- القرضاوي، يوسف." فتاوى حول العمليات الاستشهادية". (استرجعت بتاريخ: 9/11/2006).

www.farwanapal.8m.com/fatwa3.htm.

- كشك، تغريد."ظاهرة العمليات الإنتحارية التفجيرية جدل مستمر". (استرجعت بتاريخ 29/11/2006).

http://www.grenc.com/a/kishek/show-myarticle.cfm?id=4061-29k.

- كيّالي، ماجد. "إشكالية المقاومة المسلحة والعمليات الاستشهادية ". حزيران 2002. (نسخة إلكترونية)

www.arabicmediainternetwork.htm.

- ــــــــــــــ. "العمليات الاستشهادية إلى متى وإلى أين؟"3 آذار 2005 (نسخة إلكترونية) (استرجعت بتاريخ 20/8/2008).

http://old.amin.org/views/majed-kayali/2005/mar3.htmI.

- ــــــــــــــ. "بعد تقويض اتفاق أوسلو هل يتملص شارون من خارطة الطريق". السنه الأولى، عدد 29: 3/6/2003. (استرجعت بتاريخ:1/7/2006).

www.almash_had.org/com

- ــــــــــــــ" تجربة الكفاح المسّلح بين بريق الشعارات وواقع الإحصائيات". 30 كانون الثاني 2008. (نسخة إلكترونية) (استرجعت بتاريخ 25/11/2008).

http://www.amin.org/look/amin/artcle.

- ــــــــــــــ. "بين فتح وحماس إلى أين ستذهب الساحة الفلسطينية".(نسخة إلكترونية) (استرجعت بتاريخ 29/8/2008).

http://www.amin.org.

- هيومن رايتس واتش. "لحظة واحدة تمحو كل شيء: التفجيرات الانتحارية ضد المدنيين الاسرائيليين".

(استرجعت بتاريخ:16/5/2007).

http://www.hrw.org/arabic/reports/2002/isr-pa-sbl.htm.

.

- مشعل، خالد. "الظاهرة الاستشهادية". برنامج حوار مفتوح، 29/6/2002. (استرجعت بتاريخ: 4/6/2004).

www.aljazeera.net.

- ـــــــــــــــ. "العمليات الاستشهادية فرضها تصاعد العدوان الإسرائيلي ضد المدنيين واختلال ميزان القوى". دار الحياة، 7/12/2003. (استرجعت بتاريخ:13/2/2005).

http://www.daralhayat.com/special/futures/12- 2003/206/07pl5/01.txt/story.htm

- مصطفى، ياسين." انتفاضة الأقصى تعرّي الكيان الصهيوني من أي ستر". 22/10/2004. (نسخة إلكترونية)

http://www.arraee.com/moudules.php.

- مقادمة، ابراهيم. " متى توقف حماس عملياتها الإستشهادية".13/9/2002. (استرجعت بتاريخ: 14/6/2006).

http://www.alarabnews.com/alshaab/glf/13-09-2002/palestine4.htm

- نزّال، محمد. برنامج الاتجاه المعاكس، قناة الجزيرة الفضائية 20/8/2002. (نسخة الكترونية).

http://www.aljazeera.net.

- النّعامي، صالح. "السلطة والمقاومة في مفترق طرق". شؤون سياسية. 8/12/2001. (نسخة الكترونية). (استرجعت بتاريخ:16/1/2005).

http://islamonline.net/Arabic/politics/2001/12/artical6.shtm.

- ـــــــــــــــ. "انتفاضة الأقصى رواية إسرائيلية أخرى، المقاومة وتأثيرها على إسرائيل". (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ:25/3/2006).

http://www.naamy.net/view.php?id=203z4k

- ـــــــــــــــ. "العمل الفلسطيني المقاوم أماكن الخلل".(نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 13/1/2008).

http://www.aljazeera.net

- ـــــــــــــــ. "سبتمبر 2002 إسرائيل تمهد لاجتياح غزة وتصفية حماس". شؤون فلسطينية. (نسخة الكترونية) 1/1/2002. (استرجعت بتاريخ 9/5/2008).
- نعمان، عصام. "المشروعية الدولية للمقاومة المسلّحة".(نسخةالكترونية) (استرجعت بتاريخ 27/2/2009).

www.moqawama.org.

- هاس، عميرة." إسرائيل مطالبة أن تفهم أن سياستها كارثية". ترجمة مزوار الإدريسي.

http://www.elaph.com/elaphwep/newspaper/2005/4/56082.htm.

- ـــــــــــــــ. "يحلّقون نحو الجنة". المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، 8/4/2003. (استرجعت بتاريخ: 7/4/2005).

http://almash-had.madarcentre.org/almash-had/viewarticle.asp.

- وثيقة مفموم الإرهاب والمقاومة رؤية عربية – اسلامية. الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، تموز 2003. (استرجعت بتاريخ 16/2/2008).

http://mesc.com.jo/mesc-11-01.htm

المراجع باللغة الإنجليزية

- Sarraj, Eyad. "Why we do have to become suicide bombers? Understanding Palestinian terror". http:// www.midlleeast.org.
- Jerrold M. post and Sprinzak. 2002. "Terrors aftermath: A convicted hamas terrorists talks about his mission to destroy Israel". Los Angeles times .07july 2002.
- Kimhi, Saul And Shamuel Even. (2004). who are the Palestinian suicide terrorists? Jaffy center for the strategic studies, Israel. http://www.tau.au.il/jcss/sa/v6n2p5kim.html
- Reuter,Christoph.(2004). My Life Is a Weapon: a Modern History Of Suicide Bombing. Foreign Affairs. (Electronic Version). http://www.foreignaffairs.com

- Luft, Gal. (2002)." The Palestinian H-Bomb: terrors Winning Strategy". Foreign Affairs. (Electronic Version). http://foreignaffairs.com/article/58028/gal-luft/the-palestinian-h-bomb-terrors-winning-strategy.
- Margalit, Avishai. (2003). "The Suicide Bombers". The new York Review Of Books. http://www.nybooks.com/articles/15979.
- Abu nimah, Ali. (2003).Opinions/Editorial On Violence And The Intifada (ElectronicVersion)http://www.electronicintifada.net/v2/printer1098.shtml
- Amnesty International.(2002).Without Distinction:. Attacks On civilians By Palestinian Armed Groups. . (Electronic Version) http://www.nybooks.com.
- Human Rights Watch. (2002). "Erased In A moment: Suicide Bombing Attacks Against Israeli Civilians". (Electronic Version). http://www.nybooks.com.
- bucaille Luetitia. (2004). Growing Up Palestinian: Israeli Occupation and The Intifada generation Princeton.

الملاحق.

جداول العمليات التفجيرية منذ العام 1993 – 2008.

جدول رقم (1)

العمليات الاستشهادية في ظل اتفاقية أوسلو، وقبل انتفاضة الأقصى 1993– 2000

التاريخ	اسم الاستشهادي	مكان حدوث العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية للعملية
16/4/1993	ساهر التمام	مستوطنة محولا/ بيسان	قتل وجرح العشرات	كتائب عز الدين القسام/ حماس
4/10/1993	سليمان زيدان/ 46 عام	حافلة عسكرية قرب مستوطنة بيت ايل/ رام الله	3 جنود وعشرات الجرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
6/4/1994	رائد عبدالله زكارنه	العفولة	9 قتلى و 50 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس(ردا على مذبحة الحرم الإبراهيمي)
13/4/1994	عمار عمارنة	الخضيرة شمال تل أبيب	5 قتلى و 30 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس(الرد الثاني على مذبحة الحرم الإبراهيمي)
19/10/1994	صالح عبد الرحيم صوي	شارع ديزنغوف/ تل أبيب	23 قتيلاً و 47 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
11/11/1994		مستوطنة نتساريم/ قطاع غزة	3 جنود	الجهاد الإسلامي
22/1/1995	صلاح عبد الحميد وأنور سكر	تل أبيب	22 قتيل و 64 جريحا	كتائب عز الدين القسام/ حماس
9/4/1995	خالد محمد الخطيب	مستوطنة كفار داروم/ قطاع غزة	9 جنود و 43 جريحاً	الجهاد الإسلامي
9/4/1995	عماد أبو أمونة	مستونة نتساريم/ قطاع غزة	جندي و 10 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
24/7/1995	لبيب قاسم	حافلة رقم 20/ تل أبيب	6 قتلى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
21/8/1995	سفيان جبارين	حافلة رقم 26/ رامات أشكول/ القدس	9 قتلى و 89 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
25/2/1996	مجدي محمد أبو وردة	حافلة في القدس	24 قتيلاً بينهم 13 جندي و 50 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس(بعد 50 يوم على اغتيال يحيى عياش)
25/2/1996	إبراهيم حسن السراحنة	عسقلان	3 جنود و 30 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
4/3/1996	عبدالكريم الشغنوبي	القدس	19 قتيلاً و 10 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
4/3/1996	رامز عبيد	تل أبيب	13 قتيلاً	الجهاد الإسلامي
21/3/1997	موسى غنيمات	مقهى وسط تل أبيب	3 قتلى 46 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
30/7/1997	استشهاديان	سوق تجاري/ محني يهودا/ القدس الغربية	17 قتيلاً و 150 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس(قبل دقائق من وصول المبعوث الأمريكي دينيس روس لفلسطين لبحث القضايا المتعلقة بالقدس والاستيطان وحق عودة اللاجئين)
4/9/1997	ثلاث عمليات تفجيرية	شارع بن يهودا التجاري/ القدس الغربية	8 قتلى و 170 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
6/11/1998	عملية مزدوجة	القدس	24 جريحاً	الجهاد الإسلامي

جدول رقم (2).

العمليات الاستشهادية عام 2000

التاريخ	الاسم	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
26/10/2000	نبيل فرج العرعير	24عام/ الشجاعية	حاجز عسكري غزة	مقتل وإصابة عدد غير معروف	الجهاد الإسلامي
9/12/2000	حمدي انصيو	غزة	غزة	مقتل وإصابة عدد غير معروف	حماس
22/12/2000	هاشم النجار	الخليل.	مستوطنة ميحولا	3 قتلى و 30 جريح.	حماس

جدول رقم (3)

العمليات الاستشهادية عام 2001

التاريخ	الاسم	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
1/1/2001	حامد أبو حجلة	27 عاماً/ نابلس	نتانيا	أكثر من 50 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
3/3/2001	احمد عمر عليان	23 عاماً/ طولكرم	نتانيا	3 قتلى و 45 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
23/3/2001			حاجز إسرائيلي قرب قلقيلية	3 قتلى و 30 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
27/3/2001	ضياء حسين الطويل	22 عاماً/ البيرة	التلة الفرنسية / القدس	قتيل و 47 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
28/3/2001	فادي عطا الله	23 عاما/ قلقيلية	تل أبيب	قتيلين و 7 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
28/3/2001	إيهاب عبد الحافظ أبو هلال	25 عاماً/ غزة	بتاح تكفا		كتائب عز الدين القسام/ حماس
21/4/2001	عمر إسلام أبو عطية	22 عاماً/ غزة	كفار سابا/ تل أبيب	قتيل و 50 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
22/4/2001	عماد كامل الزبيدي	18 عاماً/ نابلس	كفار سابا/ تل أبيب	أكثر من 17 قتيلاً و 28 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
29/4/2001	جمال عبد الغني رشيد ناصر	23 عاماً/ نابلس	نابلس/ مستوطنة شافي شمرون	قتيل ونحو 50 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
4/5/2001	أحمد عمر عليان	23 عاماً/ مخيم عين شمس	نتانيا	3 مستوطنين و 45 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
18/5/2001	محمود أحمد مرمش	20 عاماً/ طولكرم	نتانيا	6 قتلى و 100 جريح	كتائب عز الدين القسام/ حماس
25/5/2001	حسين محمد أبو النصر	22 عاماً/ غزة	قرب نتساريم		سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
25/5/2001	أسامة درويش أبو الهيجا	22 عاماً/ جنين	الخضيرة	قتيلين و 65 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
1/6/2001	سعيد الحوتري	22 عاماً/ قلقيلية	تل ابيب	18 قتيلاً و 100 جريح	كتائب عز الدين القسام/ حماس
23/6/2001	إسماعيل المعصوابي	23 عاماً	يهودا/ تل أبيب	قتيلين و 7جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
16/7/2001	نضال مصطفى إبراهيم أبو شادوف	20 عاماً/ جنين	طريق الخضيرة- حيفا/ شمال تل أبيب	ثلاثة جنود و 21 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
9/8/2001	عز الدين أحمد المصري	23 عاماً/ جنين	شارع يافا/ القدس الغربية	19 قتيلاً و 180 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
12/8/2001	محمد محمود بكر نصر	28 عاماً/ جنين	حيفا	أكثر من 39 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
4/9/2001	رائد نبيل البرغوثي	26 عماً/ رام الله	القدس الغربية	5 قتلى و 42 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
9/9/2001	محمد شاكر حبيشة	48 عاماً/ منطقة 48	محطة قطارات نهاريا	مقتل 3 جنود	كتائب عز الدين القسام/ حماس
10/9/2001	عبد الفتاح محمد مصلح	22 عاماً/ طولكرم	مفرق بيت ليد	أكثر من 10 جرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي

	راشد				
4/10/2001	نظير أحمد حامد حماد	28 عاماً/ جنين	العفولة	3 قتلى و 17 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
7/10/2001	أحمد عبد المنعم ضراغمة	18 عاماً/ جنين	بيسان	ضابط وجريحين	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
23/10/2001	محمد زياد ومروان حلبية	24 عاماً/ جنين	حاجز عناب/ طولكرم	مقتل عدد من المستوطنين	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
4/11/2001	حاتم نعيم الشوبكي	24 عاماً/ الخليل	التلة الفرنسة/ القدس	مقتل مستوطنين و 46 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
8/11/2001	مؤيد صلاح الدين عبادة	25 عاماً/ طولكرم	باقة الشرقية/ طولكرم	5 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
26/11/2001	تيسير أحمد العجرمي	26 عاماً/ غزة	حاجز إيريز	جرح جنديين	كتائب عز الدين القسام/ حماس
27/11/2001	عبد الكريم أبو ناعسة	20 عاماً/ جنين	العفولة	مقتل مستوطنة و 50 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
29/11/2001	سامر عمر شواهنة	21 عاماً/ جنين	الخضيرة	3 قتلى و 60 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
1/12/2001	نبيل محمود حلبية وأسامة بحر	24 عاماً/ القدس و 25 عاماً/ القدس	القدس الغربية	10 قتلى و 180 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
2/12/2001	ماهر محيي الدين حبيشة	23 عاماً/ نابلس	حيفا	18 قتيلاً و 40 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
5/12/2001	داوود عابد أبو صوي	43 عاماً/ بيت لحم	شارع الملك داوود/ القدس الغربية	14 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
9/12/2001	نمر أبو سيفين	22 عاماً/ جنين	حيفا	30 جريحاً من الجنود	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
11/12/2001	عاصم ريحان	نابلس	مستوطنة عمانوئيل/ شمال الضفة	10 قتلى و 30 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
12/12/2001	أمجد فياض وعلي عاشور	20 عاماً و 19 عاماً/ غزة	مستوطنة نفي ديكاليم/ خانيونس	4 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس

جدول رقم (4)

العمليات الاستشهادية عام 2002

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
17/1/2002	عبد السلام صادق حسونة	قطاع غزة	مدينه الخضيرة	6 قتلى و 30 جريح	كتائب الأقصى
25/1/2002	صفوت عبد الرحمن خليل وسعيد ردقة	19 عاماً/ نابلس	تل أبيب	4 قتلى و 45 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
28/1/2002	وفاء علي إدريس	28 عاماً/ مخيم الأمعري	شارع يافا/ القدس	قتيلين و 140 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
16/2/2002	عاهد صادق عبد الحق	قلقيلية	تل هشارون/ تل أبيب	مقتل مستوطنين و 30 جريحاً	كتائب الشهيد أبو علي مصطفى/ الجبهة الشعبية
17/2/2002	عبد الجبار عبد القادر ومحمد حموضة	22 عاماً/ طولكرم و 18 عاماً/ نابلس	الخضيرة	5 جرحى	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
18/2/2002	ياسر عودة	34 عاماً/ بيت لحم	شارع معالية ادوميم/ القدس	مقتل شرطي وجريحين	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
22/2/2002	توفيق محمد الشمالي	24 عاماً/ بيت لحم	مستوطنة أفرات		
27/2/2002	دارين أبو عيشة	22 عاماً/ نابلس	حاجز عسكري	مقتل جندي و	كتائب شهداء الأقصى/ فتح

		شمال الضفة		3جرحى	
2/3/2002	محمد احمد ضراغمة الشوعاني	القدس	19 عاماً/ مخيم الدهيشة	11 قتيل و 50 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
5/3/2002	عبد الكريم عيسى خليل طحاينة	العفولة	21 عاماً/ جنين	مقتل جندي و 30 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
5/3/2002	محمد عبد الله عطاونة	بيت إيل		مقتل 3 مستوطنين و 10 جرحى	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
7/3/2002	شادي محمد نصار	مستوطنة أرائيل	24 عاماً/ نابلس	عشرات الجرحى	كتائب الشهيد أبو علي مصطفى/ الجبهة الشعبية
9/3/2002	فؤاد اسماعيل الحوراني	القدس الغربية	الخليل	11 قتيلاً و 40 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
9/3/2002	سعيد البطة وشادي النجمة	نتانيا	طولكرم	3 قتلى و 50 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
17/3/2002	عمار عبد المجيد الشخشير	كفار سابا/ تل أبيب	19 عاماً	مقتل مستوطن و 16 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
17/3/2002	أكرم النبتيتي	التلة الفرنسية/ القدس	22 عاماً/ بيت لحم	22 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
20/3/2002	رأفت سليم أبو دياك	مصمص/ أم الفحم	20 عاماً/ جنين	7 قتلى و 30 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
21/3/2002	محمد مشهور حشايكة	شارعالملك داوود/ القدس	21 عاماً/ نابلس	3 قتلى و 40 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
27/3/2002	عبد الباسط عودة	نتانيا	25 عاماً/ طولكرم	30 قتيلاً و 120 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
28/3/2002	أحمد عبد الجواد	نابلس	مستوطنة ألون موريه	4 قتلى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
29/3/2002	آيات الأخرس	القدس الغربية	16 عاماً/ مخيم الدهيشة	3 قتلى و 20 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
30/3/2002	مهند صلاحات	تل أبيب	نابلس/مخيم الفارعة	قتيل و 27 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
31/3/2002	شادي زكريا الطوباسي	حيفا	23 عاماً/ جنين	16 قتيلاً و 45 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
1/4/2002	رامي الشوعاني	بيت لحم	القدس	3 قتلى و 3 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
10/4/2002	أيمن أبو الهيجا	جنين	حيفا	10 قتلى و 40 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
10/4/2002	راغب أحمد جرادات	17 عاماً/ جنين	حيفا	مقتل 10 جنود و 20 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
12/4/2002	عندليب طقاطقة	18 عاماً/ بيت لحم	القدس	مقتل 6 مستوطنين و 70 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
19/4/2002	عبد الله حسن أبو عودة	20 عاماً/ غزة	مستوطنة غوش قطيف/ غزة	جرح جنديين	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
20/4/2002	نضال ضراغمة	18 عاماً/ جنين	القدس	6 قتلى و 90 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
7/5/2002	محمد جميل معمر	أردني الجنسية	ريشون لتسيون/ تل أبيب	20 قتيلاً و 40 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس

19/5/2002	أسامة بشار	18 عاماً/ مخيم عسكر	نتانيا	قتيل و 50 جريحاً	كتائب الشهيد أبو علي مصطفى/ الجبهة الشعبية
22/5/2002	محمد عوض حمدية	20 عاماً/ غزة	العفولة		سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
22/5/2002	سالم عيسى بدير شكوكاني	17 عاماً/ بيت لحم	تل أبيب	قتيلين و 40 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
22/5/2002	عيسى عبد ربه	16 عاماً/ بيت لحم	ريشون لتسيون	3 قتلى و 40 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
24/5/2002	عامر شكوكاني	20 عاماً/ رام الله	تل أبيب	5 جرحى	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
27/5/2002	جهاد الطيطي	18 عاماً/ مخيم بلاطة	مجمع تجاري/ تل أبيب	4 قتلى و 150 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
5/6/2002	حمزة سمودي	18 عاماً/ جنين	مجدو	مقتل 19 جندياً و 50 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
11/6/2002	عمر زيادة	29 عاماً/ نابلس	هرتسيليا/ تل أبيب	15 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
18/6/2002	محمد هزاع الغول	23 عاماً/ الفارعة	القدس الغربية	18 قتيلاً و 50 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
19/6/2002	سائد عواد	17 عاماً/ نابلس	التلة الفرنسية/ القدس	7 قتلى و 40 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
30/7/2002	حازم صرايرة	17 عاماً/ بيت جالا	القدس	جرح 4 جنود	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
4/8/2002	جهاد حمادة		مفرق ميرون قرب صفد	10 قتلى و 40 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
5/8/2002	مرزوق مدحت غوادرة	21 عاماً/ جنين	أم الفحم		
18/9/2002		مخيم جنين	أم الفحم	قتيل و 3 جرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
19/9/2002	إياد نعيم صبحي رداد	سلفيت	تل أبيب	6 قتلى وقرابة 60 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
10/10/2002	رفيق محمد حماد	31 عاماً/ قلقيلية	بني براك/ تل أبيب	قتيل و 12 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
18/10/2002	كرم أبو عبيد		مستوطنة .../ غزة	جرح جندي	كتائب عز الدين القسام/ حماس
21/10/2002	محمد فوزي حسين وأشرف الأسمر	18 عاماً و 17 عاماً/ جنين	الخضيرة	14 قتيلاً و 40 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
27/10/2002	محمد البسطامي	22 عاماً/ نابلس	مستوطنة أرائيل	4 قتلى و 30 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
4/11/2002	نبيل صوالحة	24 عاماً/ مخيم بلاطة	كفار سابا/ تل أبيب	قتيلين و 7 جرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
6/11/2002	إسماعيل عاشور	25 عاماً/ خان يونس	مستوطنة رفح يام	مقتل مستوطنين	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
7/11/2002	مصطفى مازن حنني	بيت فوريك	حاجز عسكري قرب نابلس		سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
10/11/2002	مصطفى لطفي محمود أبو حنانة	21 عاماً/ نابلس	كيبوتس متسر/ باقة الغربية	5 قتلى	كتائب عز الدين القسام/ حماس

15/11/2002	هاشم سرور وأكرم عبد الهنيني وذياب المحتسب		الخليل/ البلدة القديمة	مقتل 12 جندياً و 15 جريحاً	حماس والجهاد الإسلامي
21/11/2002	نائل أبو هليل	23 عاماً/ الخليل	القدس الغربية	11 قتيلاً و 47 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
23/11/2002	جمال علي إسماعيل ومحمد سميح المصري	21 عاماً و 19 عاماً	غزة	4 جرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
27/11/2002	مهند إسماعيل مهدي	21 عاماً	معبر إيريز	دون إصابات لاكتشاف أمره	كتائب الشهيد أبو علي مصطفى/ الجبهة الشعبية
28/11/2002	عمرو يوسف أبو الرب		بيسان	6 قتلى و 30 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
29/11/2002	سالم شهوان		مستوطنة غوش قطيف/ غزة		كتائب شهداء الأقصى/ فتح
25/12/2002	صفوت خليل	17 عاما/ نابلس	تل أبيب	25 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
27/12/2002	محمد مصطفى شاهين		شارع يافا/ القدس الغربية	4 قتلى و 8 جرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
28/12/2002			القدس	بدون إصابات	

جدول رقم (5)

العمليات الاستشهادية عام 2003

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
5/1/2003	براق عبد الرحمن وسامر عماد النوري	نابلس	المحطة المركزية/ تل ابيب	23 قتيلاً و 100 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
17/1/2003	طارق أبو سنينة وحمزة القواسمي	الخليل	مستوطنة شرق الخليل	مقتل مستوطن وجريحين	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
30/1/2003	مراد أبو العسل	23 عاماً/ طولكرم	الطيبة/ شمال تل أبيب	جرح ضابطين و 3 جنود	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
5/3/2003	محمود عمران القواسمي	20 عاماً/ الخليل	حيفا	17 قتيلاً و 40 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
6/3/2003	حازم القواسمي ومحسن عمران القواسمي	الخليل	مستوطنة كريات أربع	مقتل 3 مستوطنين	كتائب عز الدين القسام/ حماس
30/3/2003	رامي جميل غانم	20 عاماً/ طولكرم	نتانيا	30 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
15/4/2003	محمد يونس		معبر كارني/ غزة	قتيل	كتائب عز الدين القسام/ حماس
24/4/2003	أحمد خالد الخطيب	18 عاماً/ مخيم بلاطة	كفار سابا	قتيل و 16 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
30/4/2003	عاصف محمد حنيف	22 عاماً	تل أبيب	3 قتلى و 64 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
9/5/2003	محمود سعيد العناني	20 عاماً/ دير البلح	مستوطنة كفار دروم/	فشل العملية لاكتشاف	كتائب شهداء

			غزة	أمره	الأقصى/ فتح
18/5/2003	بسام جمال التكروري	19 عاماً/ الخليل	القدس الشرقية	7 قتلى و 20 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
19/5/2003	شادي النباهين	21 عاماً/ غزة	كفار دروم/ غزة	جرح 3 جنود	كتائب عز الدين القسام/ حماس
19/5/2003	هبة ضراغمة	19 عاماً/ جنين	العفولة	4 قتلى و 20 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
11/6/2003	عبد المعطي شبانة	18 عاماً/ الخليل	القدس الغربية	17 قتيلاً و 75 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
19/6/2003	أحمد علي مفلح عباهرة	20 عاماً/ جنين	بيسان	مقتل مستوطن	سرايا القدس/ الجهاد الإشلامي
7/7/2003	أحمد عبد الرحمن فتحي يحيى	22 عاماً/ جنين	تل أبيب	قتيل و 3 جرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
12/8/2003	خميس غازي جروان	18 عاماً/ مخيم عسكر	مستوطنة راس العين/ تل أبيب	قتيل و 10 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
19/8/2003	رائد عبد الحميد مسك	29 عاماً/ الخليل	القدس الغربية	23 قتيلاً و 150 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
9/9/2003	رامز عز الدين	22 عاماً / رام الله	تل أبيب	9 قتلى وعشرات الجرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
9/9/2003	إيهاب أبو سليم	19 عاماً/ رام الله	القدس	7 قتلى وعشرات الجرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
4/10/2003	هنادي جرادات	28 عاماً/ جنين	حيفا/مطعم مكسيم	19 قتيلاً و 60 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
8/10/2003	أحمد عوريف	18 عاماً	حاجز عسكري صهيوني/ طولكرم	جريحين من الجنود	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
24/10/2003	سمير محمد حامد فودة	22 عاماً	مستوطنة نتساريم/ غزة	3 قتلى وجريحين	كتائب القسام وسرايا القدس/ مشتركة
3/11/2003	صبيح كمال أبو السعود	17 عاماً	حاجز عسكري في قرية عزون	جرح جندي	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
4/11/2003	نبيل صوالحة	19 عاماً/ مخيم بلاطة	كفار سابا	قتيلين و 44 جريح	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
25/12/2003	سائد حنني	18 عاماً/ نابلس	تل أبيب	4 قتلى و 15 جريحاً	كتائب الشهيد أبو علي مصطفى/ الجبهة الشعبية

جدول رقم (6)

العمليات الاستشهادية عام 2004

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
11/1/2004	إياد بلال المصري	17 عاماً/ نابلس	حاجز عسكري/ نابلس	انفجار الحزام نتيجة خلل فني	لم تتبنى العملية أي جهة
14/1/2004	ريم صالح الرياشي	22 عاماً/ غزة	معبر بيت حانون/غزة	مقتل 4 جنود و 12 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
29/1/2004	علي منير جعارة	24 عاماً/ بيت لحم	القدس/ باص خط 19	10 قتلى و 53	كتائب شهداء

				جريحاً	الأقصى/ فتح
22/2/2004	محمد خليل زعل	23 عاماً/ بيت لحم	القدس الغربية/ باص خط 14	8 قتلى و 30 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
14/3/2004	محمد زهير سالم ونبيل إبراهيم مسعود	18 عاماً/ غزة و 18 عاماً/ غزة	ميناء أشدود/ جنوب تل أبيب	11 قتيلاً و 20 جريحاً	شهداء الأقصى وكتائب القسام
21/3/2004	سناء عبد الهادي	33 عاماً/ غزة	خان يونس	عدد من القتلى والجرحى	فجرت نفسها أثناء اقتحام الاحتلال لبيتها
16/4/2004	نائل أحمد	22 عاماً/ غزة	كيسوفيم/ غزة	عدد من القتلى والجرحى	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
28/4/2004	طارق دياب حمدي	24 عاماً/ مخيم النصيرات	حاجز أبو هولي/ غزة	قتيلين و 3 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
19/7/2004	باسل أبو شهاب	27 عاماً/ طولكرم			فجر نفسه أثناء محاولة اعتقاله
13/8/2004	يوسف أحمد الحنني		الضفة	قتيل وجريح	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
31/8/2004	أحمد القواسمي ونسيم الجعبري	20 عاماً و 20 عاماً/ الخليل	بئر السبع	17 قتيلاً و 100 جريحاً	كتائب عز الدين القسام/ حماس
14/9/2004	يوسف غبارية	26 عاماً/ جنين	حاجز عسكري/ قلقيلية	جرح جنديين	فتح والجهاد الإسلامي
22/9/2004	زينب علي أبو سالم	18 عاماً/ نابلس	معالي أدوميم/ القدس	مقتل جنديين و 16 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
30/9/2004	عبد الحي النجار وأسامة البرش	22 عاماً/ غزة و 19 عاماً	موقع عسكري/ جباليا	مقتل جنديين	كتائب عز الدين القسام/ حماس
30/9/2004	مصعب جمعة وحسام غنيم	21 عاماً و 19 عاماً	مستوطنة نتساريم/ غزة	مقتل جندي ومستوطنة	كتائب عز الدين القسام/ حماس
15/12/2004	أشرف بعلوشة	19 عاماً/ غزة	الموقع العسكري غيفن		سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي

جدول رقم (7)

العمليات الاستشهادية 2005

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
18/1/2005	عمر سليمان طبش	21 عاماً	قرب حاجز المطاحن/ غزة	مقتل ضابطين و 6 جرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس
25/2/2005	لطفي أبو سعدة	21 عاماً/ طولكرم	نتانيا	6 قتلى وعشرات الإصابات	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
26/2/2005	عبد الله بدران	24 عاماً/ طولكرم	مقهى ليلي في تل أبيب	4 قتلى و 45 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
12/7/2005	أحمد سامي أبو خليل	18 عاماً/ طولكرم	هشارون/ نتانيا	إصابة العشرات	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
28/8/2005	عبد الحكيم قيسية	18 عاماً/ الخليل	بئر السبع	50 جريحاً	سرايا القدس وكتائب الأقصى
26/10/2005	حسن أبو زيد	19 عاماً/ جنين	الخضيرة	5 قتلى و 40 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي

جدول رقم (8)

العمليات الاستشهادية عام 2006

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
17/4/2006	سامر سامح حماد	22 عاماً/ جنين	تل أبيب	11 قتيلاً و 50 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
31/5/2006	أحمد محمود مشارقة	24 عاماً/ الخليل	مستوطنة كدوميم/ الضفة الغربية	4 قتلى	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
6/11/2006	ميرفت مسعود	18 عاماً/ مخيم جباليا	بيت حانون/ غزة	عدد من القتلى والجرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
23/11/2006	فاطمة عمر محمود النجار	57عاماً/ جباليا	تجمع للجنود/ منطقة الجمول/ غزة	3 قتلى	كتائب عز الدين القسام/ حماس

جدول رقم (9)

العمليات الاستشهادية عام 2007

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
29/1/2007	محمد السكسك	21 عاماً/ غزة	مركز تجاري/ إيلات	3 قتلى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي وكتائب الأقصى/ فتح

جدول رقم (10)

العمليات الاستشهادية عام 2008

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
4/2/2008	محمد الحرباوي وشادي الزغير	20عاماً و 20 عاماً/ الخليل	ديمونا	قتيلة و 11 جريحاً	كتائب الأقصى. وكتائب القسام. وكتائب أبو علي مصطفى.

جدول رقم (11)

الاستشهاديات الفلسطينيات في انتفاضة الأقصى

التاريخ	اسم منفذ العملية	العمر والبلدة	مكان العملية	خسائر الاحتلال	الجهة المتبنية
28/1/2002	وفاء إدريس	28 عاماً/ رام الله	القدس/ شارع يافا	3 قتلى و 140 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
27/2/2002	دارين أبو عيشة	22 عاماً/ نابلس	حاجز عسكري شمال الضفة	جرح 3 جنود	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
29/3/2002	آيات الأخرس	16 عاماً/ بيت لحم	القدس الغربية	قتيلين وعشرات الجرحى	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
4/2002	إلهام الدسوقي	مخيم جنين	مخيم جنين	ضابطين و 10 جرحى	أثناء اقتحام منزلها في مخيم جنين
12/4/2002	عندليب طقاطقة	18 عاماً/ بيت لحم	القدس	6 قتلى و 85 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
19/5/2003	هبة سعيد ضراغمة	19 عاماً/ جنين	العفولة	3 قتلى و 45 جريحاً	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
4/10/2003	هنادي جرادات	28 عاماً/ جنين	حيفا/مطعم مكسيم.	19 قتيلاً و 60 جريح	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
14/1/2004	ريم الرياشي	22 عاماً/ غزة	حاجز بيت حانون	4 قتلى و 12 جريح	كتائب عز الدين القسام/ حماس
21/3/2004	سناء عبد الهادي قديح	33 عاماً/ غزة	غزة	عدد من القتلى والجرحى	فجرت نفسها أثناء اقتحام الاحتلال لمنزلها
22/9/2004	زينب علي عيسى أبو سالم	18 عاماً/ نابلس	محطة حافلات جنود/ معاليه أدوميم	مقتل جنديين و 16 جريحاً	كتائب شهداء الأقصى/ فتح
6/11/2006	ميرفت مسعود	18 عاماً/ مخيم جباليا	بيت حانون/ غزة	عدد من القتلى والجرحى	سرايا القدس/ الجهاد الإسلامي
23/11/2006	فاطمة النجار	57 عاماً/ غزة	غزة	3 قتلى وعدد من الجرحى	كتائب عز الدين القسام/ حماس